

ISW
41343 ✓

عارف العارف

DS
109.8
1A7
x

تاريخ

سنة ١١٢٢٩ هـ

قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك
ولمحة عن تاريخ القدس

مكتبة كلية بير زيت
٤٢٢٩

مكتبة جامعة بيرزيت

مطبعة دار الأيتام الإسلامية في غزة

في علم الفقه

كتاب

كتاب ابي الفتح محمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف

في الفقه الحنفي

تصنيفه
١٠٠٠

الناشر فوزي يوسف صاحب مكتبة الأندلس في الفس

مكتبة الأندلس

تتمتع

... رتبة عالية تلك ... (وصفها ...) ... رتبة عالية ...
 لا ... رتبة عالية ...
 ليعلموا ...
 ...
 ... إلى :

عبد الملك بن مروان

باني الحرم وموطن كيان العرب والاسلام في هذه البلاد

أهدي كتابي هذا

... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...
 ... رتبة عالية ...

... (1) ...

المقدمة

ما كدت انتهي من وضع كتابي : (تاريخ الحرم القدسي) وأخرجه للناس ، وكان ذلك قبل سبع سنين ، حتى تبين لي ان هناك مواضع أخرى ذات صلة وثقى بهذا المكان الاسلامي الجليل وتاريخه ، لا بد من دراستها ، وقد درستها ؛ ونواح عديدة لا بد من استجلاء غوامضها ، وقد استجليتها . وأخيراً عدت فتناولت الكتاب كله ، من أوله الى آخره ، بشيء كثير من البحث والاستقصاء والتنقيح ؛ ورجعت فيما كتبت إلى ما كتبه غيري من المؤلفين والكتاب الآخرين ، من عرب وفرنجة ، في الموضوع نفسه ؛ فتذكرت الحكمة في قول عماد الدين الكاتب الأصبهاني المعروف (١) :

« إني رأيت أنه لا يكتب انسان كتاباً »

« في يومه ، إلا قال في غده : لو غير هذا »

« لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان »

« يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، »

« ولو ترك هذا لكان أجمل ! وهذا »

« لعمرى من أعظم العبر . وهو دليل »

« على استيلاء النقص على جملة البشر . »

بلى وربك . إنه لقول صدق . وهذا ما أصابني . إذ ما كدت أخرج الطبعة الأولى ، وأمعن النظر في مختلف سطورها ؛ حتى وجدتني أقول لنفسي : ليتني غيرت هذا ، وزدت ذاك ! .. وباليتمني قدمت هذا ، وتركت ذاك ! .. وكما تصفحت الكتاب ، وأعدت النظر في مختلف سطوره ، شعرت بالرغبة تمدوني لاستبدالها بأسطر غيرها افضل منها . وكانت رغبتى هذه تنمو وتزداد كلما غشيت ناحية من نواحي الحرم . وكثيراً ما كنت أغشاه . فقد كنت بحكم عملي ، رئيساً لبلدية القدس ، كثير التردد إليه ، والوقوف في جنباته ، والمنزل الذي ولدت فيه قريب منه . وكما وقفت أمام ركن من أركانه ، رأيت فيه ما يستأهل الذكر : إما بلاطة تم تثبيتها في مكان ما ، لم أرها من قبل ؛ أو كتابة نقش في سنة من السنين ، لم أقرأها . وفي قراءتها وتدوينها ما ينير للباحث السبيل . وسلخت على هذا النمط سبع سنين ؛ إلى أن أيقنت أنه لا بد من إعادة طبع الكتاب على النحو الذي تراه .

(١) ابو عبداقة محمد بن صفى الدين ولد في اصبهان سنة ٥١٩ هـ - ١١٢٥ م . وتفقّه بالمدرسة النظامية ببغداد . هبط دمشق على عهد الملك العادل نور الدين . وتوفي ودفن فيها سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م . له مؤلفات عديدة منها : (الفتح القسي في الفتح القدسي) .

وقد أسميته : (تاريخ قبة الصخرة الشرفة والمسجد الأقصى المبارك) . ورأيت أن أضيف إليه لمحة في تاريخ القدس ، هذه المدينة التي يقوم فيها هذان المسجدان المباركان ، وتعتز بهما على مر الأيام .

* * *

عندما أصدرت الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٧ ، كان مصير فلسطين بوجه عام ، وهذا البيت المقدس بوجه خاص ، معلقاً في كفة القدر . وكانت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة تبحث النزاع القائم بين العرب واليهود . وكان اليهود ومن والاهم من رجال العرب ينادون بوجود تخلي العرب ، لا عن القدس فحسب ، بل عن فلسطين بأكملها ؛ قائلين : إن لهم (أي للعرب) من بقاع الجزيرة العربية .. الواسعة الأرجاء ، المترامية الاطراف .. ما يغنيهم ! عن فلسطين .. إذا فلنخرجهم منها ؛ ولنعطها الى اليهود ، يستثمرونها كيف يشاءون ! ..

فكان علينا ، نحن العرب ، ان ندحض حججهم بالبيانات التي لا تقبل الجدل . ومن تلك البيانات ، وفي طليعتها ، اما كتنا المقدسة التي لا نستطيع التخلي عنها . وهل كان هناك مكان يقدسه العرب والمسلمون اكثر من (المسجد الاقصى) ... أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ... هذا ما حدا بي الى اخراج كتابي الأول : (تاريخ الحرم القدسي) . وقد أرسلت نسخاً منه ، فور صدوره ، الى رؤساء الدول العربية والإسلامية والى رؤساء الدول الغربية الذين كانوا يومئذ مجتمعين في (ليك سكسس) يبحثون مشكلة البلاد المقدسة ويحاولون إيجاد حل لها . وقد لفت انتباههم الى الصفحة الأولى التي قلت فيها : -

« صراع عنيف . . . يقوم اليوم بين الشرق والغرب ، من

أجل فلسطين ويجاهد عرب فلسطين ، ومن ورائهم العالم

العربي والاسلامي ، جهاد الأبطال من اجل الاحتفاظ بهذه البلاد

عربية اسلامية .

ويتساءل الغافلون الذين لم يقرأوا التاريخ قراءة صحيحة :

لم هذا الصراع ؟ وعلام هذا الضجيج ؟ وما فائدة هذه البقعة

الضيقة للمسلمين وللعرب الذين يملكون الجزيرة كلها : بما فيها من

وهاد وبطاح وجبال وآكام ؟

فالي هؤلاء أقول : هاؤم اقرءوا كتابيه فان في

نصائفه ما يبدهد فياهب هذا الريب انه صفحة من اروع

صفحات الخلود . . . إنه المسجد الأقصى . . . اولى القبلتين
وثالث الحرمين الشريفين . . . المسجد الذي اسرى إليه بالنبي
العربي الكريم :

« سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . . »

بلى وربك . فان الجزيرة العربية . . مهما عظم شأنها ، واتسعت ارجاؤها ، وتوفرت خيراتها . .
لا ، ولن تغنينا عن هذه البقعة المباركة من بقاعها . . ألا وهي : فلسطين . . التي تقدها : لجمالها ،
وطيب نسيمها ، وجودة تربها ، ودم الآباء والأجداد الذي يعبق أريجها ويفوح عبيره في كل ذرة
من ذراها . . وفوق هذا وذاك : للمسجد الأقصى الرابض في أقدس ربوة من رباه . . هذا
المسجد الذي نعزبه ، ونزهو على الأيام ، والذي لا بد من بقائه في حوزة العروبة والإسلام .

* * *

هذا ولا يسعني في الختام إلا أن اعترف اني ما أتيت في كتابي هذا ، ولا ذاك ، بشيء من
عندي ؛ وأن كل ما فيها منقول عن السلف الصالح ، أو منقوش على جدران الحرم . اللهم إلا
بعض الحقائق التي قدر لي أن أطلع عليها بحكم الزمن ، وبعض الآراء التي دوتها من اجل ايضاح
ناحية يكتنفها الغموض .

فاذا كنت قد وقفت في عملي ، ورأى فيه بنو قومي ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، كان ذلك
ما أبغي . وإلا ، فحسي منهم أن يرشدوني الى خطأي : عاذرين ، لا عاذلين . فان أعقل الناس
أعذرهم للناس . والعصمة لله وحده . وليذكروا أنني ما قصدت من وضع كتابي هذا سوى
الخير لأمتي وبلادتي . والله من وراء القصد .

هارف العارف

٣٠ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٥٥

رئيس بلدية القدس



المؤلف



محتويات الكتاب

الباب الأول

في تاريخ القدس

| الصفحة | الصفحة |
|---|---|
| ٣٧ | ١٧ |
| القدس والاتراك العثمانيون (للمرة الثانية) | القدس على مر السنين |
| ٤٠ | ١٨ |
| القدس والاحتلال البريطاني | اسماؤها في مختلف العهود |
| ٤٢ | ١٩ |
| القدس في العهد الاردني | القدس وبنو اسرائيل |
| ٤٦ | ٢٠ |
| القدس كما رأيتها عام ١٩٥٨ | القدس في عهد الفرس |
| ٤٦ | ٢٠ |
| موقعها الجغرافي | القدس في عهد اليونان |
| ٤٦ | ٢٢ |
| مناخها | القدس في عهد الرومان |
| ٤٦ | ٢٤ |
| سكانها | القدس في العهد البيزنطي |
| ٤٧ | ٢٥ |
| مساحة أراضيها | القدس والفتح الاسلامي |
| ٤٨ | ٢٦ |
| X سورها | العهد العمرية |
| ٤٩ | ٢٧ |
| جبالها | القدس وبنو أمية |
| ٥٠ | ٢٧ |
| مياها | القدس وبنو العباس |
| ٥١ | ٢٨ |
| طيورها ومواشها | القدس في الدولتين : الطولونية والاشيدية |
| ٥١ | ٢٨ |
| صناعاتها وتجارها | القدس الفاطمية |
| ٥٢ | ٢٩ |
| أسواقها | الصليبيون وصلاح الدين |
| ٥٢ | ٣٣ |
| المصارف والبنوك | القدس في عهد المماليك |
| ٥٢ | ٣٥ |
| الاسلوب الاداري | القدس في عهد الاتراك العثمانيين |
| ٥٣ | ٣٦ |
| بلدية القدس | القدس ومحمد علي باشا |

| الصفحة | الصفحة |
|-----------------------------|----------------------------|
| السياحة ٥٨ | مدارس القدس ٥٣ |
| وسائل النقل ٥٨ | المكتبات العامة والخاصة ٥٥ |
| الاماكن المقدسة بوجه عام ٦٠ | متاحف القدس ٥٥ |
| حائط البراق ٦٠ | الجمعيات والنوادي ٥٦ |
| الاماكن المقدسة المسيحية ٦١ | الامراض والمستشفيات ٥٦ |
| كنيسة القيامة ٦٣ | التثيل القنصلي ٥٨ |

الباب الثاني

في: الصخرة المشرفة

| | | | |
|-----|---------------------------------------|----|--|
| ٨١ | مسجد الصخرة في زمن صلاح الدين | ٦٧ | من الذي بنى مسجد الصخرة ؟ |
| ٨٣ | مسجد الصخرة في عهد المماليك | ٦٨ | عناية المسلمين بمسجد الصخرة |
| ٩٠ | مسجد الصخرة في عهد الأتراك العثمانيين | ٦٨ | أين نقش اسم عبد الملك ؟ |
| ٩٦ | مسجد الصخرة والمجلس الاسلامي | ٧٠ | ما هو السبب لبناء مسجد الصخرة ؟ |
| ١٠٠ | مسجد الصخرة وحرب فلسطين | ٧١ | هل استشار المسلمين قبل البناء ؟ |
| ١٠٢ | مسجد الصخرة في العهد الأردني | ٧٢ | من أين أتى بمواد البناء ؟ |
| ١١٥ | كيف تعالج الأخشاب المعطوبة | ٧٢ | هل كان للمسجد جدران خارجية ؟ |
| ١١٥ | مسجد الصخرة كما رأته عام ١٩٥٨ | ٧٣ | جمال مسجد الصخرة من الناحية الهندسية |
| ١١٥ | قبة الصخرة | ٧٦ | هل بقي المسجد على ما هو عليه عند بنائه ؟ |
| ١١٧ | رقبة القبة | ٧٦ | مسجد الصخرة في زمن العباسيين |
| ١١٨ | الأعمدة | ٧٨ | مسجد الصخرة في زمن الفاطميين |
| ١١٩ | الأقواس الداخلية | ٨٠ | مسجد الصخرة في زمن الصليبيين |
| ١١٩ | الصخرة | | |

| الصفحة |
|-------------------|
| ١٢٨ شباييك المسجد |
| ١٣٠ القاشاني |
| ١٣٦ الفسيفساء |
| ١٤٠ فناء الصخرة |
| ١٤٦ المزلتان |
| ١٤٦ غرف السدنة |

| الصفحة |
|------------------|
| ١٢٢ المغارة |
| ١٢٣ الشمينة |
| ١٢٥ سقف المسجد |
| ١٢٥ أرض المسجد |
| ١٢٦ جدران المسجد |
| ١٢٧ أبواب المسجد |

الباب الثالث

المسجد الأقصى المبارك

| |
|---|
| ١٦٨ المسجد الأقصى في زمن الأتراك العثمانيين |
| ١٦٩ المسجد الأقصى والمجلس الإسلامي الأعلى |
| ١٨٠ المسجد الأقصى في حرب فلسطين |
| ١٨٤ المسجد الأقصى كما رأته عام ١٩٥٨ |
| ١٨٨ الأقصى القديمة |
| ١٨٩ العقارات الموقوفة للمسجدين |

| |
|-------------------------------------|
| ١٤٩ من الذي بناه؟ ومتى؟ وأين؟ |
| ١٥٤ هل كانت هناك كنيسة؟ |
| ١٥٧ المسجد الأقصى في عهد بني أمية |
| ١٥٧ المسجد الأقصى في زمن العباسيين |
| ١٥٨ المسجد الأقصى في العهد الفاطمي |
| ١٦٠ المسجد الأقصى في زمن الصليبيين |
| ١٦٢ المسجد الأقصى في عهد صلاح الدين |
| ١٦٥ المسجد الأقصى في عهد المماليك |

الباب الرابع

الحرم القدسي : أخص واليوم

| |
|-------------------------------------|
| ١٩٥ منطقة الهيكل في العهد المسيحي |
| ١٩٥ منطقة الهيكل بعد الفتح الاسلامي |
| ١٩٦ رعاية المسلمين بالحرم |

| |
|----------------------------------|
| ١٩٣ مساحة الحرم القدسي |
| ١٩٣ موضعه من الناحية الطبوغرافية |
| ١٩٣ هيكل بني اسرائيل |

| الصفحة | |
|--------|---------------------------------|
| ٢١١ | سبيل قايتباي |
| ٢١٢ | سبيل شعلان |
| ٢١٢ | سبيل باب الحبس |
| ٢١٣ | سبيل البديري |
| ٢١٣ | سبيل قاسم باشا |
| ٢١٤ | سبيل السلطان سليمان القانوني |
| ٢١٤ | رأس العين وعين فارة وبرك سليمان |

أبواب الحرم

| | |
|-----|-------------------------------|
| ٢١٥ | باب الأسباط |
| ٢١٥ | باب حطة |
| ٢١٦ | باب شرف الأنبياء |
| ٢١٦ | باب الغوانمة |
| ٢١٦ | باب الناظر |
| ٢١٧ | الباب الحديد |
| ٢١٧ | باب القطانين |
| ٢١٨ | باب المتوضأ |
| ٢١٨ | باب السلسلة |
| ٢١٨ | باب المغاربة |
| ٢١٨ | الباب الذهبي |
| ٢٢٠ | باب الجنائز |
| ٢٢٠ | الاضاءة في الحرم : أمس واليوم |
| ٢٢١ | سدنة الحرم |
| ٢٢٤ | زيارة الحرم |

القباب في منطقة الحرم

| الصفحة | |
|--------|------------------|
| ١٩٩ | قبة السلسلة |
| ١٩٩ | قبة المعراج |
| ٢٠٠ | محراب النبي |
| ٢٠١ | قبة يوسف |
| ٢٠١ | القبة النحوية |
| ٢٠١ | قبة الشيخ الحلبي |
| ٢٠٢ | قبة الحضرة |
| ٢٠٢ | قبة موسى |
| ٢٠٢ | قبة سليمان |

مسطب الحرم

| | |
|-----|-------------------------|
| ٢٠٣ | مسطبة الكرك |
| ٢٠٣ | مسطبة علاء الدين البصري |
| ٢٠٣ | مسطبة العشاق |

مآزر الحرم

| | |
|-----|--------------------|
| ٢٠٤ | مئذنة باب المغاربة |
| ٢٠٤ | مئذنة باب السلسلة |
| ٢٠٥ | مئذنة باب الغوانمة |
| ٢٠٥ | مئذنة باب الاسباط |
| ٢٠٦ | أروقة الحرم |

مياه الحرم

| | |
|-----|------------|
| ٢٠٩ | آبار الحرم |
| ٢١٠ | الكأس |

الباب الخامس

معقرات وأساطير

| الصفحة | الصفحة |
|---|-------------------------------------|
| ٢٣٥ مغارة الأرواح . | ٢٣٣ هل الصخرة معلقة في الهواء ؟ |
| ٢٣٥ أين صلى موسى ؟ | ٢٣٣ اللسان الذي سلم على النبي . |
| ٢٣٥ هل دخل موسى أرض الميعاد ؟ | ٢٣٤ اليمين الكاذبة في قبة السلسلة . |
| ٢٣٥ شعرات النبي . | ٢٣٤ بلاطة الأولياء . |
| ٢٣٥ أعمدة الخير والشر . | ٢٣٤ بلاطة باب الجنة وقيام الساعة . |
| ٢٣٦ هل الجان هم الذين بنوا مسجد الصخرة ؟ | ٢٣٤ أين ينصب الميزان يوم القيامة ؟ |
| | ٢٣٥ مصارين المكذاب . |



٧٧٦٢
١٥٦١

أخي فوزي :

وعني أعترف ، لولاك ، ولولا

مكتبتك ... الأندلس ... لما تيسر

لكتابي هذا ، أن يرى النور ...

فاليك يرجع لفضل في إخراجه ...

كما أخرجت غيره ، من كتب علمية
وتاريخية كثيرة .

وإلى أسأل أن يبقيك ركنًا

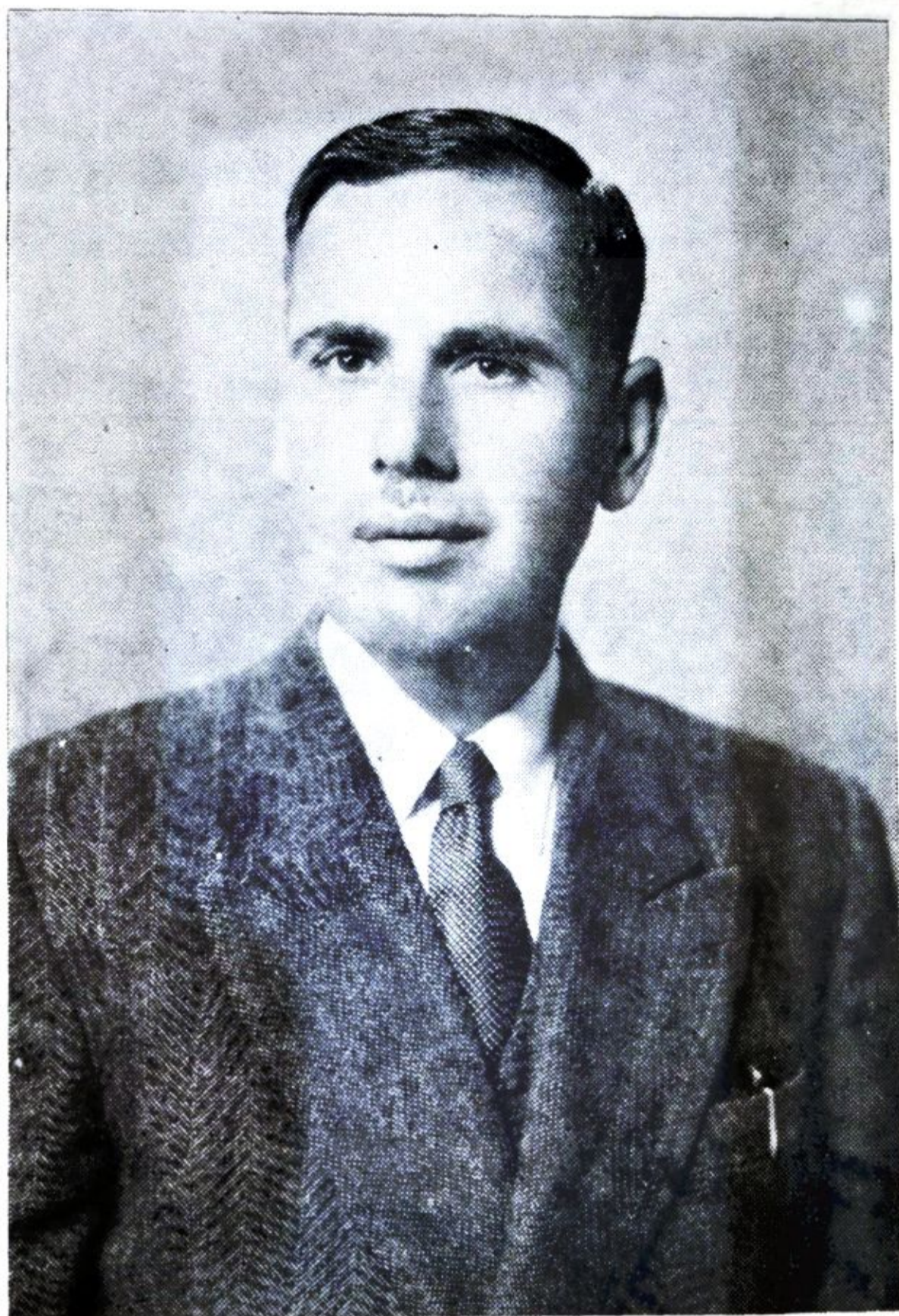
للعلم والأدب .

عازف العود

بيت المقدس

جمادى الثانية ١٣٧٧

كانون الثاني ١٩٥٨



الناشر

لمحة عن تاريخ القدس
إلى الأبد

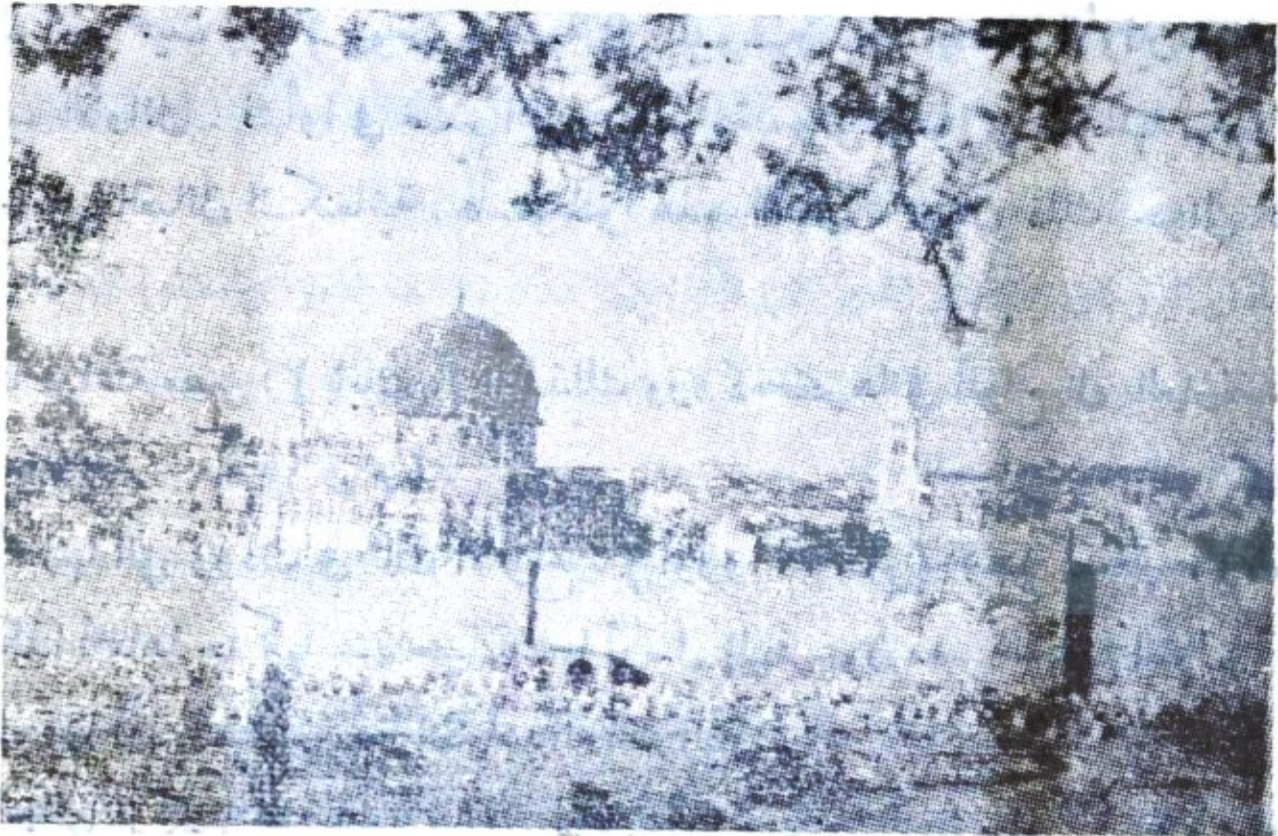
الباب الأول
لمحة عن تاريخ القدس



القدس : مجامعها وكنائسها

لمحة عن تاريخ القدس

على مر السنين



القدس

مدينة تاريخية قديمة . لا ، بل أنها من أقدم المدن التي عرفها التاريخ . إنها ليست بنت قرن من القرون ، أو وليدة عصر من العصور ، وإنما هي بنت الأجيال المنصرمة كلها . . . ورفيقة العصور الفاتئة كلها . . من اليوم الذي سطر التاريخ فيه صحائفه الأولى إلى يومنا هذا .

وإنه لتاريخ مجيد ، تاريخها . ذلك لأنها صعدت لنوائب الزمان بجميع أنواعها ، وطواريء الحداث بجميع ألوانها . حتى أنه لم يبق فاتح من الفاتحين ، أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتأخرين ، الذين كانت لهم صلة بهذا الجزء من الشرق ، إلا ونازلته : فإما أن يكون قد صرعها ، أو تكون هي قد صرعته . . .

ولقد حوصرت مراراً ، ودمرت تكررراً . وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ . وذاق أبناؤها العذاب ، خلال الأحقاب التي مرت ، أشكالاً وألواناً . . . بيد أنها على الرغم مما أصابها ، ظلت قائمة في هذا الوجود ؛ وظل اسمها مذكوراً في طليعة المدن والبلدان . ذلك لأنها مقدسة في نظر الأديان السماوية كلها . وقد لا نعدو الحق إذا قلنا ، إن قدسيته هذه كانت ، في بعض الأحيان ، السبب في شقائها ، وفيما أصابها من رزايا ومحن ؛ الأمر الذي أتينا على ذكره ، بوجه

التفصيل ، في كتابنا : (تاريخ القدس) (١) . ونود أن نكتفي هنا بلحظة عنها ؛ فنذكر ما يتصل بموضوع كتابنا هذا ؛ ونقول : -

القدس في مختلف العهود :

إن أول اسم سميت به : (ييوس) نسبة إلى اليوسيين بناء القدس الأولين . إنهم بطن من بطون العرب الأوائل . نشأوا في صميم الجزيرة العربية ، وترعرعوا في أرجائها . ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية . فاستوطنوا هذه الديار . وكان ذلك حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

وأسماءها فراغنة مصر : (يابيشي) . كذلك ورد ذكرها في ألواح تل العمارنة ، على عهد أخناتون (١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق م) .

ومن أسمائها التي وردت في تلك الألواح : (أورو - سالم) وهو كنعاني ، ومعناه : مدينة السلام . هكذا أسمائها حاكمها عبد حيا عندما أرسل إلى فرعون مصر تحوتمس الأول (١٥٥٠ ق م) رسالة ناشده فيها أن يحميه من غارات أعدائه العبرانيين .

ومن أسمائها الكنعانية : (واروا - سالم) أي أوجدها الرب سالم (٢) . و (يرو - سالم) و (يروتسلايم) . وما إلى ذلك من أسماء وردت في ألواح تل العمارنة .

وفي قول (٣) أن (أورو - سالم) آرامية الأصل . وقيل أنها من أصل بابلي ، يوم كانت تغمر فلسطين ثقافة بابلية بحتة . وقد ورد ذكرها في ألواح تل العمارنة (حوالي سنة ١٤٠٠ ق م) هكذا : او - رو - سا - لم .

وسواء كانت آرامية الأصل أو بابلية ، فقد اقتبس عنها العبرانيون الاسم الذي أطلقوه عليها عندما نزلوا هذه الديار : (أورشليم) . ومن أسمائها في أسفار العهد القديم : (يروشاليم) و (يروشاليم) .

وفي عهد الملك داود (١٠٤٩ ق م) سميت : (مدينة داود) . وسماها اليهود أيضاً : (صهيون) . وعندما غزاها الآشوريون بقيادة ملكهم شلمنصر (٧٣٠ ق م) ، أسموها : أور - سا - لي - أمو .

(١) نشرته (دار المعارف بمصر) سنة ١٩٥١ .

(٢) (سالم) هذا هو إله الكنعانيين .

(٣)

وكذلك قل عن البابليين الذين احتلوها بقيادة نبوخذ نصر (٥٩٩ ق م) . فقد نهبا هذا .
ودك أسوارها . ودمر الهيكل الذي بناه سليمان . وأجلى شعبها الى بابل . فقتل منهم من قتل ، واستعبد
من لم يقتل . وهكذا انقضت مملكة يهوذا (٥٨٦ ق م) . وكان البابليون خلال تلك الفترة من
الزمن يسمونها : (أورو - سالم) .

واحتفظت باسمها هذا في عهد الفرس (٥٣٨ ق م) .
ولما فتحها الاسكندر (٣٣٢ ق م) كانت تدعى : (يروشالم) . ثم راحت تدعى (هيروسوليا) .
هكذا كان اليونان يلفظونها وكانوا يكتبونها بأحرف أغريقية .
واستغل الرومان الخلاف الذي كان قائماً بين المكانيين ، فجاءوا واحتلوا المدينة (٦٣ ق م) .
ولما دخلها بومبي كانت تدعى : (هيروسوليا) . ثم راحوا يسمونها : (هيروسوليا)
و (هيروسالبا) و (هيروسالم) .
ولما حاصرها (تيطس) سنة ٧٠ ميلادية ، كانت تدعى : (سوليا) . وكانوا أحياناً
ينادونها : (سوليموس) .

ولما تولى أدريانوس عرش الرومان (١١٧ - ١٣٨ م) ورأى ما رأى من غطرسة اليهود
وشغبهم المتواصل ، اعتزم أن يقضي على شغبهم وغطرستهم . فقتل منهم يومئذ من قتل ، ومن لم يموت
منهم طرد من المدينة . ولكي ينسى اليهود (سوليا) أمر أدريانوس بتدميرها ، فدمرت تدميراً
تاماً ، حتى لم يبق منها حجر على حجر . وأنشأ بدلاً منها مدينة جديدة أسماها (ايليا كايبتولينا^(١)) .
ظلت (ايليا) معروفة بهذا الاسم أيضاً في زمن البيزنطيين (٣٣٠ - ٦٣٦ م) . وكذلك قل
عنها في عهد الفرس الاخير ، عندما احتلها كسرى (٦١٤ م) . واحتفظت باسمها هذا (ايليا)
عندما عاد اليها هرقل وطرد منها الفرس (٦٢٧ م) .

الفرس وبنو اسرائيل :

دخلت (ييوس) في حكم بني اسرائيل على يد داود الملك (١٠٤٩ ق م) . وكانت هــ
(أي ييوس) قبل مجيء بني اسرائيل ذات حضارة . وكانت فيها حكومة وصناعة وتجارة . فاقبس
العبرانيون منها تلك الحضارة . وراحوا يلبسون ثياباً نسجت من الصوف بدلاً من الجلود التي
كانوا يلبسونها^(٢) .

ولما مات داود مسح ابنه سليمان ملكا . فبنى الهيكل (١٠٠٧ ق م) . ومن آثاره البناء

(١) ايليا : مشتقة من (ايلبوس) وهو اسم الاسرة التي ينتمي اليها الامبراطور ادريانوس . إنها كلمة
يونانية ، معناها : الشمس . وأما (كايبتول) فإنه تمثال نصبه في الموضع الذي صلب فيه السيد المسيح ،
ومعناه : المركز . (٢) (تاريخ العصور القديمة) لبرستد .

الكائن تحت المسجد الأقصى ، وبرك سليمان . وبعد موت سليمان تولى الملك ابنه رجمام . ولكن هذا اقتتل مع أخيه رجمام . فانقسمت المملكة الى شطرين : (يهوذا) وعاصمتها أورشليم . و (اسرائيل) وعاصمتها شكيم (١) . وظلت أورشليم بعد ذلك أربعة قرون : تتقل على حجر القلاقل والفتن . تارة من الداخل وطوراً من الخارج . وكانت أورشليم خلال تلك الحقبة من الزمن نهياً مقسماً بين الأمم المجاورة لها . وكثيراً ما غزاها الفراعنة ... والآشوريون ... والبابليون ... والعمونيون ... والعرب ... والاشدوديون ... والفرس ... واليونان ... والرومان ...

فقد سباهم نبوخذ نصر (٥٩٠ ق م) . ونفاهم إلى بابل . وفقدوا كيانهم السباني بعد ذلك زمناً طويلاً ، الى أن ظهر المسكايون . فاستولوا على أورشليم (١٦٧ ق م) . ولكن هؤلاء أيضاً عادوا فاختلفوا . واهتبل الفرصة القائد الروماني المعروف (بومي) . فجاء هذا . واحتل أورشليم (٦٣ ق م) . وقضى على حرية الشعب اليهودي قضاءً تاماً .

الفرس في عهد الفرس :

احتل الفرس مدينة القدس سنة ٥٣٨ قبل الميلاد . وكانت يومئذ تدعى اورو - سالم . وقد تم لهم احتلالها على يد القائد : غوبرياس في عهد الملك كورش . وعلى عهد الفرس اتم اليهود بناء هيكلهم الثاني (٥١٥ ق م) . وبنوا السور . ظلت اورو - سالم تابعة لملوك الفرس الى أن احتلها الفاتح المقدوني الكبير الاسكندر (٣٣٢ ق م) .

الفرس في عهد اليونان :

احتل الفاتح المقدوني الكبير اسكندر يروشالم عام ٣٣٢ قبل الميلاد . دخلها دون أن يسفك دمياً . ذلك لأن رجال الفرس من حاميتها كانوا قد انسحبوا منها . فاستقبله أهلها بالترحاب . ولما مات الاسكندر اقتسم قواده الملك : فاخذ (سلوقس) سورية ، وأسس فيها دولة السلوقيين . وأخذ (بطليموس) مصر . وأسس فيها دولة البطالسة . وكانت هيروسليما في بادئ الأمر .. من نصيب البطالسة ، ثم انتقلت الى السلوقيين . وراحت الايدي بعدئذ تتبادلها . فذاقت من



الاسكندر المقدوني

جرائم ذلك الأمرين . وما كانت لتذوق الأمرين لولا (فساد الخلق) الذي كان قد تفشى في صفوف الشعب اليهودي على اختلاف طبقاته . وازداد الوضع سوءاً عندما اختلف ارسطوبولس المكابي مع أخيه

(١) نابلس .



الاسكندر المقدوني على صهوة جواده

هركانس الثاني (٧٠ ق م) . وقامت بين الأخوين حرب أهلية كان من نتائجها أن تدخلت روما في الأمر . ووضعت يدها على البلاد .

الفرس في عهد الرومان :

دخلت هيروساليم في حوزة الرومان على يد (بومي) الذي استغل الحرب الأهلية التي كانت قائمة بين المسكابين . فجاء اليها . واحتلها (٦٣ ق م) .
لم تخل هيروساليم من حروب وقلقل وثورات خلال القرون الأربعة التي ظلت فيها راضخة لحكامهم .

ومن أشهر حكامهم (هيروودس) الملك . انه هو الذي رمم الهيكل ^(١) (١٨ ق م) . وشاد عدداً من الحصون والأبراج والتمائيل . وفي آخر سنة من سني حكمه ولد السيد المسيح في بيت لحم . وكان قد أمر بقتل كل طفل يولد فيها . ولهذا هربت به أمه الى مصر .

وفي زمن الوالي الروماني بيلاطس بونتايوس (٢٦ - ٣٦ م) صلب السيد المسيح . وقد

(١) ان الحائط المعروف بـ (البراق) من بقايا هذا الهيكل ، وهو الثالث . ويسميه اليهود : (حائط المبكى) .



السيدة العذراء مع السيد المسيح في طريقها الى مصر

أجمع المؤرخون على القول أن ييلاطس هذا عندما أصدر حكمه بالصلب كان مكرهاً . . . وانه عبثاً حاول انقاذ المسيح من الموت . الا أن اليهود أصروا . فلم ير بداً من الخضوع لمشيئتهم . وكان هو (أي الوالي) من الضعف على جانب عظيم (١) .

ومن أهم الأحداث التي جرت في القدس بعدئذ ما أصابها على يد (تيطس) الذي حاصرهما (٧٠ م) حصاراً طويلاً . وذاق سكانها اليهود على يده الأمرين ، فأكلوا الكلاب والفيران ، وذبح بعضهم أبناءهم فأكلوا لحومهم . ولما سقطت المدينة بيده ، أسر منهم من أسر ومن لم يأمره يبيع في سوق الرقيق يبيع العبيد .

وأصاب اليهود مثل هذا الكرب وأكثرت على يد ادريانوس الذي تولى عرش الرومان (١١٧-١٣٨ م) ولا سيما عندما ثار اليهود بقيادة (بارقوخبا) . وقامت في سوليميا (١٣٥ م) اضطرابات دموية لم يسبق لها مثيل . عندئذ أيقن ادريانوس ، أنه لا راحة ولا سلم في البلاد ما دام اليهود فيها ، فساق عليهم جيشه ، وجاء هذا فقهرهم ، وذبح بارقوخبا ، وقتل من اليهود بحد السيف من قتل ، ومن لم يقتله ، أمر بطرده ، وحرّم عليه ليس العودة فحسب بل وذكرها ، فتشتت اليهود تحت كل كوكب . ولكي ينسى اليهود سوليميا أمر ادريانوس بتدميرها ، فدمرت تدميراً كاملاً ، وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها : (ايليا كايبتولينا) .

(١) ذكرنا قصة الصلب هذه وما أصاب السيد المسيح على يد اليهود من ظلم وارهاق في كتابنا : (المسيحية في القدس) . فليرجع اليه من شاء .

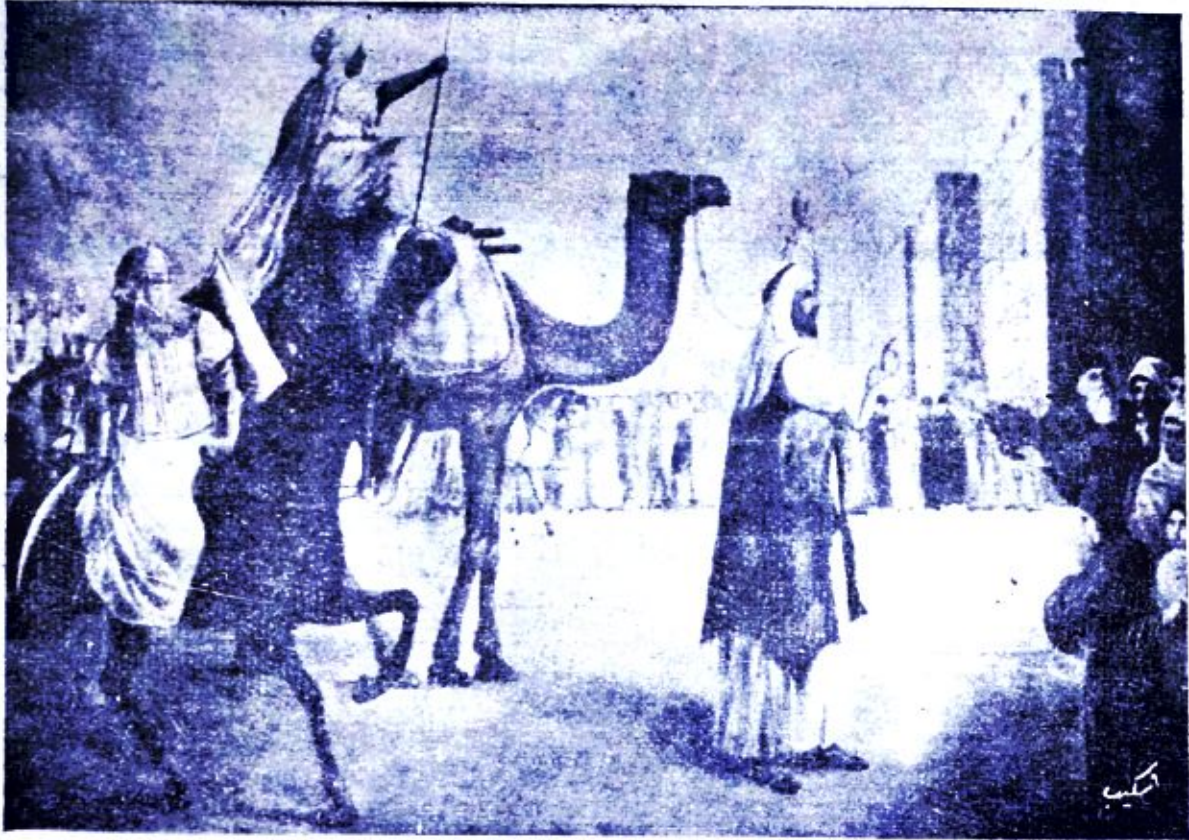
ترك الرومان في ايليا كثيراً من آثار العمران ، غير ان معظم هذه الآثار اصابه البلى بسبب الحروب والثورات ، ولا سيما عندما احتلها الفرس (٦١٤ م) . ومن الآثار التي مازالت قائمة : الأجزاء السفلى من سور المدينة ذات الحجارة الضخمة .. وعدد من الطرق التي تربط هيروسالما بالشمال والساحل وبأريحا وغور الأردن ... والأهم من هذه وتلك (قناة الماء) التي يسيل الماء فيها من برك سليمان الى المدينة ...

القدس في العصر البيزنطي :

اصبحت ايلياء مدينة بيزنطية في زمن قسطنطين الذي تولى عرش الأباطرة (٣١٣ م) . وعلى



الملك قسطنطين في حروبه



الخليفة عمر بن الخطاب أمام أسوار القدس



سيف الله المسلول : خالد بن الوليد

عنده بنت أمه الملكة هيلانة كنيسة القيامة (٣٣٥ م).

وفي زمن هرقل استولى الفرس على ايلياء (٦١٤ م). يوم ساق عليها كسرى جيشه . ففتحها .
ودك معالمها . مؤذبح تسعين الفا من سكانها المسيحيين .

هدم الفرس يومئذ كل ما وجدوه فيها من كنائس واديار ؛ ومنها كنيسة القيامة . ويقول
المؤرخون انهم فعلوا ما فعلوا بتحريض من اليهود .

عاد هرقل لجمع قواه . وانتصر على الفرس . ودخل ايلياء (٦٢٧ م) حاملاً على كتفه خشبة
الصلب التي استردها منهم .

ولكن الضعف كان قد دب في مملكته بدرجة لم يستطع معها مقاومة المسلمين الذين جاءوا
بعد قليل ، فأخذوا البلاد منه .

الفرس والفتح الاسلامي :

بعد أن تم لأبي عبيدة بن الجراح فتح الشام ، أتاه أمر من الخليفة عمر بن الخطاب ، كي يزحف
صوب القدس . فلي أبو عبيدة أمره . واستدعى سبعة من مقدمي جيشه . فعقد لكل واحد
منهم راية ، ضاماً اليه خمسة آلاف مقاتل بين فارس وراجل ، وأمرهم بالزحف حسب
الترتيب التالي :

في اليوم الأول دعا (خالد بن الوليد) فعقد له راية ، وضم اليه خمسة آلاف فارس ، وسرحه
الى بيت المقدس ؛ بعد أن أمره أن يأتيها من ناحية حدها له .

وفي اليوم الثاني دعا (يزيد بن أبي سفيان) فعقد له هو أيضاً راية ، وضم اليه خمسة آلاف
فارس ، وأمره أن يلحق بخالد ؛ على أن يأتي المدينة من الناحية الأخرى .

وفي اليوم الثالث دعا (شرحبيل بن حسنة) فأعطاه ما أعطى زميليه اللذين تقدماه ، وأوصاه
أن يأتيها من ناحية غير الناحيتين السابقتين .

وهكذا فعل في كل يوم من الأيام الأربعة التي تلت عندما دعا اليه كلا من المقاديم الأربعة
الآخرين ؛ وهم المرقال بن هاشم ، ومسبب الفزاري ، وقيس المرادي ، وعروة بن مهلهل بن
زيد الخيل . وقد أمر هذا بالسير وراء الجميع .

وكان جملة من سيرهم الى بيت المقدس سبع فرق ، مجموع رجالها خمسة وثلاثون ألف مقاتل .



ما عرف التاريخ أصبر منهم على المشي
والعطش والجوع. وكان مبدأهم في الحرب :
« لست يؤخر الله نفساً إذا جاء
جلها . ولا يستأخرون ساعة . ولا
يستقدمون » .

فزحفت جيوش المسلمين إليها . وبعد
حصار دام أربعة أشهر قنط سكانها ،
وطلبوا تسليم المدينة الى الخليفة نفسه .
فحضر اليها واستقبل فيها أمام أسوار
المدينة (١٥ هـ - ٦٣٦ م) وأعطى
أهلها وثيقة الأمان التالية المعروفة بالعهد
العمري :

الخليفة عمر بن الخطاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ بِلْيَاءِ مَرْزَلَانِ . أَعْطَاهُمْ أَمَانًا لَا تُفْتَنُهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . وَكَيْفَاتِهِمْ وَصَلَابَاتِهِمْ
وَسَقِيمَاتِهِمْ وَبَرِيئَاتِهِمْ . وَسَائِرَ مَلِكِيَّتِهَا ، أَنَّهُ لَا تَسْكُنُ كَنَائِسُهُمْ وَلَا تَقْتَدِمُ . وَلَا يَنْقُصُ مِنْهَا وَلَا يَنْخَبِئُهَا . وَلَا يَمْرُضُ صِلَابَهُمْ . وَلَا يَمِينُ
شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . وَلَا يَكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ . وَلَا يُضَارُّ أَحَدُهُمْ . وَلَا يَسْكُنُ بِأَهْلِ بِلْيَاءٍ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنْ الْيَهُودِ .
وَعَلَى أَهْلِ بِلْيَاءٍ أَنْ يَعْطُوا الْبَجْرِيَّةَ كَمَا يَعْطِي أَهْلُ الْمَدَائِنِ . وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا الرُّومَ وَالصُّوَصَ . فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ
حَتَّى يَبْلُغُوا مَا أَمَّنَهُمْ . وَمَنْ قَامَ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ بِلْيَاءٍ مِنَ الْبَجْرِيَّةِ . وَمَنْ لَحِقَ مِنْ أَهْلِ بِلْيَاءٍ أَنْ يَسِيرَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ مَعَ
الرُّومِ وَيَخْلِبِيَهُمْ وَصَلَابَتَهُمْ . فَإِنَّهُمْ آمِنُونَ عَلَى نَفْسِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا مَا أَمَّنَهُمْ . وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ قَعْدٌ ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى
أَهْلِ بِلْيَاءٍ مِنَ الْبَجْرِيَّةِ ، وَمَنْ شَاءَ سَارَ مَعَ الرُّومِ . وَمَنْ شَاءَ حَجَّ إِلَى أَهْلِهِ . لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يَحْصُدَ حَصَادَهُمْ . وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ
نَهَدَ اللَّهُ وَدَمَهُ رَسُولُهُ وَدَمَةُ الْخُلَفَاءِ وَدَمَةُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَعْطُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَجْرِيَّةِ .

عمر بن الخطاب

كتبه ومضاه

شريد عيسى ترك

نماذج لوليد عمرو بن اعص عبد الرحمن بن عوف معاوية بن أبي سفيان

ومن أسماءها في الاسلام : (بيت المقدس) و (البيت المقدس) و (القدس) . وقد اختلف
في تحديد التاريخ الذي سميت فيه بهذا الاسم الأخير . فقد ذهب كثيرون الى ان اسم (القدس) لم
يطلق عليها إلا في العهد التركي (١٥١٧ - ١٩١٧) . مع ان الكتاب والمؤلفين العرب ذكروها بهذا

الاسم قبل ذلك التاريخ بزمان طويل . ومن هؤلاء فيلسوف المعرة ابو العلاء (١٠٥٧ م) الذي ذكرها في شعره فقال :-

يا شاكي النوب انهض طالباً (حلباً) نهوض مضني لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك اذا حاذيتها ورعاً كفعل موسى كلـيم الله في القدس
ومنهم : القاضي مجير الدين ابو اليمن عبدالرحمن العلمي الحنبلي ، الذي وضع في تاريخها كتاباً اسماه :
(الانس الجليل في تاريخ القدس والحليل) ، وكان ذلك سنة ٩٠٠ للهجرة - ١٤٩٤ م .
ومها قيل في اسمائها المختلفة . . تلك الاسماء التي تنوعت بتنوع الامم والشعوب التي نزلتها ،
وتبدلت بتبدل الظروف التي اكتنفها ، على مر الدهور ؛ فإنها بلد تستحق التمجيد ، وبعبارة أخرى
تستحق القول الذي قاله فيها أمير الشعراء شوقي :-

بلد على ارض الهدى وسمائه المجد حائطه ورأس بنائه
بلد بنوه الاكرمون قبورهم وقصورهم وقف على نزلائه

الفرس وبنو أمية :

خضعت القدس لحكم الامويين سنة ٦٤١ م ، في عهد معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الاموية ،
وبقيت في حكمهم زهاء قرن كامل . ومن أهم الاحداث التي جرت فيها على عهدهم بناء المسجدين :
الصخرة والاقصى . وهما اللذان وضعنا من اجلها هذا الكتاب ، وقد بناهما الخليفة عبد الملك بن
مروان .

الفرس وبنو العباس :

وفي زمن الخليفة ابو العباس عبد الله بن
محمد المعروف بالسفاح ، دخلت القدس في حكم
العباسيين (٧٥٠ م) . وظلت تابعة لحكمهم قرناً
وربع القرن . ومن أهم الاحداث التي حدثت
فيها على عهدهم استتباب الامن وتحسن العلاقات
بين المسلمين والنصارى . وسمح الخليفة العباسي
هارون الرشيد (٧٨٦ م) للامبراطور شارلمان
بترميم الكنائس ، وتعهد به بحماية المسيحيين الذين
يقدون الى القدس بقصد الزيارة ، وإعمار قبة
الصخرة من قبل ولده المأمون (٨١٣ م) .



الخليفة هارون الرشيد

القدس في الروايات الطولونية والفاطمية:

لم تذكر القدس كثيراً في دولة بني طولون (٨٧٨ - ٩٠٥ م). لا ولا في زمن الدولة الاخشيدية (٩٣٨ - ٩٦٥ م). سوى أن مؤسس هذه الدولة محمد بن طغج بن بلكين بن خاقان الملقب بالاخشيد عندما توفي بدمشق ، نقل الى القدس ، ودفن فيها ؛ ودفن الى جانبه بعده ولداه : انوجور وعلي الملقب بابي حسن . وكذلك قل عن (كافور) آخر الامراء الاخشيديين الذي كان يخطب باسمه من على منابر مصر والشام والحجاز وفلسطين ، فقد توفي هذا سنة ٩٦٦ م ، ودفن في القدس (١).

القدس الفاطمية:

دخلت القدس في حكم الفاطميين سنة ٩٦٩ ، عندما احتلها جوهر الصقلي وأقام الخطبة فيها باسم المعز . وكان فيها يومئذ عشرون ألفاً من السكان جلهم من الشيعة . وظلت القدس تحت سيطرتهم حتى سنة ١٠٧٢ م عندما استولى عليها الاتراك السلجوقيون . ومن آثار الفاطميين بالقدس : (البيارستان) وهو اول مستشفى عرفته القدس ، كان يقوم في الموضع المعروف بالدباغة في يومنا هذا . و (دار العلم) وهي فرع لدار الحكمة التي أسست في مصر عام ١٠٠٤ للميلاد .

إن احسن وصف للقدس في العهد الفاطمي تجده في كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي . فقد وصفها هذا وصفاً شيقاً ، فشبها بمدن الجنة ، وكانت على حد قوله من اكبر مدائن الكور . . ولم يكن يومئذ اتقن من بنائها . . ولا اعف من اهلها . . ولا اطيب من العيش فيها . . ولا انظف من اسواقها . . ولا اكبر من مسجدها . . . وقد مدح طقسها وماءها . . وعنها وأطيبارها . . . إلى ان قال أنها اطيب من مصر . . وقد جمعت محاسن الدنيا والآخرة . . ولكنه بعد ان مدحها من هذه الناحية راح يذمها من النواحي الأخرى فقال عنها : — انها قليلة الاكتراث بالعلماء والادباء والفقهاء . . وانها كثيرة النصارى وفيهم جفاء . . وان ضرائبها ثقيلة . . . وانه ليس للمظلوم فيها انصار . . .

وفي موضع آخر من كتابه جمع بين الوصفين في جملة واحدة فقال : — انها طشت من ذهب ملئ بالعقارب . . .

وأما السائح المشهور (ناصر بن خسرو) الذي نزل القدس عام ١٠٤٧ م ، فقد وصفها في كتابه (سفرنامه) وصفاً مسهباً قائلاً ما معناه انها كانت على عهده محج المسلمين ، عندما لا يتيسر لهم الحج الى بيت الله الحرام بمكة . وان عدد الحجيج إليها بلغ عامئذ عشرين ألفاً . . . وأنها مشهورة بسورها

وأشجارها ، ومبانيها الحجرية .. وبتجارتها ، واعتدال أسعارها .. وبقمحها ، وتينها ، وزيتها ، وزيتونها (١) .. وان زيت الزيتون كان فيها من الكثرة بدرجة ان سكانها كانوا يحفظونه في احواض وآبار ، الى أن يحين وقت تصديره الى الخارج .

الصليبيون وصلح الدين :

احتل الصليبيون القدس عام ١٠٩٩ للميلاد . أخذوها من (افتخار الدولة) وكان يديرها



البطل صلاح الدين الأيوبي

(١) بقيت القدس مشهورة بزيتونها وكثرة اشجارها ، قرابة ثمانية قرون او يزيد ، الى ان احتلها الاتراك العثمانيون (١٥١٥ م) وكانت عبارة عن غابة من الاشجار ، وكان فيها عدد غير قليل من المصابين ، الى ان غزاها سرب كبير من الجراد فقتل على اشجارها ، وزاد في الطين بلة الحرب العالمية الاولى التي نشبت اول ما نشبت في اوروبا (١٩١٤) ثم سرى لهيبها الى هذا الجزء من العالم ، ودخلت تركيا الحرب فراحت تقطع ما تبقى من الاشجار لتستعملها وقوداً لقطاراتها ، وتنقل جنودها الى ساحات القتال ، وبعملها هذا قضت على ما تبقى من حراج في القدس وفي ما حولها من بلدان .

باسم الاتراك السلجوقيين .

أخذها الصليبيون بعد معركة دامية دامت أربعين يوماً ، وبعد أن نفذ ما كان لدى المسلمين من مؤونة وعتاد . وقد دخلوها في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر الجمعة ١٥ تموز ١٠٩٩ م . وقتلوا يومئذ تسعين ألفاً من سكانها . ولم يختلف اثنان من المؤرخين ، عرب أو فرنجة ، في استنكار الفظائع والنكرات التي اقترفوها .



جندي صليبي محارب

أسس الصليبيون من القدس والبلاد المجاورة لها (مملكة لاتينية) ، جعلوا مقرها القدس؛ وأقاموا عليها الأمير (غودفري دوبريون) ملكاً . ولكن نفوذه على الأطراف كان ضئيلاً . ذلك لأن الصليبيين بنوا حكمهم على أساس الاقطاع . وكان امراء الاقطاع لا يقيمون وزناً للجالس على العرش . بل كان بعضهم يحارب بعضاً . ونسوا الغاية التي جاءوا القدس من اجلها .

وأما الذين كانوا في القدس فقد استولوا على معظم المباني والممتلكات التي وجدوها في المدينة . سواء في ذلك ممتلكات المسلمين أو المسيحيين المنتمين الى الكنيسة الشرقية . فقد حولوا اقبية الصخرة الى كنيسة أسموها (Tempelum Domini) وأما المسجد الاقصى فقد أسموه (Palatium Solomone) واتخذوا جانباً منه كنيسة ، والجانب الآخر مسكناً لفرسان الهيكل . وأضافوا إليه جناحاً جديداً جعلوه مستودعاً لاسلحتهم . واتخذوا السرايب الكائنة تحت المسجد (والتي يسميها المقدسيون في يومنا هذا الاقصى القديمة) إسطبلاً لخيولهم .

ومن آثارهم في القدس : (كنيسة القديسة حنة) بين باب الاسباط وباب حطة . (وكنيسة القديسة مريم) التي بنى الالمان على أنقاضها كنيسة المخلص في الدباغة . و (كنيسة الداوية) قبلي كنيسة القيامة . وكانت هذه (أى كنيسة القيامة) مجزأة ، فجمعوا أجزاءها تحت سقف واحد ، وبنوا القبة المعروفة بـ (كنيسة نصف الدنيا) .

ومن آثارهم المستشفى المعروف بالمارستان . فإن هذا المستشفى الذي بناه الفاطميون ، كان قد

تهدم . فعمره الصليبيون . وأقاموا الى جانبه نزلاً . ومن بقاياها في يومنا هذا السوق المعروفة بـ (سوق البزار) .

وكون الصليبيون في القدس فرقتين فرقه أسموها : (فرسان المستشفى) . وكان المسلمون يلقبونها : (الاسبتاريه) . وأخرى أسموها : (فرسان الهيكل) . وكان المسلمون يطلقون عليها : (الداوية) . وقد حبس رجال هذه الفرقة أنفسهم لمساخة المسلمين ، وإفنائهم .

يد أنهم ، على الرغم من كل ما فعلوه ، لم يستطيعوا التغلب على معنويات المسلمين سكان البلاد الاصلين ، الذين احتفظوا بلغتهم العربية كما احتفظوا بدينهم ومعتقدهم وعاداتهم . وما كانت أعمال الصليبيين إلا لتزيدهم إيماناً فوق إيمانهم ، وظلوا طوال الوقت يفكرون في العودة الى وطنهم . ورغم أن القدس كانت يومئذ تسيطر على طرق القوافل التجارية التي تربط الشام بمصر ، إلا أنها لم تنعم بالراحة وهناء البال طوال الفترة التي قضاها الصليبيون في هذه البلاد . ذلك لأنها واقعة بين اصقاع أهلة بالمسلمين . وما تخلى هؤلاء يوماً واحداً عن غزو الصليبيين . لا ، ولا عن التفكير في استرداد وطنهم السليب .

ولما حانت الفرصة ، اقتنصوها . وجاءت هذه على يد (صلاح الدين) . فماكاد هذا ينهي من معركة حطين . تلك المعركة التي انتصر فيها على الصليبيين (في ٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) حتى راح يفكر في انقاذ بيت المقدس . وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى قام يزحف صوبها . وقد دخلها يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م .

لم يعامل صلاح الدين أعداءه الصليبيين بمثل ما فعلوا . فلم يقتل منهم أحداً ، بعد أن تم له فتح المدينة ، بل أتاح لهم مغادرة المدينة لقاء الجزية . وعفا هو عن كثيرين فدفع الجزية عنهم .

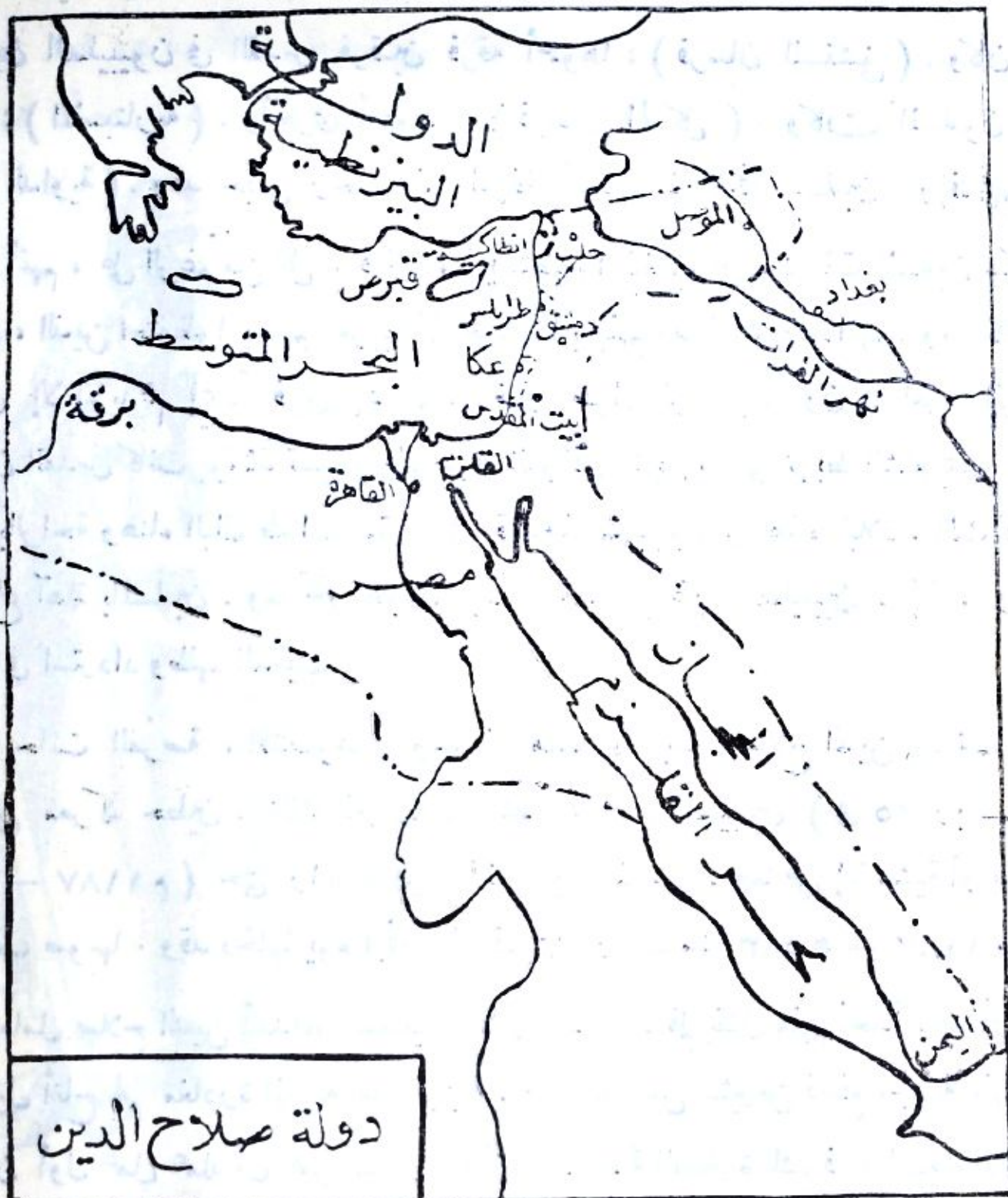
وكان أول عمل عمله أن عمر السور ، وأزال عن قبة الصخرة للشرق والمسجد الأقصى المبارك معالم النصرانية . وأعادها الى ما كانا عليه . وأرجع للمسيحيين الشرقيين كنائسهم وممتلكاتهم التي كان الصليبيون اللاتين قد أخذوها منهم . ومن آثاره في القدس أنه جدد عمارة (البارستان) في البقعة التي تقوم عليها الآن كنيسة الألمان في الدباغة وسوق البزار . ذلك البارستان الذي أنشأه الفاطميون وعمره الصليبيون .

و (الحانقاه الصلاحية) الملاصقة لكنيسة القيامة من الشمال والغرب . فقد نزل فيها عندما فتح القدس ، واتخذها مسجداً ورباطاً للصالحين .

و (قبة يوسف) على الطرف القبلي من فناء الصخرة .

و (جامع الجبل) على جبل الطور .

و (مقبرة باب الساهرة) التي أمر بدفن المجاهدين الذين لاقوا ربهم فيها ، وكانت على عهده تدعى مقبرة المجاهدين .



وفي القدس مدارس كثيرة أنشئت على عهده ، نذكر منها : (المدرسة الصلاحية) عند باب الإسباط . و (المدرسة الحنثية) بجوار المسجد الأقصى خلف المنبر . و (المدرسة الميمونية) على بعد مئتي متر من باب الساهرة خارج السور . و قفها الأمير فارس الدين ميمون بن عبدالله القصري خازن صلاح الدين . وقد سميت من بعده خطأ : (المأمونية) .

ان (المسجد العمري) الكائن الى الجنوب من ساحة كنيسة القيامة ، بناه الملك الأفضل بن صلاح الدين (١١٩٣ م) . وأما (المدرسة الجراحية) التي نراها اليوم في الحي المعروف بالشيخ جراح من أحياء القدس فقد بنيت في عهد عمه الملك العادل سيف الدين . وسميت باسم واقفها

الأمير حسام الدين حسين شرف الدين يحيى الجراحي (١٢٠١ م) . وكان هذا الأمير الطبيب الخاص لصلاح الدين ، وهو الذي عالج قلب الأسد أحد قادة الصليبيين في ذلك الحين .

ومن الأعمال التي عملها صلاح الدين في القدس إنه أتى إليها بعدد من القبائل العربية ، فاقطع كل واحدة منها جانباً من جوانب المدينة . كبنى غانم الدين أقطعمهم الحي القريب من باب الحرم في أقصى الشمال الى الغرب ، والمعروف بدرج الغوانمة . ومن القبائل العربية التي استوطنت القدس يومئذ : بنو حارث ، وبنو مرة ، وبنو سعد ، وبنو زيد ، والجرامنة .

وصلاح الدين هو الذي رتب موسم النبي موسى في القدس ، وموسم النبي صالح في الرملة ، وغيرها من المواسم والأعياد المعروفة في بلادنا ؛ واختار لهذه المواسم الوقت نفسه الذي خصه المسيحيون لعيد الفصح وغيره من أعيادهم ؛ تلك الأعياد التي يفد فيها المسيحيون الغريون الى القدس بأعداد كبيرة . وكان المسلمون يخشون أن يستغل أولئك المسيحيون هذا العدد الوفير من الزائرين فيهاجموا المسلمين ، ويحتلوا المدينة .

والخطأ الوحيد الذي اقترفه صلاح الدين هو أنه ، عندما غادر الصليبيون مدينة القدس ، سمح لهم أن يستوطنوا (عكا) . ولما استوطنوها ، واستقر لهم الأمر فيها وفيما جاورها من أصقاع ، راحوا يرسمون الخطط لاسترجاع القدس من أيدي المسلمين . واستغلوا الخلاف الذي نشب بين أحفاد صلاح الدين بعد موته ، وكانوا هم (أي الصليبيون) قد درسوا طبائع الشرق وطرق مواصلاته ، وقووا صفوفهم بالنجدات الكثيرة التي أتتهم من الغرب ؛ فهاجموا القدس من جديد . وكان يقودهم هذه المرة الامبراطور فريدريك . فعقد هذا مع الملك الكامل (١٢٢٨ م) هدنة جعلت القدس من نصيب الصليبيين ، خلا الحرم القدسي وما فيه من مساجد كالصخرة والأقصى فإنه بقي بيد المسلمين . وكذلك قل عن قرى القدس ، فإنها بقيت بيد المسلمين .

ظل الوضع في مدينة القدس وفيما حولها من قرى هكذا مبليلاً وغير مستقر : تارة يحتلها الصليبيون ، وطوراً يستردها المسلمون . وعدت المؤرخون الحملات الصليبية عليها ، فقالوا إنها سبع ذكرناها كلها في (تاريخ القدس) . الى أن جاء المماليك ، واستولوا عليها . وكانت ذلك في عام ١٢٥٠ للميلاد .

القدس في عهد المماليك :

دخلت القدس في حوزة المماليك سنة ١٢٥٠ م . وظلت تحت حكمهم حتى جاء الأتراك العثمانيون ١٥١٧م ، وأخذوها منهم . وانه لعهد طافح بالمناقصات ، رأت القدس فيه من المماليك الخير والشر

على حد سواء . فقد أنشأوا فيها عدداً كبيراً من المدارس (١) والمنشآت الأخرى كالمساجد والترب
والأروقة والأسواق والخانات . وأضحت ، على عهدهم ، مركزاً لثقافة اسلامية واسعة النطاق .
وانتعشت التجارة على عهدهم ، وكانت القدس مركزاً من أهم المراكز التي ترتادها القوافل من مصر
والشام . وكما ظهر بينهم ملوك وأمراء عظام ، فقد ظهر أيضاً ملوك وأمراء صغار ، لا بأعمارهم
فحسب ، بل وبعقولهم . ولهذا لم يخل عهدهم من فتن وقلقل واضطرابات أقضت مضاجع الأهليين .
ومن الحوادث الجديرة بالذكر على عهدهم : الهدنة التي عقدها الملك المنصور سيف الدين
قلاوون مع الفرنج في عكا (١٢٨٣ م) ومدتها عشر سنين وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر
ساعات ؛ على أن يكون للملك ، مصر والحجاز ومعظم بلاد الشام والأردن وفلسطين ، بما في ذلك القدس .
ومنها : اضطراب جبل الأمن ، واحتباس المطر ، وغلاء الأسعار ، وتفشي الوباء ، في عهد قايتباي ،
حتى قيل أن عدد الدين كانوا يلاقون حتفهم من جراء الطاعون في اليوم الواحد زاد على المئة .
أضف الى ذلك اختلاف الأمراء : من منهم يعتلي العرش بعد وفاة الملك ؟ فلا يكاد يتغلب
الواحد منهم على أخيه ، حتى يثور ضده مما يليكه وأعوانه فيقتلوه . واستشرى هذا الداء بعد وفاة قايتباي .
ومن أشهر ملوكهم الملك الظاهر بيبرس (١٢٦٠ م) وهو الذي جدد ما قد تهدم من مسجد
الصخرة . وبنى على ضريح النبي موسى القبة والمسجد اللذين نراها في يومنا هذا . وقد تم ذلك في
منتصف القرن الثالث عشر للميلاد .

والملك المنصور سيف الدين قلاوون (١٢٨٠ م) . وولده الملك الناصر محمد قلاوون الذي
تولى الملك ثلاث مرات (١٢٩٣ ، ١٢٩٨ ، ١٣٠٩ م) . وله في القدس مدارس ومنشآت
كثيرة ، وهو الذي جدد ذهب القبتين : قبة الصخرة وقبة المسجد الأقصى ، وأنشأ القنطريتين
الكائنتين في صحن الصخرة من الشمال . وعلى عهده عمرت (قناة السبيل) . ووصل الماء الى
المسجد الأقصى . وأنشئ الحوض المعروف بـ (الكأس) بين مسجدي الصخرة والأقصى .

والملك الظاهر برقوق (١٣٨٢ م) . والملك الأشرف برسباي (١٤٣٧ م) وهو الذي جدد
سبيل شعلان وأنشأ سبيل علاء الدين البصري في ساحة الحرم . ووقف على الصخرة أماكن عديدة
تراها منقوشة على بلاطة من الرخام مثبتة على حائط مسجد الصخرة عند بابه من الشرق . والملك
الأشرف أينال (١٤٥٣ م) . وهو الذي عمر المسجد الأقصى وأنشأ السبيل الذي عرف بعدئذ
بسبيل قايتباي . والملك الأشرف قايتباي (١٤٩٥ م) منشيء المدرسة الأشرفية .

(١) كانت هذه المدارس حول الحرم ، وفي الأحياء القريبة منه ؛ وقد ذكرناها كلها ، وذكرنا أسماء
منشئها وواقفها والتواريخ التي أنشئت فيها بالتفصيل في كتابنا : (تاريخ القدس) .

وقد ساء الوضع على عهد الملك الأشرف قنسو الرابع الملقب بالغوري (١٥٠٠ م) عندما هاجم السلطان سليم بن بايزيد هذه الديار . وبعد أن تغلب عليه في مرج دابق على مقربة من حلب ؛ جاء ، فاحتل القدس . وكان ذلك سنة ١٥١٧ م .

القدس في عهد الاتراك العثمانيين

احتل السلطان سليم الملقب بياوز القدس سنة ١٥١٧ م . وبقيت في حوزة العثمانيين اربعمائة عام بالتام .

ومن الحوادث التي جرت على عهدهم والتي لها صلة بالقدس : ما فعله السلطان سليمان بن السلطان سليم ، وهو المعروف بالقانوني . فانه هو الذي جدد عمارة السور . وقد دامت عمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م) . وأنشأ البرج الذي تراه على يمينك وأنت داخل المدينة من باب الحليل (١٥٣٨ م) . وعمر بركة السلطان على مقربة من باب الحليل خارج السور . وأنشأ (١٥٣٦ م) السبل الكائنة بباب السلسلة أمام المدرسة التنكيزية ، وفي طريق الواد ، وفي ساحة الحرم عند الباب المعروف بشرف الأنبياء ، وفي طريق باب الناظر . وبالقرب من باب الأسباط . وجدد قبة الصخرة (١٥٤٢ م) . وعمر أبواب الحرم . ووضع القاشاني في قبة السلسلة (١٥٦١ م) . وعلى عهده أنشئت التكية المعروفة بنحاصكي سلطان في عقبة السرايا . أنشأها زوجته الروسية روكسيلانة (١٥٥٢ م) . و (المدرسة الرصاصية) بحارة الواد . و (مسجد الطور) في المكان الذي تقوم عليه الآن كنيسة الصعود .

وفي زمن السلطان أحمد الأول عرف المقدسيون التبغ لأول مرة في حياتهم ، وحرّم بيع الخمر في مدينة القدس (١٦١٣ م) .

وفي زمن السلطان مراد الرابع حظر على الناس شرب القهوة وتدخين التبغ (١٦٣٣ م) . ان أحسن وصف للقدس في ذلك العهد نجده في مخطوط للسائح التركي الشهير : (أوليا جلي) . فقد نزلها هذا سنة ١٦٧٠ ومدح خبزها وثمارها وخضارها ومسكها وعطرها وبخورها . وقال انه كان فيها يومئذ ألفان وخمسة وأربعون دكاناً ، ومحتسب (رئيس بلدية) ، وأسواق ، وثلاثة وأربعون ألف كرم . ورأى في وسط هذه الكروم زهاء ألف وخمسة منطرة . وأربعون مدرسة للبنين . وثمانية عشر سبيلاً يشرب الماء منها العطشان . وتكاي لسبعين طريقة ، منها الكيلانية والنقشبندية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية . وكان يسكنها ستة واربعون ألف نسمة أكثرهم مسلمون .

ويظهر مما كتبه هذا السائح ان كل شيء في القدس كان يومئذ على غاية مايرام ، خلا (الامن).



فقد كان هذا مفقوداً ولا سيما خارج السور. حيث كان الاشقياء يقطعون الطرق ويسلبون المسافرين. ولهذا انشأ السلطان مراد القلعة المطلة على (برك سليمان) والمعروفة بـ (قلعة مراد) .

ومن الحوادث الجديرة بالذكر ما أصاب القدس في زمن السلطان سليم الثالث (١٧٨٨ م) من ظلم علي يد احمد باشا الجزار ومحمد باشا ابو المرق، الامر الذي حمل سادة البلاد على ان يبيعوا اولادهم في السوق يبع العبيد ...

وفي زمن السلطان محمود الثاني (١٨٠٨) ألغي نظام (الانكشارية) . وسمح للاتين بتعمير معابدهم. وأما الارثوذكس من المسيحيين ولا سيما اليونان، فقد منعهم من تعمير معابدهم (١٨٢٠ م) . وأمر المسلمين من سكان بيت المقدس ان يخلعوا عن رؤوسهم (القاووقة) التي كانوا يلبسونها . ولعلها هي (السكاووتة) الصفراء التي علمهم لبسها الملك المعظم شرف الدين عيسى (١٢١٣ م) ، وكانوا يلبسونها بلا شاش ، ويرخون ذوائب شعرهم من تحتها .

وثار المقدسيون على الحكومة بعد ذلك بأربع سنين (١٨٢٤ م) بسبب ظلم مصطفى باشا والي الشام، والضرائب القاسية التي فرضها على الناس، وكانت القدس من أعماله . ولما ساق عليهم جيشاً قوامه خمسة آلاف مقاتل ، هجروا منازلهم ولجأوا إلى المغاور والكهوف، فلم ينل منهم قيد شعرة . وبعد ان امنوا نساءهم وشيوخهم واطفالهم كروا على القلعة ، فاستولوا عليها ، وأسروا كل من كان فيها ، وطردها جميع الأتراك الذين كانوا في المدينة . وعمل المسلمون على تمكين أوامر الإخاء مع إخوانهم المسيحيين . ولم يستسلموا إلا عندما زحف عليهم عبد الله باشا بجيش جرار ، وقبلت مطالبهم، فألغيت الضريبة الجديدة ، ومنع الجند من التدخل في شؤون المدينة، وأعلن العفو العام . وقد عثرت في إحدى الوثائق التي أمضاها عبد الله باشا ، أنه كان يومئذ يصدر أوامره بوصفه (والي صيدا ومصر والعريش وغزة والقدس ونابلس وجنين) .

ولكن ، ما كادت الثورة تهدأ في القدس على يد عبد الله باشا (١٨٢٧ م) حتى أعلن والي مصر محمد علي باشا الحرب على السلطان . وسندكر ذلك في السطور التالية : -

القدس ومحمد علي باشا :

بعد أن أعلن محمد علي باشا العصيان ضد تركيا في عهد السلطان محمود الثاني ، ساق على بر الشام جيشاً بقيادة ولده ابراهيم باشا . فكان أول عمل قام به هذا أن احتل القدس (١٨٣١ م) . واحتل بعدئذ معظم المدن في فلسطين وسوريا . وسار يبغي فتح الأناضول ، فوصل إلى كوتاهية . وكاد يحتل القسطنطينية عاصمة بني عثمان ، لو لا تدخل الدول الأوروبية . وقد اصططح الفريقان بعدئذ على أن تكون البلاد الواقعة بين أطنه وغزة ولاية تابعة لمصر . وهكذا دخلت القدس في حوزة البيت العلوي .



ابراهيم باشا

ثار الفلسطينيين على المصريين عندما أصدر محمد علي لولده ابراهيم أمره بجمع السلاح ، وفرض بعض الضرائب والرسوم الجديدة ، ودعا الناس الى التجنيد الإجباري . وكانت القدس من أهم مراكز الثورة . فساق عليها ابراهيم باشا جيشاً جراراً . ولما لم يستطع أن ينال مأربه ، استنجد بأبيه . وأمدّه هذا بجيش قوامه ثلاثون ألفاً . توأزرهم عشرة من المدافع الكبيرة . فأخذ ثورتهم مؤقتاً . واعتقل اثنين من زعمائهم . فقطع رأس أحدهما عند باب العمود ، والثاني في سوق الجبوب . ولكن هذه التدابير ما كانت لتقلع من أفئدة الأهلين روح التمرد والعصيان .

إذا ما كادت الثورة تنجو في القدس حتى راحت تشتعل في المدن الأخرى . ولقد زاد في طين ابراهيم بلة مرض الهيضة (الكوليرا) الذي انتشر في القدس وفي سائر أنحاء فلسطين ، الأمر الذي حدا به للانسحاب من هذه البلاد ، فانسحب منها (١٨٤١ م) بعد أن مكث فيها عشرة أعوام ، تاركاً وراءه عدداً غير قليل من المصريين الذين رافقوه في حملته . وانك لترى أحفادهم وقد استقر فريق منهم في القدس ، وفريق آخر في بعض المدن والقرى الفلسطينية الأخرى ، فصاروا منهم .

ومن الانصاف للتاريخ أن نذكر أن القدس والمدن الفلسطينية الأخرى وان كانت في ذلك العهد قاست الأمرين من جراء الحروب والثورات ؛ الا أنها انتعشت من حيث الادارة والمساواة في الحكم وال عمران . فقد اهتم ابراهيم باشا بالمواصلات ، وأنشأ مسافات غير قليلة من الطرق ، وأتاح للتجار الاجانب البيع والشراء ، وألغى الضريبة التي كان حراس الكنيسة منذ عهد صلاح الدين يجبونها من السائحين ، ومنع الرشوة ، ووزع البذار على الفلاحين ، وغرس الأشجار ، وساوى بين الناس ، لافرق بين المسلمين والمسيحيين واليهود .

القدس والاتراك العثمانيون (للحرة الثانية):

ما أن جلى ابراهيم باشا عن القدس (١٨٤١م) ، حتى عادت القدس الى الاتراك العثمانيين . وكان

على كرسي السلطنة يومئذ السلطان عبد الحميد بن السلطان محمود الثاني، ففرض هذا نظام التجنيد الاجباري . وأنفق على عمارة الحرم القدسي عشرين الف ليرة تركية (١٨٦٠م) .
وثار أبناء القدس على متصرفهم كامل باشا ، لأنه رضي أن ترفع الدول الأجنبية أعلامها على منازلهم (١٨٤٣م) . وكان المقدسيون إلى ذلك الحين يعيشون ضمن الأسوار . فراحوا لأول مرة في تاريخ حياتهم يخرجون وبينون العمارات خارج السور (١٨٥٨م) .

وعلى عهد السلطان عبد العزيز أنشئت الطريق التي تربط يافا بالقدس (١٨٦٧ م) ، والطريق التي تربط القدس بنابلس (١٨٧٠ م) ، ورصفت شوارع القدس وأسواقها بالبلاط (١٨٦٣) ، ومنع انشاء المساطب أمام الدكاكين . وعلى عهده عرف سكان بيت المقدس (الطربوش) ولبسوه (١٨٦١م) . وكان يعيش في القدس يومئذ ثمانية وستون ألفاً من السكان . وأنفق عبد العزيز على عمارة الحرم ثلاثين الف ليرة تركية . وجدد المسجد العمري على مقربة من كنيسة القيامة وبني المئذنة التي تراها الى جانبه .



السلطان عبد الحميد الثاني

ومن الأحداث التي جرت في زمن السلطان عبد الحميد الثاني أنه بعد أن أعلن الدستور، ومنح الشعب حق الانتخاب^(١) (١٨٧٧م) ؛ عاد فاسترد هذه المنحة . وأغلق البرلمان . وألغى الدستور (١٨٧٨م) . ونفى الاحرار وراح يدير البلاد حسب مشيئته ، لامشيئة الشعب . وقد عرف عهده بالظلم والاستبداد . ومع ذلك فان الانصاف يقتضينا أن نقول أنه (أي عبد الحميد) منع هجرة اليهود الى فلسطين . وحرّم عليهم شراء الأراضي . وعمل على اعمار المدينة . فأنشأ المستشفى القريب من حي الشيخ بدر (١٨٩١م) . وعلى عهده انشئت السكة الحديدية بين القدس ويافا (١٨٩٢م) .

ومن المنشآت التي تمت على عهده البرج العالي الذي نراه على السور فوق باب الخليل (١٩٠٩م) . والسبيل الذي كان قائماً أمام ذلك الباب خارج السور (١٩٠٧م) . وسبيل قايتباي الذي جدد عمارته (١٨٨٢م) . و (المدرسة الرشيدية) عند باب الساهرة (١٩٠٦م) . وشوارع القدس التي

(١) . مثل القدس في (مجلس المبعوثين) يومئذ المرحوم يوسف ضيا باشا الخالدي .

رصفها رصفاً جديداً (١٨٨٥م) . والحرم القدسي الذي انفق على عمارته ثلاثين الف ليرة عثمانية . وقد فرش به كله بالسجاد العجمي الثمين .

وعلى الرغم من كل ما فعله هذا السلطان في القدس وفي سائر أنحاء البلاد ، فقد عرف عهده بالظلم والاستبداد وفقدان الحرية والارادة الشخصية . وظل الأمر كذلك الى أن تألفت في البلاد جمعية أسموها (جمعية الاتحاد والترقي) . فقامت هذه بانقلاب (١٩٠٨م) أطاح بعبد الحميد ، وأعاد الدستور والبرلمان . وكان منجق القدس يومئذ ممثلاً في البرلمان العثماني بثلاثة اعضاء هم : سعيد الحسيني وروحي الخالدي وكلاهما من القدس ، وحافظ السعيد وهو من يافا .

وخلف عبد الحميد في السلطنة السلطان محمد رشاد الخامس (١٩٠٨م) . وعلى عهده أعلنت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٧م) . وحاول العرب أن يستغلوا الفرصة ، فراحوا يطالبون الدولة العثمانية بالاصلاح واللامركزية . الا أنها ماطلتهم . ولما شاموا الغدر من رجال تركيا الفتاة راحوا يبحثون عن طريق للنجاة . فعلم جمال باشا بالامر . وشنق عدداً كبيراً من رجال العرب في سوريا ولبنان وفلسطين . وكان بين الاحرار الذين شنقهم الطاغية اربعة من الفلسطينيين هم : علي الناشبي (من القدس) سليم عبد الهادي (من نابلس) احمد عارف الحسيني وولده مصطفى (من غزة) .



الملك حسين بن علي

ولما كان الظلم مصرعه وخيم ، فان ما فعله الاتراك بالعرب أدى إلى قيام الثورة . وقد أوقد نارها الشريف حسين بن علي (١٩١٥م) . وما كاد هذا يطلق الرصاصه الاولى حتى لبى نداءه العرب في مختلف أقطارهم . وكان منهم عدد كبير من ابناء بيت المقدس وسائر مدن فلسطين . وكانت النتيجة أن خسر الاتراك الحرب ، ولكن العرب أيضاً خسروا . إذ أت بلادهم بدلا من أن تستقل حسب رغبتهم وقعت فريسة بيد الانكليز والفرنسيين وسند كر ذلك في السطور التالية .



اللورد النبي

القدس والامتلاد البريطاني :

احتل الجيش البريطاني القدس في ٩ كانون أول ١٩١٧ م (١) دخلها عنوة وكان يقوده الجنرال السير ادموند النبي Sir Edmund Allenby . وقد سيطر على فلسطين كلها . ومكث البريطانيون في هذه البلاد حتى ١٥ أيار ١٩٤٨ . أداروها باديء ذي بدء (١٩١٧ - ١٩١٩) ادارة عسكرية .

ثم راحوا يديرونها ادارة مدنية (١٩٢٠ م) . واليك أسماء المندوبين الذين أقامتهم بريطانيا في القدس ، وولتهم شؤون فلسطين : -

- ١ - السير هربرت صموئيل ١٩٢٠
- ٢ - الفيلد مارشال بارون بلومر ١٩٢٥
- ٣ - اللفتنانت كولونيل السرجون تشانسيلور ١٩٢٨ Lt.-Colonel Sir John Chancellor .
- ٤ - اللفتنانت جنرال السير آرثور غرنفيل واكهوب ١٩٣٠
- Lt.-General Sir Arthur Grenfell Wauchope .
- ٥ - السير هارولد الفرد ماك ماكل ١٩٣٨ Sir Harrold Alfred MacMichael .
- ٦ - الفيلد مارشال الفيكونت غورت ١٩٤٤ Field - Marshal Viscount Gort .
- ٧ - اللفتنانت جنرال السير ان غوردن كاتنغهام ١٩٤٥
- Lt. - General Sir A len Gordon Cunningham .

(١) ذكرت الحركات الحربية كلها ، من بدء حملة القتال الى أن تمكن الانكليز من الاستيلاء على القدس ، في كتابي : (تاريخ غزة) و (تاريخ القدس) . فليرجع اليها من شاء .

وانا لا نعدو الحق إذا قلنا أن الثلاثين عاماً التي قضاها البريطانيون في هذه البلاد كانت مليئة بالقتال والثورات . فلم يخل يوم من أيامها من حادث جلل ، بسبب الحطة الهوجاء التي اتبعتها البريطانيون في سياستهم . ولو أردنا أن نذكر كل ما أصاب البلاد على يدهم ، لما تمكنا من ذلك في هذا الكتاب .

هذا ولا بد لنا أن نشير ، بشيء من الإيجاز ، إلى الوقائع التالية التي أدت إلى نكبة فلسطين . فنقول :
بينما كان الانكليز يفاوضون الملك حسين من أجل إعلان الثورة العربية ضد الاتراك ، ويعدون له باستقلال بلاد العرب ، فيما إذا قبل ذلك ، وقد صدقهم وثار على الاتراك (١٩١٥) وكان السبب في انهزامهم وانتصار الانكليز ، كانوا هم (اي الانكليز) يفاوضون اليهود ، ويعدونهم بتحقيق أمنيتهم في فلسطين . وقد أعطوهم الوعد المشهور بـ (وعد بلفور) .

والغريب في الأمر أن هذا الوعد الذي أعطي في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بقي في طي الخفاء . فلم يذع ، ولم يدر به العرب إلا بعد أن احتل البريطانيون القدس . ذلك لأنهم لم يعودوا في حاجة (؟) لرضا العرب سكان البلاد .

ولهذا ما كادت أبناء وعد بلفور والوطن القومي اليهودي تذاع حتى راح الناس يعلنون سخطهم واستنكارهم . وتزعزت ثقتهم ببريطانيا . ققامت في القدس وفي غيرها من المدن الفلسطينية مظاهرات صاخبة . وتحولت هذه المظاهرات بعدئذ إلى اضطرابات وثورات . وكان أهمها ذلك الاضطراب الذي حدث في القدس في ٤ نيسان ١٩٢٠ . والذي قتل من جرائه عدد كبير من اليهود وقليل من العرب .

والاضطراب الذي حدث بعدئذ (١٩٢١ م) في يافا ، والذي قتل من جرائه ٤٨ من العرب و ٤٧ من اليهود . وازداد الموقف حرجاً بعد أن فرض الانتداب على فلسطين في ٢٩ أيلول ١٩٢٣ وعهد إلى بريطانيا أن تجعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية ، تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . الأمر الذي جعل الفلسطينيين يثورون ويحتجون ويعقدون المؤتمرات ، هاتفين بسقوط الوطن القومي اليهودي وسقوط الانتداب . ولكن صراخهم لم يجد فتيلاً . لأنه لم يكن مدعماً بالسلاح إلا قليلاً .

ولهذا مضت حكومة الانتداب في تنفيذ الخطط التي وضعتها من أجل الوصول إلى أهدافها ، يزعماً اثنان من أقدر الرجال هما : المندوب السامي الأول السير هربرت صموئيل ، والمستشار القضائي الأضون نورمان بنتويش ، وكلاهما يهودي الأصل صهيوني المبدأ .

فحرم على الناس حمل السلاح ، ومن يحمله يعدم ؛ وإقامة المظاهرات إلا بإذن . وفتحت أبواب

فلسطين لهجرة يهودية واسعة النطاق ، وأعطيت مرافق البلاد لليهود ، منها الامتياز الذي منحه روتبرغ من أجل اضاءة فلسطين بالكهرباء . والامتياز الذي منحه نوفو مسكي وتولوخ من أجل استثمار أملاح البحر الميت . ومنح اليهود أيضاً جميع التسهيلات من أجل الحصول على أراضي العرب . هذا بالإضافة الى أراضي الدولة التي منحتم إياها الحكومة . ولما تمادى البريطانيون واليهود من ورائهم في غيهم ؛ قامت في القدس ونابلس ويافا والحليل وصفد وفي سائر أنحاء فلسطين ثورة جامعة (١٩٢٩) قتل من جرائها ١٣٣ من اليهود و ٩١ من العرب . عندئذ أرسلت الحكومة لجنة للتحقيق برئاسة السير والتر شو Sir Walter Shaw وبعد التحقيق أصدرت هذه قرارها في آذار ١٩٣٠ . وجاء قرارها مؤيداً ، بوجه عام ، حق العرب . عندئذ أصدرت الحكومة المنتدبة (الكتاب الأبيض) . وقد حددت فيه الهجرة وبيع الأراضي ، إلا أنها عادت ، فسجبت هذا الكتاب في أقل من أربعة شهور (١) .

وهكذا ظلت فلسطين بوجه عام والقدس بوجه خاص ، تتقل على جمر الثورات والمظاهرات والاصطدامات وسوء الحكم وسوء النية ، إلى أن أيقنت بريطانيا أن زمام الأمور قد أفلت من يدها . وانه من الأفضل لها أن تتخلى عن الشيء الذي أسمته بالانتداب . فحالت المشكلة الفلسطينية كلها ، بقضها وقضيضها ، إلى هيئة الأمم . واصدرت هذه قرارها القائل بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وكان ذلك بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ . وقد ذكرت ماجره هذا القرار على البلاد من نكبات وويلات في كتابي الذي أسميته : (النكبة) (٢) . فليرجع إليه من شاء .

القدس في العهد الاردني :

قلنا في الفصل السابق الذي خصصناه للقدس في عهد الانتداب البريطاني أن هيئة الامم أصدرت ، في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، قرارها القائل بانهاء الانتداب البريطاني ، وتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين : احدها عربية ، والاخرى يهودية . وأما القدس فقد أراد القرار أن تكون دولية . وحدد منطقة القدس الدولية هكذا : من الشرق أبو ديس . من الغرب عين كارم . من الشمال شعفاط . من الجنوب بيت لحم . وعهد إلى (مجلس الوصاية) التابع لهيئة الامم أن يضع دستوراً مفصلاً لهذه المنطقة

(١) الكتاب الأبيض صدر في ٢٤ تشرين اول ١٩٣٠ والبيات الذي أصدره رئيس الوزراء بنقضه صدر في ١٣ شباط ١٩٣١ .

(٢) طبع الجزء الاول من هذا الكتاب في المطبعة المصرية بصيدا سنة ١٩٥٦ م ، وقد ذكرت فيه جميع الحوادث التي حدثت في فلسطين بوجه عام ، وفي القدس بوجه خاص ، من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (١٩٤٧) إلى ان انسحب الانكليز من البلاد . وفي الاجزاء التي تلتها ذكرت ما فعلته الجيوش العربية الى ان امضيت اتفاقات الهدنة في رودس (١٩٤٩) .

ولكن هذا القرار بقي حبراً على ورق . إذ ما كاد يصدر حتى نشبت نار القتال بين الفريقين . وامتد لهيها حتى شمل جميع المدن والقرى . وكان أشدها في مدينة القدس . وكاد المجاهدون العرب يستولون على المدينة كلها ، لولا أن لعبت السياسة دورها وأعلنت الهدنة الأولى في ١١ حزيران ١٩٤٨ . فحمد اليهود ربهم . إذ نجاهم من ضيق . وفي ذلك قال قائد منهم (١) : -

« إن يهود القدس كانوا ، قبل إعلان الهدنة ، في كرب شديد . وكادوا يموتون خوفاً وعطشاً وجوعاً . حتى أنهم راحوا ، قبل إعلان الهدنة بيوم واحد ، يتظاهرون في شوارع المدينة ، ويصرخون بملء أصواتهم ، طالبين الى زعمائهم أن يعقدوا مع العرب صلحاً ينقذهم مما هم فيه . ولما جاء البشير يحمل اليهم نبأ الهدنة ، خروا سجداً ، شاكرين ربهم ، إذ أنقذهم من خوف وعطش وجوع . »

وخم هاري ليفين دعاءه قائلاً : لك الحمد يا الهي ! فقد نجت اسرائيل ! .

ولما استؤنف القتال في ٩ تموز ١٩٤٨ كان اليهود في غضون الهدنة قد أتموا اتفاقهم وأعدوا عدتهم لمنازلة العرب . فنازلوهم . واستولوا على مساحات جديدة من البلاد ما كانوا يملكون بالاستيلاء عليها ، لولا تهاون العرب ، وتحاذلهم ، وعدم اتفاق ملوكهم ورؤسائهم فوق القتال في ١٨ تموز ١٩٤٨ .

وأقرت اتفاقية الهدنة المعقودة في رودس بين الأردن واسرائيل ، في اليوم الثالث من شهر نيسان ١٩٤٩ ، كلاً من الفريقين ، العرب واليهود ، في المناطق التي احتلوها أثناء القتال (١٩٤٨) على أن لا يؤثر هذا الحل المؤقت على مطالب أي فريق من الفريقين في مفاوضات الصلح الأخيرة . وبقيت القدس مجزأة قسمين : -

أما القسم العربي فإنه يشمل المدينة القديمة داخل السور ، وبعض الأحياء العربية الكائنة خارج السور ، من الشمال والشرق .

وأما القسم اليهودي فإنه يشمل ما تبقى من الأحياء الكائنة خارج السور ، من الجنوب والغرب . ليس لليهود في القسم العربي أكثر من مئة دونم ملكاً . وأما أملاك العرب في القسم اليهودي فإنها تزيد على ضعف ما يملكه اليهود أنفسهم .

(١) انه هاري ليفين مؤلف كتاب (القدس في حصار) Jerusalem Embattled by Harry Levin

وهناك بين القطاعين ، العربي واليهودي ، منطقة أسموها : (المنطقة الحرام) . وقد حضر على كلا الفريقين اجتيازها . ويرابط على الحدود في القطاع الاسرائيلي جيش اسرائيل ، وفي القطاع العربي الجيش العربي ؛ وهو من أقدر الجيوش العربية التي ترابط في هذا الجزء من الشرق العربي ، وأحكمها نظاماً ، وأكثرها طاعة ، وأشدّها اخلاصاً . وكان باستطاعته أن يحتل القدس كلها لو كان قائده عربياً مخلصاً لقومه وبلاده .

عبر هذا الجيش حدود فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨ . وفي ٢٤ نيسان ١٩٥٠ ضم الجزء المتبقي بيد العرب من فلسطين وهو العربي ، الى الاردن . وأعلن توحيد ضفتي الاردن في مملكة واحدة سميت : (المملكة الاردنية الهاشمية) . وقد تم ذلك على يد الملك عبد الله بن الحسين .



الملك عبد الله بن الحسين

وتولى الملك بعد الملك عبد الله ولده طلال . ثم جاء الملك حسين بن طلال في ٢ أيار ١٩٥٣ . وكان أحسن عمل عمله هذا الملك الشاب أن أنهى في اليوم الأول من شهر آذار ١٩٥٦ خدمات رئيس أركانه الفريق غلوب باشا . وكان هذا يقود الجيش كما يشاء هو لا كما تشاء مصلحة البلاد . وراح الملك بعدئذ يعمل على تعريب الجيش . وفي ١٣ آذار ١٩٥٧ أنهيت المعاهدة الاردنية - البريطانية . فراح الجيش البريطاني ينسحب من البلاد . ولم يكد فجر اليوم السابع من شهر تموز ١٩٥٧ يطل ، حتى كان آخر جندي من الجنود البريطانيين الذين رابطوا في الاردن قرابة أربعين عاماً ، قد غادر البلاد .

ومن الاعمال التي تمت في القدس ، خلال السنوات العشر التي انقضت (١٩٤٨ - ١٩٥٨ م) كثيرة المدارس ، واقبال الناس على العلم ، واستتباب الامن في الداخل ، وتوسع حركة البناء والعمران ، وانتشار الوعي القومي في جميع انحاء البلاد . وهذه الحركة المباركة التي نراها قائمة من أجل اعمار الحرم القدسي ، وقد وصفناها في الفصول القادمة .

ومن أحسن ما جرى في هذه الفترة من التاريخ - وله صلة بموضوع كتابنا هذا - هو النظام الذي وضعته الحكومة سنة ١٩٥١ ، وقد عدلت به النظام القديم الذي كان يعرف بـ (توجيه الجهات) . ويتلخص ما جرى بان سدنة الحرم والموظفين القائمين على أمره من أئمة وخطباء ومدرسين

كانوا يتوارثون الخدمة أباً عن جد كما يتوارث الناس المال والعقار . وكان الابن يقوم بعمل أبيه بعد وفاته فيخطب المسلمين في صلاة الجمعة ، حتى لو كان جاهلاً . وأما الآن ، فان النظام الجديد يشترط (الكفاءة) في جميع الحالات . فلا ينتدب الابن للعمل ، الا اذا تساوت كفايته مع الطالبين الآخرين . الأمر الذي فصلناه تفصيلاً في الصفحات الأخيرة من الكتاب .



جلالة الملك حسين العظم

ومن أهم الأحداث التي تمت في هذا العهد اتحاد المملكتين الاردنية والعراقية على يد الملكين فيصل والحسين . ذلك الاتحاد الذي تم يوم الجمعة في ٢٤ رجب سنة ١٣٧٧ هجرية الموافق ١٤ شباط ١٩٥٨ ميلادية . وهو يقضي بتوحيد الجيشين العراقي والاردني وتوحيد النقد والسياسة الخارجية ومناهج التعليم ، وازالة الحواجز الجمركية . على أن تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة وبسيادتها على أراضيها ونظام الحكم فيها ؛ وان يكون ملك العراق رئيساً لحكومة الاتحاد ، وفي حالة غيابه يتولى الرئاسة ملك الاردن ؛ وأن يكون مقر حكومة الاتحاد في كل من بغداد وعمان لستة شهور .

هذه وما إليها من النقاط والمبادئ الأساسية للاتحاد الذي تم بين بغداد وعمان ، أدمجت في صلب (الدستور) الذي اقره الطرفان واصبح نافذ المفعول اعتباراً من ٢٦ آذار ١٩٥٨ وهو اليوم الذي دفعنا فيه هذه السطور للطبع .

وإنا لنضرع لله عزوجل ان يسد خطى العرب في جميع اقطارهم ، وان يأخذ بيدهم الى ما فيه خيرهم واتحادهم ؛ فيؤلفوا (اتحاداً عربياً فدرالياً) يشمل الجزيرة العربية كلها من أديانها الى اقصاها . ومن سار على الدرب وصل .

القدس كما رأيتها عام ١٩٥٨^(١)

موقعها الجغرافي :

انها واقعة بين البحر الميت من الشرق ، والبحر الأبيض المتوسط من الغرب . تبعد عن الأول ١٨ ميلا وعن الثاني ٣٢ ميلا . وهي مرتفعة نحو ٣٨٠٠ قدماً عن سطح البحر الميت و ٢٥٠٠ عن سطح البحر المتوسط .

مناخها :

مناخها جميل ، وهوؤها ناشف وعليل . يهب عليها من البحر نسيم بليل ، فيلطف حرها في الصيف ، ويبرد هواءها في الليل . شتاؤها وان كان بارداً . الا انه ليس قاسياً ، ولا يسقط الثلج فيها الا نادراً ، وان سقط فانه لا يدوم اكثر من يوم في السنة او بعض يوم .

سكانها :

أن عدد سكان فلسطين كان عند صدور قرار التقسيم ١٦٨٥٠٠٠ نسمة ، منهم ١٢٠٠٠٠٠ عربي ، والباقيون ٥٦٥٠٠٠ يهود . وأما في القدس نفسها فكان يعيش ١٦٤٠٠٠ نسمة من السكان . وكان هؤلاء موزعين كما يلي :

| المجموع | يهود | عرب | |
|----------------|---------------|---------------|---------------------------------------|
| ٣٦٠٠٠٠ | ٢٤٠٠٠ | ٣٣٦٠٠٠ | في البلدة القديمة داخل السور |
| ٣٩٠٠٠٠ | ٩٠٠٠٠ | ٣٠٠٠٠٠ | في الجزء العربي من المدينة خارج السور |
| ٨٩٠٠٠٠ | ٨٨٠٠٠٠ | ١٠٠٠٠ | في الجزء اليهودي منها خارج السور |
| <u>١٦٤٠٠٠٠</u> | <u>٩٩٤٠٠٠</u> | <u>٦٥٠٠٠٠</u> | |

هكذا كان الوضع قبيل صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ .
وأما اليوم ، وقد أصابها ما أصابها بعد قرار التقسيم ، وانفرد اليهود في حكم القسم الذي احتلوه . فراحوا يملأونه بالمهاجرين الذين أتوا بهم من أوروبا والولايات المتحدة ومن جميع أنحاء العالم ؛ فقد

(١) ان هذه المعلومات والارقام تشمل ، في معظم فصولها ، الجزء العربي من المدينة ولا تشمل الجزء اليهودي . ذلك لأن الارقام والمعلومات التي وصلت اليها عن الجزء اليهودي خاطئة ومضللة ، ولأننا لم نتمكن من تحقيقها بسبب الحواجز القائمة بين الجزئين ، وحالة الحرب التي ما برحت قائمة بين العرب واليهود .

تغيرت نسبة السكان في البلاد كلها بوجه عام ، وفي القدس بوجه خاص .
أما مدينة القدس فان العرب واليهود منفصلون فيها انفصال تاماً ، وعدددهم في كل من
القطاعتين كما يلي :

| المجموع | يهود | عرب | |
|---------|---------|--------|--|
| ٤٠ر٠٠٠ | — | ٤٠ر٠٠٠ | في البلدة القديمة داخل السور |
| ٣٥ر٠٠٠ | — | ٣٥ر٠٠٠ | في الجزء العربي من المدينة خارج السور |
| ١٤٩ر٤٤٠ | ١٤٩ر٤٤٠ | — | في الجزء اليهودي من المدينة خارج السور |
| <hr/> | <hr/> | <hr/> | |
| ٢٢٤ر٤٤٠ | ١٤٩ر٤٤٠ | ٧٥ر٠٠٠ | |

وأما في فلسطين كلها فان عدد السكان في كل من القطاعتين كما يلي :

| المجموع | يهود | عرب | |
|-----------|-----------|-------------|---|
| ٨٢٧ر٦٧٧ | — | (١) ٨٢٧ر٦٧٧ | في القطاع العربي (الضفة الغربية للاردن) |
| ١ر٨٧٢ر٣٩٠ | ١ر٦٦٧ر٤٥٥ | (٢) ٢٠٤ر٩٣٥ | في القطاع الاسرائيلي |
| <hr/> | <hr/> | <hr/> | |
| ٢ر٧٠٠ر٠٦٧ | ١ر٦٦٧ر٤٥٥ | ١ر٠٣٢ر٦١٢ | |

مساحة أراضيها :

كانت مساحة المدينة ، قبل صدور قرار التقسيم ، كما يلي :

١٩٩ر٢٠ دونماً - منها ٨٦٨ دونماً في المدينة القديمة داخل السور و ١٩٩ر٣٣١ دونماً في المدينة الجديدة خارجه . يملك العرب منها في المدينة القديمة ٧٦٨ دونماً (أي ٨٨ر٤٧ ٪) واليهود مائة دونم (أي ١١ر٥٣ ٪) . وأما في المدينة الجديدة فللعرب ١١ر٤١٠ دونماً (أي ٥٣ر٨٧ ٪) ولليهود ٥٠ر٥٠ (أي ١٢ر٢٦ ٪) وللحكومة ٥٦٠ دونماً (أي ٢ر٨٩ ٪) وهناك ٣٣١٠ دونمات (١٧ر١٢ ٪) عبارة عن طرق وميادين عامة وما الى ذلك من أماكن يشترك في ملكيتها جميع السكان .

وأما قرار التقسيم فقد وسع هذه المساحة ، فجعلها ١٧٥ر٥٠٤ دونماً . وقال بوضعها كلها تحت ادارة دولية . مع أن معظمها (أي معظم المنطقة التي قرر جعلها دولية) وقدره ١٤٨ر٦٥٩

(١) اذا اضفنا الى هذا العدد من سكان الضفة الغربية (٨٢٧ر٦٧٧) عدد سكان الضفة الشرقية (٦٢٦ر٠٠٠) يكون مجموع سكان المملكة الاردنية الهاشمية ١ر٤٥٣ر٦٧٧ وقد اقتبسنا هذه الأرقام من النشرة الاحصائية الأردنية لسنة ١٩٥٧

(٢) من هذا العدد : ١٤١ر٣٩٥ مسلمون و ٤٣ر٧٤٦ مسيحيون و ١٩ر٧٩٤ دروز . وقد اقتبسنا هذه الأرقام من النشرة الاحصائية الاسرائيلية لسنة ١٩٥٦

دونغاً ملك للعرب . ولا يملك اليهود منها سوى ١٢٢٩٨ و الباقي ١٤٥٤٧ دونغاً
للحكومة والطوائف الأخرى .

السور:



القدس مدينة جبلية .
انها مرتفعة عن سطح البحر
الأبيض المتوسط ٢٥٠٠
قدماً . . . وهي قيمان : قسم
قديم ، وآخر حديث . يفصل
بينها سور قديم ومتين . بناه
الاقدمون بقصد الدفاع عن
المدينة ، يوم لم يكن هناك
طائرات ولا قوة ذرية .

اعتاد الناس أن يقولوا
انه من بناء السلطان سليمان
الثاني المعروف بالقانوني ،
وهو من آل عثمان . والحقيقة
أن هذا السلطان لم يبن
السور كله . بل أضاف الى
السور القديم جزءه الأعلى .
وأما أجزاءه السفلى فانها

باب الأسباط

من آثار الامم التي سبقته كاليوسيين والبرانيين والرومان والبيزنطيين والصليبيين والأيوبيين
والمماليك .

ولما دخلت القدس في حوزة الأتراك العثمانيين ، كان السور في معظم أجزائه متهدماً . فعمره
السلطان سليمان . ودامت عمارته خمسة أعوام (١٥٣٦ — ١٥٤٠ م) والسور الذي نراه في يومنا
هذا هو الذي جدده هذا السلطان .

طوله ميلان ونصف الميل . وارتفاعه يتراوح بين ٣٨ قدماً و ٤٠ . له أربعة وثلاثون برجاً .

وسبعة أبواب مفتوحة هي : باب الأسباط من الشرق . و ^(٤)باب الساهرة و ^(٥)باب العمود من الشمال . و ^(٦)باب الخليل من الغرب . و ^(٧)باب النبي داود و ^(٨)باب المغاربة من الجنوب . و ^(٩)الباب الجديد من الشمال الغربي . وهذا هو أحدث الأبواب .
كانت هذه الأبواب كلها تغلق عند غروب الشمس . يوم لم يكن يقطن خارج السور انسان . وظل الحال كذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر ، عندما شرع المقدسيون في بناء المنازل خارج السور . وكان ذلك حوالي سنة ١٨٥٨ للميلاد .

جبالها :

القدس مدينة جبلية . ومن أشهر جبالها : (الطور) ويسمونه جبل الزيتون . و (سكوبس) ويسمونه جبل المشارف . و (صهيون) ويسمونه جبل النبي داود . و (المكبر) وعلى هضبة من هضابه يقوم الحي المعروف بالثوري .
لكل واحد من هذه الجبال مكانته في التاريخ . وقد أوردناها كلها في : (تاريخ القدس) .
ونريد هنا أن نجتزئ فنقول :

إن (جبل الزيتون) واقع في طرفها الشرقي . عليه حطت رحلها جيوش الرومان والبيزنطيين . وكثيراً ما كان السيد المسيح يغشاه . لا سيما عندما حاول اليهود التنكيل به ، فهرب منهم . وفيما كان يصعد الجبل التفت الى اورشليم وخطبها قائلاً :

« يا اورشليم ! يا اورشليم ! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ! كم مرة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها ! ولكن . لم يريدوا . . . »

وعلى هذا الجبل عسكر المسلمون عندما فتحت على يد عمر بن الخطاب . انه هو المقصود من الآية الكريمة : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » . وكذلك قل عنه في عهد صلاح الدين .

وأما (جبل المشارف) فانه في شمال المدينة ، يسميه المقدسيون المشهد . والفرنجة سكوبس . ذلك لأن الفاتح المقدوني العظيم اسكندر ذو القرنين أطل منه على المدينة عندما جاء يفتحها . وعلى هذا الجبل تقوم الآن أجمل منازل المدينة .

و (جبل صهيون) هو المطل على بركة السلطان من الغرب وسلوان من الشرق والحرم القدسي من الشمال . على هذا الجبل كانت تقوم القدس القديمة في عهد اليوسيين .

وهنا على هذا الجبل تناول السيد المسيح والحواريون عشاءهم السري .

وأما (جبل المكبر) فانه كائن قبلي المدينة . ممي المكبر لأن الخليفة عمر بن الخطاب كبر

ثلاثاً عندما وقف عليه ورأى المدينة قبل أن يدخلها . وعلى جانب من هذا الجبل هضبة يقوم عليها ضريح المجاهد الاسلامي المعروف : (أبو ثور) . انه الإمام شهاب الدين ابو العباس احمد بن جمال الدين القرشي . وقد اشترك مع صلاح الدين في فتح القدس . وكان يركب ثوراً .

مياه القدس :

عرفت القدس منذ القدم بندرة مائها ، وكان تزويدها بالماء على مر العصور امراً إدا . ذلك لانها قائمة على تلال مرتفعة لا ينبع الماء فيها . وكان جل اعتمادها في القرون الغابرة على مياه الامطار ^(١) وعلى الينابيع الضئيلة الكائنة في جوارها .

اما الينابيع فمعظمها في سلوان الى الجنوب الشرقي من المدينة : كمين (ام الدرج) و (بركة سلوان) و (البركة الحمراء) و (بير ايوب) و (عين اللوزة) . وبعضها الى الشمال الشرقي من المدينة وعلى بعد عشرة كيلو مترات منها ويسمونها : (عين فارة) .

وهناك (رأس العين) تبعد عن القدس ٣٧ ميلا الى الشمال الغربي . وقد سحبت مياهها الى القدس سنة ١٩٣٥ للميلاد . ولكنها توقفت أثناء القتال عام ١٩٤٨ .

واما البرك التي تتجمع فيها مياه الامطار ، فان منها ما هو داخل السور : مثل (بركة حزقيا) بين سوقة علون وحرارة النصارى ويسمونها (بركة البطرك) . و (بركة اسرائيل) بين باب الاسباط وباب حطة . ومنها ما هو خارج السور مثل (بركة السلطان) على بعد بضعة مئات الامتار من باب الخليل غربي السور . و (بركة ماملا) إلى الشمال الغربي من المدينة وتعرف بمأمن الله .

وهناك ثلاث برك كبيرة تدعى (برك سليمان) . انها على طريق الخليل وعلى بعد خمسة عشر كيلو متراً من القدس الى الغرب . ويسمونها (برك المرجيع) . يأتي اليها الماء من ينابيع عديدة : (١) وادي العروب و (٢) وادي البيار و (٣) البالوع و (٤) عيون ارطاس . وبين هذه البرك ومدينة القدس قناة يسيل فيها الماء . انها قناة حجرية قديمة عمرها الرومان . وعني بها المسلمون اثناء حكمهم ؛ فعمروها وأضافوا اليها تحسينات كثيرة . وكانوا يسمونها (قناة السبيل) . وكان الماء يجري فيها الى بيت لحم فالقدس . وقد استبدل جانب منها بأنايب من حديد . ولما نشب القتال بين العرب واليهود اثر قرار التقسيم عام ١٩٤٧ واحتل اليهود الناحيتين الغربية والقبلية من المدينة ، حالوا دون وصول الماء الى الاحياء العربية . وحال العرب يومئذ دون وصول الماء من (رأس العين) الى الاحياء اليهودية .

(١) بلغ المعدل السنوي للامطار التي هطلت خلال قرن من الزمن (١٨٤٥ - ١٩٤٥) ٦٢٠٠ مليمتراً

ولولا الآبار والصحاري التي تتجمع فيها مياه الأمطار ، وهي موجودة بكثرة في منازل المدينة ،
لمات سكانها من العطش أثناء القتال ، (١٩٤٨) .
ولما أمضيت اتفاقية الهدنة في رودس (١٩٤٩) راح العرب يشربون الماء من (عين فارة)
واليهود من (رأس العين) . وبقي الوضع هكذا الى يومنا هذا .

طيورها ومواشها :

يعيش فيها جميع أجناس الطيور والدواجن والمواشي . وهي تستورد مواشها من العراق
وسوريا ومن نجد وتركيا . واحياناً من يوغوسلافيا . والأرقام التالية تبين عدد المواشي التي ذبحت
بقصد الاستهلاك خلال سنة ١٩٥٦ :

ضان ١٦٠٦٩٣ ماعز ١٩٠٨٢٣ بقر ٢٠٥٦٧ جمال ٣٧٣ خنازير ٨٠

صناعاتها وتجارتها :

في القدس صناعات وان كانت قليلة العدد ، إلا أنها من الجودة والفائدة السياحية بحيث تستحق
الذكر : كصناعة الغزل والنسيج ، وصناعة القاشاني ، والحزف ، والشمع ، وخشب الزيتون ، والصدف ،
وجدل سعف النخيل ، ومعاصر الحمص ، وصناعة البلاط والحاجر ، والقرميد ، وصناعة الشوكولاته ،
والبسكوت ، والمعكرونة ، وأدوات الزينة ، والتحف التذكارية .

وأما صناعة الصابون التي اشتهرت بها القدس في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع
عشر ، فقد اضمحلت بعد سنة ١٨٧٦ م ، يوم اكتسحت المدينة أسراب كثيرة من الجراد ، وأنت
على قسم كبير من أشجارها ، لا سيما شجر الزيتون . ثم أتى الأتراك في الحرب العالمية الأولى
(١٩١٤ - ١٩١٧ م) فقصوا على ما تبقى من تلك الأشجار . استعملوها وقوداً للتدفئة ، وتسيير قطر
السكة الحديدية . وكانت القدس حتى ذلك التاريخ غنية بزيتها وزيتونها ، وكان فيها عدد كبير من المصابين .
وأما تجارتها فانها محدودة . لانغالي اذا قلنا أنها تقتصر على المواد الغذائية وأدوات البناء
والحاجات الضرورية التي لاغنى لها عنها . وهي تستوردها من الخارج . ولا تصدرها إلا الى
المدن والقرى التابعة لها .

فالقمح يأتيها من وراء الاردن وحووران والعراق . والدقيق من كندا والمانيا وفرنسا والعراق
وسوريا . والأرز من مصر وسوريا . والسمن الحيواني من سوريا ومصر ولبنان واستراليا .
والنباتي من هولندا والدانمارك وسيلان والولايات المتحدة . والجبين من سوريا ومن أوروبا والولايات
المتحدة . والمواشي من سوريا والعراق وتركيا ونجد . واللحم المقدد من الأرجنتين والولايات المتحدة

ومن فرنسا والدانمارك وسائر انحاء أوروبا. والأسماك الطازجة من لبنان والعقبة. وأما المجففة فمن أوروبا والولايات المتحدة. والتمور من العراق. وقمر الدين من سوريا. والسكر من مصر وتركيا ومن بعض المدن الأوروبية. أما الفواكه والخضار فإن لديها ما يكفيها، يأتيها من المزارع والقرى المجاورة. وكثيراً ما تفيض هذه عن حاجتها فتصدرها إلى الخارج، وتستورد غيرها أنواعاً أخرى عن طريق المفايضة: كالبصل والثوم والتفاح والبرتقال والليمون الذي تستورده من مصر وسوريا ولبنان لقاء الموز والبندورة والبطيخ والباذنجان وما إلى ذلك من خضار.

وأما البن فإنه يأتيها من الحبشة والبرازيل وأوغندا وتانجانيقا. والشاي من سيلان والصين والهند. والتبغ والتبناك من الولايات المتحدة ومن تركيا وإيران. والحمور من فرنسا وهولندا وانكلترا والولايات المتحدة. والنفط من المملكة العربية السعودية والعراق ومن فنزويلا والولايات المتحدة ومن إيران والبحرين.

أسواقها :

في القدس أسواق عديدة، بعضها قديم من العهد الصليبي وصلاح الدين، والبعض الآخر جديد. بعضها مسقوف، والبعض الآخر مفتوح. جلها، إن لم أقل كلها، مرصوف. ومن أشهر أسواقها القديمة: سوق العطارين، سوق القطنين، سوق اللحامين، سوق النحاسين، سوق البازار، سوقة علون، سوق الدباغة، سوق خان الزيت، سوق باب العمود، وهذه الأسواق كلها في البلدة القديمة، داخل السور.

وهناك أسواق جديدة نشئت حديثاً خارج السور، معظمها في الأحياء الكائنة بين باب العمود وباب الساهرة، وبعضها في طريق صلاح الدين. وهناك سوق للخضار حديثة العهد أنشأتها بلدية القدس في وادي الجوز على الطراز الحديث وكان ذلك قبل سنتين.

المصارف والبنوك:

في القدس خمسة بنوك هي:

البنك العربي، البنك العثماني، البنك البريطاني، البنك العقاري، بنك الأمة العربية.

هذه البنوك تدار من لدن شركات مالية معروفة. وهناك المصرف الزراعي وهو مصرف حكومي، ومجلس الاعمار وهو مؤسسة مالية حكومية.

الاسلوب الاداري :

انها مركز اللواء المعروف بـ (لواء القدس). وهو أحد الألوية الثلاثة (القدس ونابلس

والخليل) الواقعة في الضفة الغربية من الاردن . ومن هذه الضفة والضفة الشرقية التي تضم ألوية (البلقاء وعجلون والكرك ومعان) ومحافظة عمان ، وهي العاصمة تتألف المملكة الاردنية الهاشمية . ويقوم على رأس هذه المملكة الملك حسين بن طلال . وهو الذي يعين الوزراء ويقيلمهم . والوزراء يحاسبون على أعمالهم من قبل نواب تنتخبهم البلاد . و (مجلس النواب) مؤلف من أربعين نائباً ، نصفهم من سكان الضفة الشرقية ، والنصف الآخر من الضفة الغربية . وللقدس وقطاعها في هذا المجلس ثلاثة نواب . والادارة الحكومية في القدس مؤلفة من محافظ يشرف على ادارة المدينة وقطاعها بوجه عام ، والاماكن المقدسة بوجه خاص . وهناك متصرف وأربعة من قائمي المقام (أحدهم في القدس والثاني في رام الله والثالث في بيت لحم والرابع في أريحا) وعدد من الموظفين في كل قضاء يمثلون مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة .

بلدية القدس :

هي الأداة المحلية التي تشرف على شؤون المدينة ، وتعنى براحة السكان من جميع النواحي ، كالتنظيف والتنوير ، وإنشاء الطرق والمجاري ، وترتيب الأسواق ، وتحديد الأسعار ، وإنشاء الحدائق والبيادين ، ومراقبة المكييل والأوزان والمقاييس ، والإشراف على مسائل البناء والعمران ، وتوزيع المياه ، وما إلى ذلك من الأمور الداخلية .

وفي القدس (مجلس بلدي) ينتخب أعضاؤه انتخاباً من قبل دافعي الضرائب ، أما رئيسه فيعينه وزير الداخلية من الأعضاء المنتخبين .

إن التاريخ وإن كان قد حدثنا عن وجود مثل هذه الأداة المحلية في مدينة القدس منذ أوائل الفتح الإسلامي ؛ إلا أن أعمال البلدية لم تكتسب شكلاً منظماً ، إلا عندما أصدر الأتراك نظام الولايات . وكان ذلك عام ١٨٦٤ . وظهر بعد قليل (١٨٧٥ م) قانون يحدد انتخاب المجالس البلدية . وبعد أن كان إيراد البلدية لا يتعدى ٥٠٠ ليرة عثمانية (١٨٦٤) أصبح الآن (١٩٥٧) ١٩٧٠٠٠ دينار أردني . وبعد أن لم يكن في البلدية سوى عدد يعد على الأصابع من الموظفين (١٨٦٤ م) ازداد هذا العدد فأصبح في يومنا هذا (١٩٥٧) ٢٥٠ موظفاً .

مدارس القدس :

في القدس ٤٦ مدرسة : منها ١٤ حكومية و ٤ تابعة لوكالة غوث اللاجئين وهذه تأتمر بأوامر هيئة الأم المتحدة والباقية ٢٨ أهلية .

وأما في سائر أنحاء القطاع (أي رام الله والبيرة وأريحا وقراها) فان عدد المدارس ١٩٥ منها : ١١٦ حكومية و ٤٩ تابعة لوكالة الغوث و ٣٠ أهلية .

والارقام التالية تريك عدد الطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات في المدينة وقطاعها .
اقتبسناها من سجلات مصلحة التربية والتعليم :-

| المجموع العام | بمجموع المدارس في القدس وقطاعها | | عدد المدارس في قطاع القدس | | نوع المدارس |
|---------------|---------------------------------|--------|---------------------------|--------|-------------------|
| | للبنين | للبنات | للبنين | للبنات | |
| ١٣٠ | ٨٤ | ٤٦ | ٧٦ | ٤٠ | المدارس الحكومية |
| ٥٣ | ٢٦ | ٢٧ | ٢٤ | ٢٥ | مدارس وكالة الغوث |
| ٥٨ | ٤٤ | ١٤ | ٢١ | ٩ | المدارس الاهلية |
| ٢٤١ | ١٥٢ | ٨٧ | ١٢١ | ٧٤ | |

| المجموع العام | بمجموع عدد الطلاب والطالبات | | عدد الطلاب والطالبات في قطاع القدس | | نوع المدارس |
|---------------|-----------------------------|----------|------------------------------------|----------|-------------------|
| | الطلاب | الطالبات | الطلاب | الطالبات | |
| ٢٩٢٠٤ | ١٩٩٩١ | ٩٢١٣ | ١٥٣٣٩ | ٥٨٥٣ | المدارس الحكومية |
| ١٥٥٤٣ | ١٠٤٣٠ | ٥١١٣ | ٩٦٢٤ | ٤٧٤٤ | مدارس وكالة الغوث |
| ٩٩٤٥ | ٦١٦٧ | ٣٧٧٨ | ٢٨٧٣ | ١٦٢٣ | المدارس الاهلية |
| ٥٤٦٩٢ | ٣٦٥٨٨ | ١٨١٠٤ | ٢٧٨٣٦ | ١٢٢٢٠ | |

| المجموع العام | بمجموع المعلمين والمعلمات في القدس وقطاعها | | عدد المعلمين والمعلمات في قطاع القدس | | نوع المدارس |
|---------------|--|----------|--------------------------------------|----------|-------------------|
| | المعلمون | المعلمات | المعلمون | المعلمات | |
| ٨١٣ | ٥٧١ | ٢٤٢ | ٤٥٩ | ١٥٢ | المدارس الحكومية |
| ٤٢٧ | ٢٦٨ | ١٥٩ | ٢٤٧ | ١٤٦ | مدارس وكالة الغوث |
| ٥٠٨ | ٢٦٥ | ٢٤٣ | ١٠٧ | ١٠٩ | المدارس الاهلية |
| ١٧٤٨ | ١١٠٤ | ٦٤٤ | ٨١٣ | ٤٠٧ | |

والارقام التالية تبين عدد المدارس والطلاب والطالبات والمعلمين والمعلمات في المملكة كلها :

| المجموع | اهلية | وكالة | حكومية | عدد |
|---------|-------|-------|--------|----------------------|
| ١١٢١ | ٢٥٤ | ١٦٨ | ٦٩٩ | مدارس البنين والبنات |
| ١٦٨٦٦٠ | ٢١٦٠٩ | ٣١٤٢٦ | ١١٥٦٢٥ | الطلاب |
| ٧١٦٤٨ | ١٣٤٢٦ | ١٨٠٥٨ | ٤٠١٦٤ | الطالبات |
| ٤٥٧٠ | ٧٠١ | ٨٧٥ | ٢٩٩٤ | المعلمين |
| ٢١٤١ | ٧٠٧ | ٤٨٩ | ٩٤٥ | المعلمات |

المكتبات العامة والخاصة :

في الجزء العربي من القدس ١٨ مكتبة عامة تغشاها الجماهير في أي وقت شاءت .
وإننا لندأكروها فيما يلي حسب تاريخ تأسيسها بالسنة الميلادية :

| | | | |
|------|--|------|---|
| ١٩٠٢ | مكتبة المعهد الألماني الإنجلي | ١٥٥١ | مكتبة القديس المخلص |
| ١٩٢٠ | مكتبة الكلية العربية (في المدرسة الرشيدية) | ١٧٢٥ | مكتبة الخليلي |
| ١٩٢٠ | مكتبة مدرسة الآثار البريطانية | ١٨٦٥ | مكتبة البطريركية الأرثوذكسية |
| ١٩٢٧ | المكتبة الإسلامية (بالمسجد الأقصى) | ١٨٨٦ | مكتبة الآباء الدومنيكيين |
| ١٩٢٧ | مكتبة الآباء اليسوعيين | ١٨٩٠ | مكتبة كنيسة القديس جورج |
| ١٩٢٨ | مكتبة المتحف الفلسطيني | ١٨٩٠ | المكتبة الانجيلية الأثرية الفرنسية |
| ١٩٢٩ | مكتبة غولبنجيان الأرمنية | ١٨٩٥ | مكتبة الجمعية الروسية الأرثوذكسية |
| ١٩٣٣ | مكتبة جمعية الشبان المسيحية | ١٩٠٠ | المكتبة الخالدية |
| ١٩٣٣ | مكتبة الجمعية الخيرية الصلاحية | ١٩٠١ | مكتبة المدرسة الأميركية للبحث عن الآثار الشرقية |

وهناك مكتبات خصوصية يملكها بعض الأسر القديمة : كمكتبة آل الفتياي ومكتبة آل البديري ومكتبة آل قطينه والمكتبات التي أنشأها كل من : المرحوم عبد الله مخلص ، المرحوم خليل السكاكيني ، المرحوم اسعاف النشاشيبي ، المرحوم عادل جبر ، المرحوم الشيخ خليل الخالدي ، الدكتور اسحق موسى الحسيني ، الشيخ جمعه يوسف النجار ، ومؤلف هذا الكتاب .

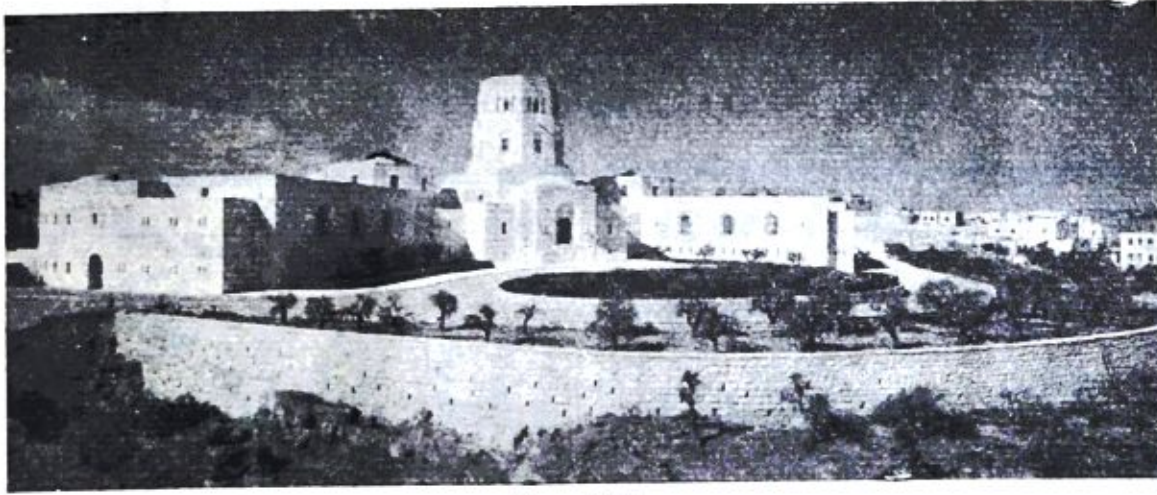
وهناك مكاتب تجارية تباع فيها الكتب والأدوات المدرسية كمكتبة الأندلس التي تولت طبع هذا الكتاب ومكتبة بيت المقدس ومكتبة فلسطين ومكتبة صندوقة العلمية ومكتبة المنار ومكتبة المعارف ومكتبة الشناوي والمكتبة العالمية والمكتبة الجديدة ودار الكتب ومكتبة القدس ومكتبة الاقتصاد . بعضها داخل السور والبعض الآخر خارجه .

وهناك وكالات ودور للطباعة والنشر والتوزيع . وثلاث صحف اخبارية تصدر يومياً : (فلسطين) و (الدفاع) و (الجهاد) . وصحيفتان اسبوعيتان هما : (الصريح) و (البلاد) .

متاحف القدس :

في الجزء العربي من المدينة متحفان كبيران جديران بالذكر هما :
(المتحف الحكومي) ويسمونه متحف روكيفلر . ذلك لأنه انشيء بمال وهبه الثري الأميركي

المعروف روكيفلر J. D. Rockefeller يوم رصد هذا (١٩٢٧ م) لمشروع المتحف مليونين من



متحف الآثار بالقدس

الدولارات . صرف
منها نصف مليون
للبناء . ونصف مليون
للأثاث والكتب .
واحتفظ بالباقي وقدره
مليون دولار في بنك
انجلترا ليصرف ريعه

على إدارة المتحف . بناه كبير المهندسين الحكوميين في ذلك الحين المستر هاريسون
B. Harrison وفتح المتحف ابوابه للجمهور سنة ١٩٣٨ . إنه كأثر تجاه الزاوية الشمالية
الشرقية لسور القدس .

و (المتحف الإسلامي) واقع في ساحة الحرم على مقربة من المسجد الأقصى . أسسه المجلس
الإسلامي الأعلى سنة ١٩٢٣ .

وهناك متحفان صغيران : أحدهما في العمارة التي تملكها الجمعية الأميركية للبحث عن الآثار
الشرقية على طريق صلاح الدين وفي الحي المعروف بالساهرة .

والآخر في المدرسة الصلاحية على مقربة من باب الأسباط . يملكه (الآباء البيض)
المعروفون بالآباء الدومنيكيين .

وهناك عدد آخر من المتاحف والجمعيات التي تبحث عن الآثار ، ذكرناها كلها بالتفصيل
في كتابنا : (تاريخ القدس) .

الجمعيات والنوادي :

في القدس ٦٨ نادياً : ٦ للرياضة و ١٤ للثقافة و ٤٨ للأمور الخيرية والدينية ، عدد الأعضاء
المتمنين لهذه النوادي عشرون ألفاً . منهم ١٥٠٠٠ ذكور و ٥٠٠٠٠ أنثى .

وهناك أربع جمعيات تعاونية مجموع أعضائها ١٢٧ و فرق كثيرة للكشافة . ومن أكبر الجمعيات
التي تعمل في المدينة : جمعية للاخوان المسلمين ، وأخرى للشبان المسيحيين ، وثالثة للاتحاد النسائي .
وهناك أيضاً اصلاحيات ودور للاحداث وأخرى للاجئين .

الأمراض والمستشفيات :

ان الأمراض السارية المنتشرة أكثر من غيرها في القدس وفيما حولها من ضياع هي :

- ١ الحصبة ٥ أبو كعيب (أبودغيم) ٩ ذات الرئة ١٣ الحمى القرمزية
 ٢ جذري الماء ٦ زحار أميي ١٠ الحمرة ١٤ الانفلونزا
 ٣ التيفوئيد ٧ بارا تيفوئيد ١١ الخانوق ١٥ شلل الاطفال
 ٤ السعال الديكي ٨ التهاب السحايا ١٢ الحمى الراجعة ١٦ السل الرئوي
- هذه المعلومات اقتبسناها من تقرير لمصلحة الصحة عن الربع الأول من السنة الفائتة
 (١/١ - ١٩٥٧/٣/٣١).

في قطاع القدس سبعون طبيباً منتشرون كما يلي :

٣٨ في القدس ١٠ في رام الله ١٠ في أريحا ٩ في بيت لحم ٢ في البيرة ١ في بيت جالا . بين هؤلاء الأطباء ثلاث سيدات والباقيون رجال . وأما في المملكة كلها فعدد الأطباء - خلا المنخرطين في الجيش - ٢٣٢ طبيباً .

وفي القطاع نفسه ٢٩ صيدلياً . منهم ١٤ في القدس ٧ في رام الله ٤ في بيت لحم ٢ في أريحا وواحد في كل من بيت جالا والبيرة . هذا مع العلم أن عدد الصيادلة في المملكة كلها - خلا الجيش - ١٠٦ صيدلياً .

وفيه أيضاً ١٣ مستشفى وثلاثة ملاجئ . إليك أسماءها وأسماء أصحابها وعدد الأسرة في كل واحد منها : -

| عدد متسلسل | اسم المستشفى | البلد | صاحب المستشفى | عدد الاسرة |
|------------|---------------------------|----------|---------------------|------------|
| ١ | مستشفى الهوسبيس | القدس | الحكومة | ٨٠ |
| ٢ | مستشفى اوغوستا فيكتوريا | » | الاتحاد اللوثيري | ٣٤٥ |
| ٣ | مستشفى مار يوسف | » | راهبات ماريوسف | ٨٠ |
| ٤ | مستشفى مار يوحنا - للعيون | » | فرسان المستشفى | ٤٥ |
| ٥ | مستشفى اسبافورد | » | الجلالية الاميركية | ٥٠ |
| ٦ | مستشفى الهلال الاحمر | » | جمعية الهلال الاحمر | ١٦ |
| ٧ | مستشفى البرص | » | الحكومة | ٢٠ |
| ٨ | مستشفى الملك حسين | بيت جالا | الحكومة | ٧٥ |
| ٩ | مستشفى الامراض العقلية | بيت لحم | الحكومة | ٢٥٠ |
| ١٠ | المستشفى الافرنسي | » | راهبات مار يوسف | ١٠٠ |
| ١١ | مستشفى سيدتنا مريم | » | السيدة سكسك | ١٧ |

| عدد الاسرة | صاحب المستشفى | البلدة | اسم المستشفى | عدد متسلسل |
|---------------|-------------------|----------|-----------------------|---------------|
| ٤٩ | الحكومة | رام الله | مستشفى الحكومة | ١٢ |
| ٥٢ | الحكومة | أريحا | مستشفى الحكومة | ١٣ |
| ١٧ | السيدة سكسك | بيت لحم | ملجأ العجزة والمقعدين | ١٤ |
| ٢٠ | الجمعية الانطونية | » | ملجأ العجزة والمقعدين | ١٥ |
| ٦٠ | راهبات الوردية | ابو ديس | ملجأ العجزة والمقعدين | ١٦ |

التتمثيل الفصلي :

في القدس ١٥ قنصلاً يمثلون الدول الآتية :
العراق ، مصر ، لبنان ، العربية السعودية ، تركيا ، ايران ، الحبشة ، اليونان ، المملكة المتحدة ، الولايات المتحدة ، فرنسا ، اسبانيا ، البلجيك ، ايطاليا ، المانيا الغربية .

السياحة :

يعتمد سكان القدس في معيشتهم على موارد مختلفة: أهمها السياحة . ثم المهن الحرة ، فالتجارة ، وأعمال البناء ، ورواتب الموظفين . وأعني بالموظفين هنا : موظفي الحكومة والبلدية والاماكن المقدسة . وما يرسله المغتربون الى ذويهم من المهجر .
اما السياحة فانها من اغنى الموارد ، إذ يحج اليها في كل عام عدد كبير من السياح والزائرين . ويبلغ هذا العدد في بعض السنين خمسين الفاً اويزيد . يعيش من وراءهم تجار الجبوب واللحوم والحضار ، وأصحاب السيارات وسائقوها ، وأصحاب الفنادق والمطاعم والملاهي ، وموظفو شركات السياحة والطيران . والتراجم والادلاء ، وما الى ذلك من كتاب وعمال . فان فيها ١٣ فندقاً معداً لقبول المسافرين ، هي : فندق الامباسادور ، اورينت هاوس ، الزهراء ، شبرد ، البتراء ، الفندق الوطني ، كلارج ، سيتي ، خلف (جيروسالم) ، رغدان ، امبريال ، قصر الفرسان ، لورنس . وهناك ثلاثة منازل اخرى هي : نزل جمعية الشبان المسيحية ، نزل الكولونية الاميركية ، ونزل سان جورج . أضف الى هذا عدداً كبيراً من الفنادق الصغيرة الواقعة داخل السور وخارجه .

وسائل النقل :

تبعد القدس عن دمشق ٢١٦ ميلاً برآ وعن بيروت ٢٨١ وعن بغداد ٦٨٧ . وتربطها بهذه المدن طرق معبدة من الطراز الاول . وهناك ١٧١٦ سيارة مسجلة على اسماء اصحابها في المدينة

منها ٧٥٤ سيارة خصوصية و ٥٠٠ حكومية و ٩١٢ سيارة معدة لنقل البضائع والركاب .

أما جواً فإن المسافة بينها وبين المدن العربية الأخرى كما يلي : -

دمشق ١١٠ أميال بيروت ١٤٣ القاهرة ٣٥٠ بغداد ٥٤٧ الكويت ٨٠٤ عن طريق بيروت، الظهران ١١٩١ عن طريق بيروت والكويت .

وهناك في القدس ١٢ مكتباً للطيران تمثل الشركات الآتية : شركة الطيران العربية ، الطيران الاردني ، الخطوط الجوية اللبنانية ، الخطوط الجوية الكويتية ، شركة مصر للطيران ، شركة طيران الشرق الاوسط ، الخطوط الجوية البريطانية ، الخطوط الجوية الافرنسية ، الخطوط الجوية السويسرية ، الخطوط الجوية الاسكندنافية ، الخطوط الجوية الهولندية ، إيطاليا .

وللقدس مطار يبعد عنها ستة أميال ، وهو منها الى الشمال . هبطت فيه (١٩٥٧) ٦١١٢ طائرة تحمل ٥٨٧٢٣ راكباً و ١٨٨ طناً من البضائع و ١٥ طناً من البريد .

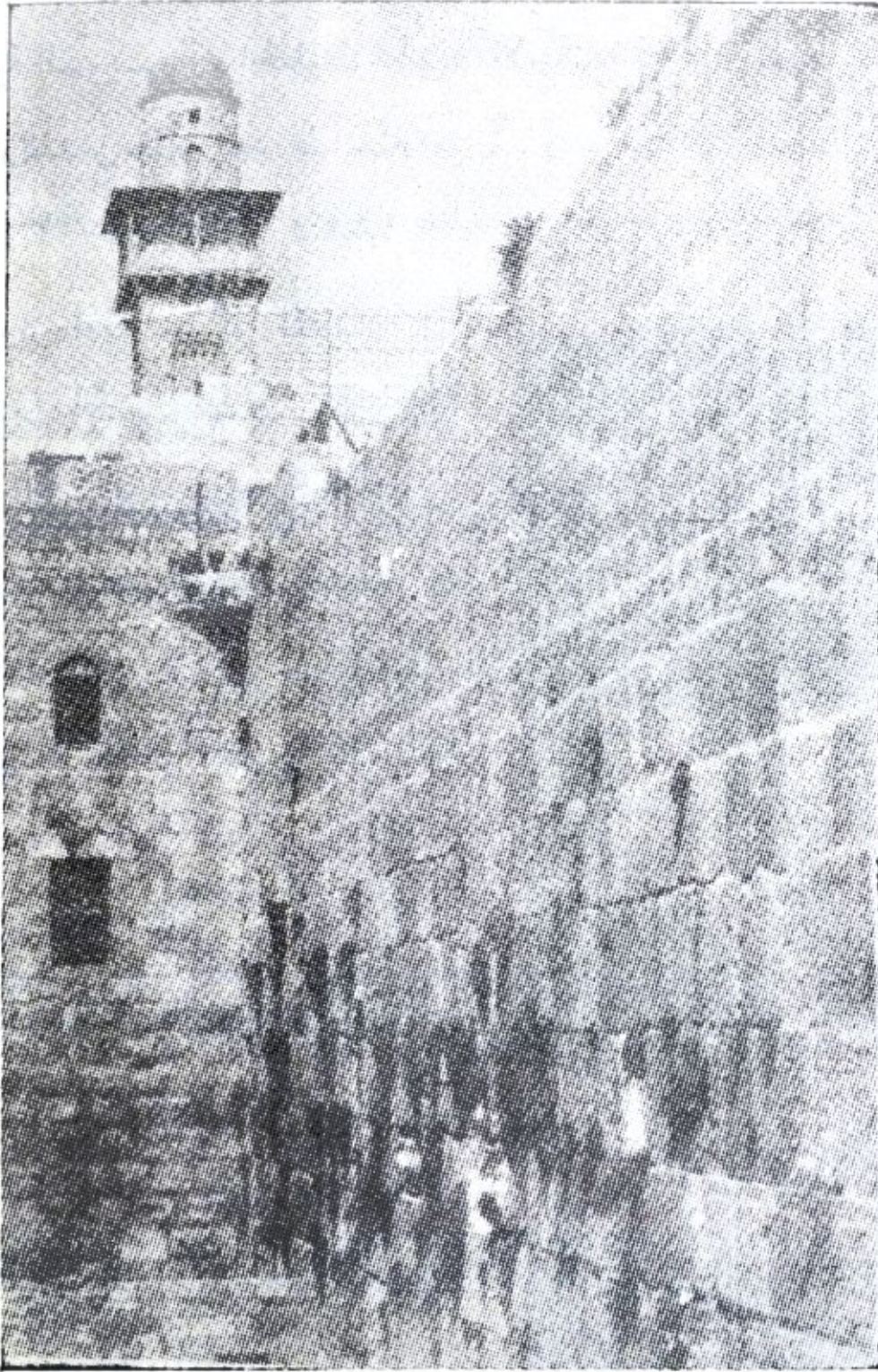


جندي من الجيش العربي

وازدادت حركة المطار في السنوات الأخيرة انتعاشاً، كما ازداد اقبال الناس على زيارة الأماكن المقدسة . ويقوم على حماية الحدود وحراسة البلاد كتائب من الجيش العربي مجهزة بأحسن الأسلحة ومدربة على القتال أحسن تدريب . ورجال هذا الجيش معروفون ، جنوداً وضباطاً، بالشجاعة والاخلاص ومعرفة الواجب والقدرة على النضال . وكذلك قل عن رجال الشرطة والدرك ورجال الحرس الوطني من أبناء البلاد .

أماكنها المقدسة

انه لمن حسن الحظ أن تكون الأماكن المقدسة كلها .. اسلامية ومسيحية .. بقيت، بعد وقف القتال، في القسم العربي من المدينة: لا سيما المسجد الأقصى وقبة الصخرة وجدار الحرم المعروف بالبراق وكنيسة القيامة ومعظم الكنائس والاديار التي تملكها الطوائف المختلفة . انها كلها للعرب : مسلمين ومسيحيين .



حائط البراق:

حائط طويل مرتفع طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ . حجارتها ضخمة . واقع غربي الحرم القدسي داخل السور .

ان المسلمين يقدسون هذا المكان ، لأنه الموضع الذي ربط الملك جبرائيل عنده براق النبي العربي عليه الصلاة والسلام ، عندما أسرى به الى المسجد الأقصى؛ وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى... »

ومن هنا جاء اسمه في

الاسلام : (البراق) . وانه لجزء لا ينفصم عن المسجد الأقصى ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

حائط البراق

الاماكن المقدسة المسيحية :

للمسيحيين في القدس أما كن مقدسة كثيرة أهمها : كنيسة القيامة التي تخص جميع الطوائف خلا طائفة البروتستانت . وهؤلاء يعتقدون أن المسيح صلب ودفن في المكان المعروف بقبر البستان على مقربة من باب العمود والى الشمال من السور، وليس في الموضع الذي بنت فوقه الملكة هيلانة كنيسة القيامة . وسنأتي على ذكر هذه الكنيسة الكبرى في السطور الأخيرة من هذا الفصل .



درب الآلام

ودار يسمونها : دار القديسة فيرونيكا واقعة في عقبة المقي ، على درب الآلام .

أما الآن فبودنا أن نقول :

ان للروم الارثوذكس اثني عشر ديراً ؛
أهمها : دير قسطنطين (١) ، دير ابينا ابراهيم ،
دير مار يوحنا المعمدان ، دير مار سابا ،
دير مار الياس ، دير الجليل على جبل
الزيتون وفي هذا الدير الكنيسة المعروفة
بـ (غاليليا) وفيه يصطاف بطريرك الروم
الارثوذكس . وكنيسة ستنا مريم فيها قبر
يواكيم وحنة والدي مريم البتول . وللروم
في هذه الكنيسة شركاء هم الارمن . كما أن
فيها حجرة يصلي فيها الاقباط والسريان .
وللروم الكاثوليك ابرشية أنشأها
البطريرك مكسيموس مظلوم ١٨٤٨ م .
ولهم كنائس وأديار ، نذكر منها :

كنيسة القديسة حنة على مقربة من باب
الاسباط . كان فيها مسكن يواكيم وحنة والدي
مريم البتول . وكانت على عهد صلاح الدين
رباطاً للصالحين . وهي الآن للاباء البيض .

(١) انه قاعدة اديار الروم ، لا في القدس وحدها ، ولسكن في فلسطين كلها . يسمونه : (كندر كسوت
من استريون) . وقد اتخذوه داراً للبطريركية . ذكرنا هذا الدير مع الأديرة والكنائس الأخرى التي تخص
جميع الطوائف المسيحية في كتابنا : (المسيحية في القدس) . وقد ذكرنا مع كل دير وكنيسة اسم الباني وتاريخ
البناء والموضع الذي يقوم عليه . فليرجع اليه من شاء .

وهناك كنائس وأديار تخص الارساليات الكاثوليكية التي يشرف عليها بطاركة اللاتين .
نذكر منها : دير المخلص ، دار البطريركية ، القازانوف ، كنيسة مار فرنسيس ، حبس المسيح
للآباء الفرنسيين . وكنيسة القديس اسطمان للآباء الدومنيكيين . و (الجثمانية) حيث قبض جند
الرومان على السيد المسيح بخيانة يهوذا الاسخريوطي .
ودير مار يوسف لراهبات مار يوسف ورهبانه من الآباء الكرمليين . ونوتردام دو فرانس
للآباء الانتقاليين . انه أمام الباب الجديد وعلى بعد بضعة أمتار من السور الى الشمال .
ودير فيه كنيسة ومدرسة لأخوة المدارس المسيحية . أما الكنيسة فاسمها : (قلب يسوع) .
وأما المدرسة (الفرير) فانها من أرقى الكليات .
وللأرمن أيضاً دير يسمونه (دير مار يعقوب) واقع بين القشلاق وباب النبي داود . وفيه
كنيسة ودار البطريركية ومدرسة للاهوت ومكتبة فيها كتب قيمة . ودير الزيتونة وحبس المسيح .
وللموارنة دير كائن في حارتهم . وهو قريب من سوقة علون .
وللأقباط دير يسمونه : (دير السلطان) . فيه كنيسة : كنيسة الملك ، وكنيسة
الحيوانات الأربعة . ودير مار انطونيوس . وفي هذا الدير أيضاً كنيسة القديس
انطونيوس ، وكنيسة الملكة هيلانة . ولهم كنيسة في الجثمانية ، وهيكل على جبل الزيتون .
وكنيسة باسم مار يوحنا خارج القيامة .
والاحباش كنيسة خارج السور ودير ملاصق لكنيسة القيامة وهو جزء من دير السلطان .
وللسريان الارثوذكس دير مار مرقس في حارة الجواعنة . ودير العدى على درب الآلام . واما
السريان الكاثوليك فلهم دير مار مبارك الى الشرق من سلوان وفيه كنيسة يشرف عليها الآباء البندكتيون .
وللروس دور وكنائس معظمها واقع خارج السور ، في مكان واسع الارحاء يعرف بـ (المسكوية) .
وهم اول من شيد بناء خارج السور . وكان ذلك حوالي سنة ١٨٥٨ للميلاد . ولهم دير يعرف
بالمسكوية على مقربة من خان الزيت . وكنيسة باسم (مريم المجدلية) على سفح جبل الزيتون . وكنيسة
في أعلى قمة لجبل الزيتون يسمونها : (كنيسة الصعود) .
والالمان البروتستانت : كنيسة القادي بالدباغة . ونزل اوغوستا فكتوريا على جبل الزيتون
ويسميه العرب : المطع . وهو الآن من أعظم مستشفيات المدينة . وأما الالمان الكاثوليك فلهم
العمارة الفخمة المواجهة لباب العمود ، وفيها كلية شملت للبنات ، بنوها باسم القديس بولس .
وكنيسة نياحة العذراء (دورمبثيون) امام ضريح النبي داود وعلى بعد بضعة خطوات من السور
الى الجنوب .
وللارسالية الانجيلية كاتدرائية باسم القديس جورج . ومستشفى للعيون باسم (مار يوحنا) .

وهو من أعظم مستشفيات المدينة . وهناك كنيسة باسم القديس بولس تشرف عليها الطائفة الانجيلية الاسقفية العربية . ولهذه الطائفة أسقف عربي هو المطران نجيب قبعين . وهو أول مطران عربي يتولى هذا المنصب .
بعد هذه اللوحة الحافظة التي القيناها على الأماكن المقدسة المسيحية . نريد أن نذكر شيئاً عن (كنيسة القيامة) وتاريخها فنقول :

كنيسة القيامة :

بنتها الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين (٣٣٥ م) . أقامتها فوق (الجلجلة) في الموضع الذي اكتشفت فيه الحشبة التي قيل أن السيد المسيح صلب عليها (١) . دام البناء الذي بنته هيلانة مائتين وسبعين سنة .



وقد أحرقها الفرس عندما احتلوا القدس في عهد كسرى (٦١٤ م) . وأحرقوا معها جميع الكنائس والاديار التي كانت يومئذ في القدس واشترك اليهود مع الفرس في أعمال الحرق والتدمير . أعاد بناءها الراهب مودسطس رئيس دير العبيدين في ذلك الحين (٦١٧ م) . ولما فتح عمر بن الخطاب القدس (٦٣٦ م) لم يصبها بأذى . ليس هذا فحسب . بل إنه أبى أن يصلي فيها ، لثلايتخذ المسلمون من بعده صلواته حجة ، فيطالبون المسيحيين بحق لم يكن لهم فيها .

رمت الكنيسة بعد ذلك التاريخ مراراً . لاسيما في عهد قسطنطين منوماخس (١٠٤٨ م) ولما احتل الصليبيون القدس (١٠٩٩ م) جمعوا المعابد المتفرقة في

كنيسة القيامة

(١) الرواية الاسلامية تقول : « وما قتلوه ، وما ضلوه ، ولكن شبه لهم .. » كما جاء في الآية ١٥٧ من سورة النساء .

كنيسة واحدة ، هي الكنيسة الحالية التي نراها في يومنا هذا (١٩٥٨ م) .
ومنذ الجيل الثالث عشر الى يومنا هذا رمت الكنيسة مراراً بسبب ما لحق بها على مر الايام
من زلازل وحرائق وحروب . وحاول النصارى إعادة بنائها مراراً ، إلا أنهم لم ينجحوا في
محاولاتهم نجاحهم سنة ١٧١٩ للميلاد ، عندما تداعت قبتها وأصبحت على وشك السقوط ، فحصل
الفرنسيون على إذن بتشييدها .

وفي سنة ١٨٠٨ م استعرت النار في المعبد المخصص للارمن ؛ فسقطت القبة ، وتصدعت الاعمدة
وكاد يقضى على الكنيسة كلها ؛ لولا أن حصل الرهبان اليونان على إذن بترميمها من السلطان
محمود الثاني . فعمروها (١٨١٠) .

ولكن لم يمض على ذلك ربع قرن حتى عادت فتداعت ، أثر زلزال دك القدس كلها سنة
١٨٣٤ للميلاد . ولم يتمكن المسيحيون من تعميمها ، إلا في سنة ١٨٦٩ م ، عندما اتفقت فرنسا
وروسيا على أن تقوما بالنفقات اللازمة لإعمارها ، وأن يجري الإعمار تحت إشراف الدولة العثمانية .
وهكذا كان . وبلغت نفقات إعمارها يومئذ أربعين ألف نابليوناً (١) .

ومنذ ذلك التاريخ لم يجر أي ترميم يذكر . بل إن الزلازلين الكبيرين اللذين زلزا
القدس سنة ١٩٢٧ و ١٩٣٧ م ، زادا الطين بلة . فأصبحت كنيسة القيامة في حاجة ماسة الى
إعمار يتناول جميع جوانبها . وكل ما فعله المسؤولون أنهم شدوا جدرانها بالحديد والخشب
والاسمنت المسلح في مواضع عديدة .

وها هي المساعي تبذل لاجل إعمارها إعماراً يعيد لها بهاءها القديم (٢) .

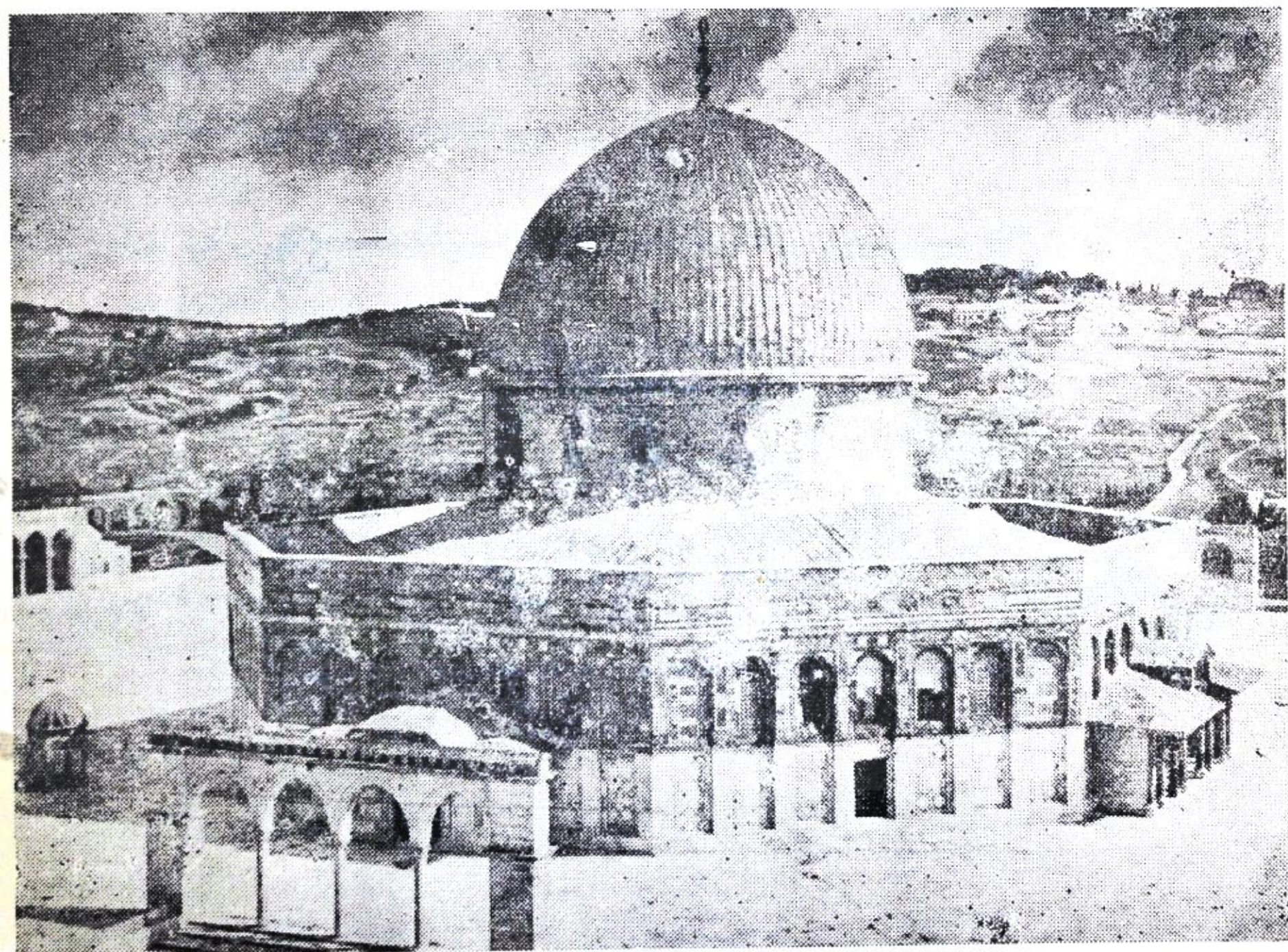
(١) نوع من العملة الفرنسية ، وهي ليرة ذهبية .

(٢) هذا غيض من فيض مما نعرف عن تاريخ (كنيسة القيامة) . ذكرناه هنا بإيجاز . وأما التفصيل
فقد ذكرناه مع الكنائس والأديار والأماكن المسيحية الأخرى التي تخص جميع الطوائف في كتابنا :
(المسيحية في القدس) . فليرجع إليه من شاء .

الباب الثاني

قبة الصخرة المشرفة





قبة الصخرة المشرفة

من الذي بنى مسجد الصخرة ؟

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ورصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين. وعهد بإدارة العمل إلى اثنين من رجاله هما : رجاء بن حيوة الكندي أحد العلماء الأعلام في صدر الإسلام^(١) ويزيد بن سلام^(٢) مولى عبد الملك بن مروان. وفي قول^(٣) أن الموكل بالصرف رجاء وأن هذا ضم إليه يزيد وولديه .

شرع البناءون في البناء سنة ٦٦ هـ -- ٦٨٥ م وفرغوا منه سنة ٧٢ هـ^(٤) - ٦٩١ م . وقد بنوا في بادئ الأمر قبة السلسلة الكائنة شرقي الصخرة لتكون نموذجاً ، ثم بنوا المسجد نفسه . ولما كان قد تبقى من المبالغ المخصصة للبناء مئة ألف دينار ، فقد أمر عبد الملك بها جائزة إلى رجاء ويزيد ، فرفضا قائلين : « نحن أولى أن نزيده من حلى نساءنا ، فضلاً عن أموالنا ، فاصرفها في أحب الأشياء إليك . » فأمر^(٥) بأن تسبك وتفرغ على القبة والأبواب^(٦) . وهياً لها جلالاً من لبود^(٧) وأدم^(٨) توضع فوقها . فاذا كان الشتاء ألبستها لتقيها من الرياح والأمطار . ذلك لأن القبة كانت مكسوة بالنحاس المذهب .

ولقد حُفَّت الصخرة يومئذ بدرابزين^(٩) من الساسم^(١٠) . ومن خلف الدرابزين ستور من الديباج مرخاة بين العمدة . وأقيم عليها عدد من السدنة . فراح الناس يصلون في داخل المسجد ، ويطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة .

(١) أصله من بيسان . ويكنى بابي المقدم . توفي سنة ١١٢ هـ - ٧٣٠ م

(٢) من أهل بيت المقدس

(٣) (الأندلس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لمحير الدين ج ١ ص ٢٤١

(٤) هذا ما جاء في معظم كتب التاريخ . وهو الذي اعتمده . وأما سبط بن الجوزي فقد ذكر في كتابه (مرآة

الزمان في تاريخ الأعيان) أن ابتداء البناء كان سنة ٦٩ هـ - ٦٨٨ م والفراغ منه ٧٢ هـ - ٦٩١ م وجاء في (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) لمؤلفه أحمد المقدسي ص ٩٨ أنه بنى سنة ٧٠ هـ - ٦٨٩ م

(٥) (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لمحير الدين ج ١ ص ٢٤٢

(٦) روى عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت فقال : « حدثني أبي عن أبيه عن جده أن الأبواب

كلها كانت ، على عهد عبد الملك بن مروان ، ملبسة بصفائح من الذهب والفضة . »

(٧) لبود والباد جمع اللبد وهو الشعر أو الصوف المتلبد

(٨) آدم جمع أديم . جاء في المحيط للفيروز آبادي : الأدم هي الجلود المدبوغة .

(٩) الدرابزين والدرابزوت كلمة فارسية معناها القوائم حول السلام .

(١٠) الساسم والساسم كلمة فارسية معناها نوع من الشجر يقال له الشيزى . خشبه أسود يشبه الأبنوس .

وقيل أنه هو الأبنوس نفسه .

ذكر اليعقوبي في تاريخه (١) أن الناس راحوا ، بعد بناء مسجد الصخرة ، يطوفون حوله ، كما يطوفون حول الكعبة ؛ وإن عادة الطواف هذه دامت طيلة حكم الأمويين ؛ وإن عبد الملك علق حول الصخرة ستائر مصنوعة من القماش المزركش .

وحدثني الشيخ خليل الأنصاري (١٩٢٤ م) أن تلك الستائر كانت كالحجيمة حول الصخرة منصوبة على جبال غليظة من الحرير ، وأنها رفعت في زمن السلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) . ويقول بعض السدنة أنها بقيت حتى زمن السلطان عبد الحميد الثاني ، فأزيلت من مكانها عندما زار الصخرة امبراطور الألمان غليوم الثاني (١٨٩٩ م) .

ورأيت القباسي الخشبية التي كانت تحمل تلك الستائر . فإنها ما برحت (١٩٥٦) في مواضعها بين الأعمدة الرخامية التي تقوم عليها القبة .

عناية المسلمين بمسجد الصخرة :

بلغت عناية المسلمين بهذا المسجد ، في صدر الاسلام ، حدّاً يفوق الوصف . فكانوا (٢) ، في كل اثنين وخميس ، يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماورد (٣) الجوري . ويخمرون هذا المزيج ليلاً . وكانوا يستخدمون لهذه الغاية في كل ليلة اثنين وخمسين رجلاً . وفي الغداة يأمرهم الخدام ، فيدخل هؤلاء الحمام ، فيغتسلون ، ويتطهرون ، ثم يرتدون الثياب النظيفة . ويأتون الى المسجد حاملين ما تخمر بالأمس . وبعد أن يغسلوا الصخرة ، يأتون بمجامر الذهب والفضة ، فيها العود (٤) والند (٥) الممزوج بالمسك والعنبر ؛ فيرخون الستور حول الأعمدة . ثم يحملون البخور ، ويدورون حول الصخرة . ثم ينادي المنادي في صف البرازين (٦) : ألا إن الصخرة قد فتحت للناس ، فمن أراد الصلاة فيها فليأت . وكان يقف على كل باب من أبواب المسجد عشرة حجاب . ومتى دخله المصلون شموا رائحة البخور والمسك والعنبر .

أين نقش اسم عبد الملك بن مروان ؟ وهل هناك شك في أنه هو الذي بناه ؟

نقش اسم عبد الملك بن مروان على قناطر الثمينة الوسطى في الناحية الجنوبية الشرقية من

(١) (التاريخ اليعقوبي) لأحمد بن يعقوب السكاتب العباسي . ج ٢ ص ١١

(٢) (مشير الغرام بفضائل القدس والشام) ص ١٠٠

(٣) ماء الورد .

(٤) العود : في الأصل الخشب . وهو هنا نوع من الطيب يتبخر به .

(٥) الند بالفتح : عود يتبخر به . وقال بعضهم انه العنبر .

(٦) جمع (البراز) وهو بائع البرز . والبرز متاع البيت من ثياب وغيرها .

الداخل وبالخط الكوفي المذهب . وكانت هناك كتابة مزخرفة بالفسيفساء على أرض لازوردية (١) تقول : « بنى هذه القبة عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين ، تقبل الله منه ورضي عنه آمين . »

هذا هو المعروف عند معظم المؤرخين ، أي أن الذي بنى مسجد الصخرة هو عبد الملك بن مروان . وهو الذي اعتمده في كتابي هذا .

* ومع ذلك فهناك روايات تقول إن الذي بناه هو الوليد بن عبد الملك ، وليس عبد الملك . ومن هؤلاء ابن البطريق (٢) . فقد قال (٣) :

« وبعث الوليد بن عبد الملك الى بيت المقدس فبنى مسجد بيت المقدس ، وشيده ، وصير الصخرة في وسطه ؛ وبني حولها ، ورخمه . وقلع قبة كانت للنصارى في كنيسة بعلبك ؛ وكانت القبة من نحاس مطلي بالذهب ؛ فنصبها على الصخرة . وأمر الناس بالحج اليها (٤) . »

وقال ابو الفداء (٥) نقلاً عن الحسن بن احمد المهلي في كتابه (العزيزي) (٦) :

« إن الوليد بن عبد الملك لما بنى القبة على الصخرة ببيت المقدس بنى ايضاً هناك عدة قباب ، وسمى كل واحدة منها باسم . »

وروى القلقشندي نقلاً عن (الروض المعطار) إن الذي بنى مسجد الصخرة هو الوليد بن عبد الملك . وفي ذلك يقول (٧) :

« وخربت هيلانة أم الملك قسطنطين البناء الذي كان على الصخرة وجعلتها مطرحاً لتهامات (٨) البلد عناداً لليهود . وبقي الأمر كذلك حتى فتح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس ، فدخل على الصخرة ، فنظف مكانها ، وبني عليها مسجداً ، وبقي حتى ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة فبناه على ما هو عليه الآن . »

(١) اللازورد : معدن مشهور في ارمينيا وفارس . وهو أزرق شفاف يضرب الى خضرة وحمرة (البستان) . أصلها (لازورد) وهي فارسية .

(٢) انه سعيد بن بطريق من فسطاط مصر (٢٦٣ هـ - ٣٢٨ هـ) . صار في خلافة الفاهر بالله بطريقاً على الاسكندرية . ومات بها .

(٣) اقرأ كتابه (نظم الجواهر) أو (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ج ٢ ص ٤٢ طبع على نفقة الجمعية المشرقية بباريس (١٩٠٦)

(٤) اورد هذه الرواية الأب مرمجي الدومينيكي في كتابه (بلدانية فلسطين العربية) ص ٢٤٦

(٥) اقرأ كتابه (المختصر في تاريخ البشر) ص ٢٢٧

(٦) اقرأ كتاب (صبح الاعشى) للقلقشندي ج ٤ ص ١٠٢

(٧) (صبح الاعشى) ج ٤ ص ١٠١

(٨) جمع (قامة) بالضم وهي الكناسة

ويقول كليرمانت غانو^(١) إن أوتيشيوس Eutychius يعطف بناء الصخرة غلطا الى الوليد . وفي شرح هذا الغلط يقول أنه قد يكون ناشئاً عن الحقيقة التي أوردها مجير الدين^(٢) بأن الوليد أمر بإجراء ترميمات كثيرة هامة في الجانب الشرقي من الحرم ، ذلك الجانب الذي ألمّ به الحراب مع الزمن .

ويعتقد أوتيشيوس^(٣) أن جدران المسجد المحيطة به من الخارج بنيت بين سنتي ٨٦ و ٩٦ للهجرة ، أي على عهد الوليد ؛ لا في سنة ٧٢ للهجرة على عهد عبد الملك . ومعنى ذلك أن الوليد أتم البناء الذي بدأه أبوه عبد الملك . وأما كليرمانت غانو فيقول أنه لا يشك أبداً في أن البناء كله من أوله الى آخره ، بما فيه الجدار المثلث الذي يحيط به ، جزء من التصميم الأصلي للبناء الذي بناه عبد الملك .

والرأي عندي أن القرار أعطي من لدن عبد الملك ، لأن فتنة ابن الزبير قامت في زمنه ، وقتل ابن الزبير على يده ، وشرع في البناء في زمنه ، وتم على يده وفي عهده . ولكن هذا لا يعني أن ولده الوليد لم يكن له دخل في ذلك . فإنه كولد وكولي للعهد لا بد وأن يكون قد أشرف على بناء المسجد أو على ناحية من نواحيه . ليس هذا محسب . فإنه (أي الوليد) أضاف الى ما بناه أبوه بعض النقوش والتزيينات . ومنها القبة التي قال ابن البطريق أن الوليد قامها من كنيسة بعلبك ، وكانت من نحاس مطلي بالذهب .

ما هو السبب الذي حرم به عبد الملك لبناء مسجد الصخرة ؟

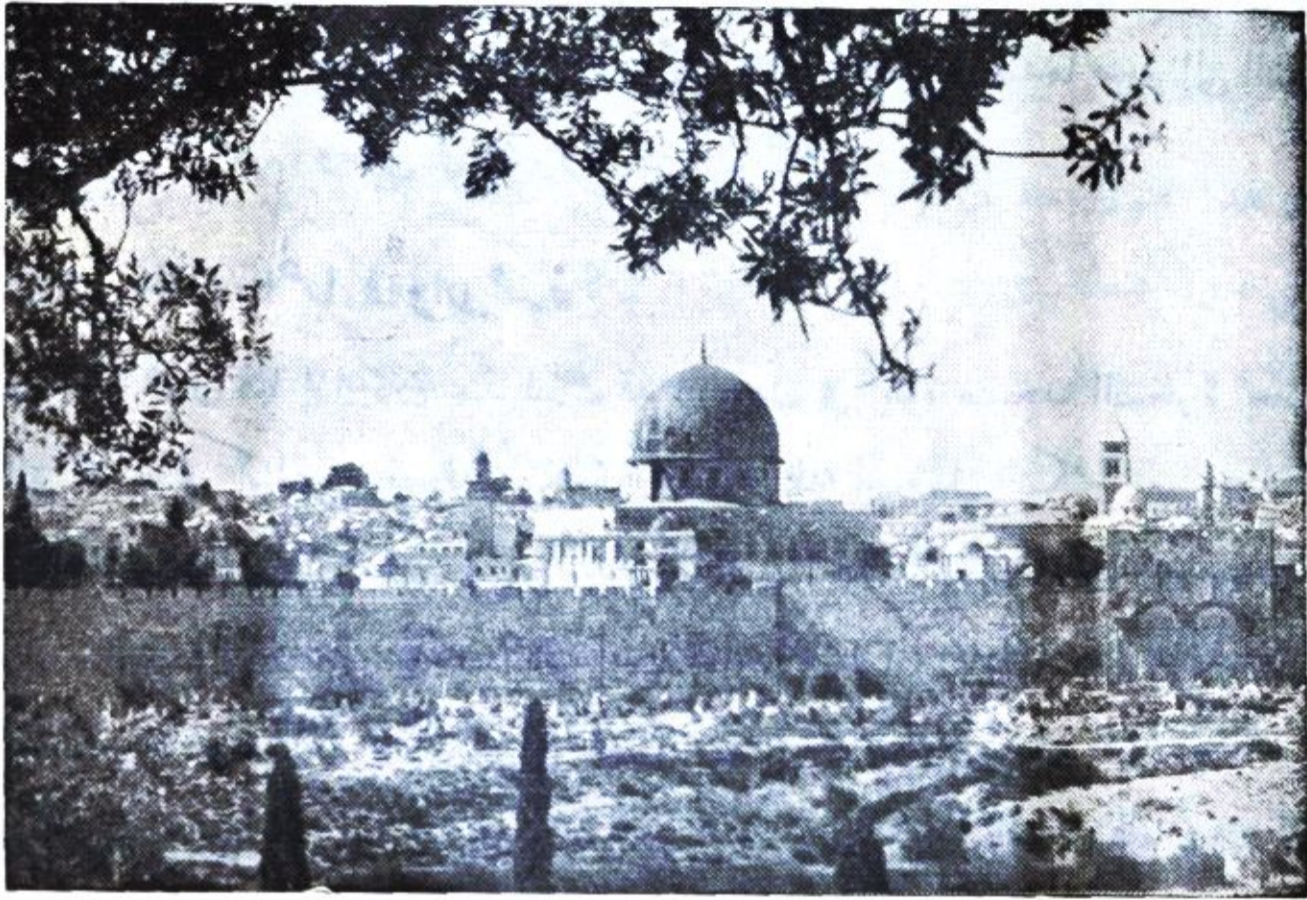
قال بعض المؤرخين ، ومنهم اليعقوبي ، وهو أول من بحث عن السبب في بناء مسجد الصخرة من المؤرخين العرب ، إن الغاية من بناء المسجد بهذا الشكل البديع هي الاستعاضة عن الكعبة بسبب ثورة عبد الله بن الزبير الذي ثار على الامويين وأعلن استقلاله في الحجاز (٦١ هـ - ٦٨٠ م) . فاراد عبد الملك أن يصرف الناس عن الكعبة خشية أن يأخذهم ابن الزبير عند الحج بالبيعة . وفي قول أنه منعهم عن الحج بالمرة ، وبنى مسجد الصخرة ، وأمرهم بالحج الى بيت المقدس والطواف حول الصخرة . هذا ما قاله اليعقوبي (٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م) . ومن المؤرخين من قال أن عبد الملك إنما بناه حتى يكون للمسلمين مسجد يضاهي في بهائه ونخامته وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة ، وخاصة أنه كان في سورية وفلسطين يومئذ

(١) Archaeological Researches in Palestine by Charles Clermont — (١)
Ganneau Vol. I. P. 195

(٢) (الانس آجليل بتاريخ القدس والخليل) . ج ١ ص ٢٤٢

(٣) انه سعيد بن بطريق المسكني بابن البطريق . ويسمونه أيضاً أوتيشيوس .

من الكنائس الكثيرة البالغة غاية العظمة ما خشي معه عبد الملك أن يظل المسامون يتطلعون الى هذه المنشآت المسيحية دون أن يكون لهم ما يفخرون به .
فقد روى المقدسي (١) الذي جاء بعد اليعقوبي بقرن والذي هبط بيت المقدس سنة ٣٧٤ هـ - ٩٨٤م : « إن عبد الملك عندما رأى قبة القيامة التي يحج إليها المسيحيون خشي أن تؤثر نخامة تلك الكنيسة على قلوب المسلمين . فاعتزم أن يبني مسجداً مثلها أو أحسن . وقد بنى . ونصب على الصخرة قبة كما ترى . »



« قبة الصخرة » ومن ورائها عدد من الكنائس

هل استشار المسلمين قبل البدء بالمشروع ؟

مما لا شك فيه أن عبد الملك استشار المسلمين قبل البدء بالبناء . ولكن أقوال المؤرخين تضاربت من حيث الردود التي حصل عليها . فقد قرأت في مخطوط (٢) عثرت عليه في خزانة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (٣) ان عبد الملك بن مروان عندما اعتزم بناء صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى قدم من دمشق الى بيت المقدس . وبعث الكتب الى عماله في جميع الأمصار . وقال : ان عبد الملك يريد أن يبني قبة على الصخرة تكن المسلمين من الحر والبرد ، ولا يريد ان يفعل ذلك دون

- (١) كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر البنا المقدسي . ص ١٥٩
(٢) (تاريخ الخلفاء المسلمين) ص ٩٢
(٣) عضو المجامع العلمية في مصر وسورية ولبنان والبرازيل .

رأى رعيته . فلتكتب اليه الرعية بما ترى . فوردت عليه الكتب قائلة : يرى أمير المؤمنين رأيه موقفاً سعيداً . نسأل الله تعالى ان يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده ، ويجري ذلك على يديه ، ويجعله مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة .

واما اليعقوبي (سنة ٢٦٠ هـ - ٨٧٣ م) فانه يقول ان المسلمين ضجوا عندما ادركوا الغاية التي يرمى اليها ، وهي صدمهم عن الحج ، فقالوا : أئمننا عن حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله ؟ فقال لهم : ألم يحدثنا ابن شهاب الزهري ان النبي عليه الصلاة والسلام قال : (لا تشد الرحال إلا الى ثلاث : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) . ثم ذكر لهم كيف أسرى بالنبي الى هذا المكان ، وكيف أنه وضع قدمه على هذه الصخرة عندما صعد الى السماء . وبهذه الوسيلة تمكن من اقناعهم ، ومضى في مشروعه الى أن اتمه .

من أين أتى عبد الملك بالحجارة والاعمدة ؟

اختلف المؤرخون فيما إذا كان عبد الملك قد استعمل في بناء مسجد الصخرة بعض الحجارة والاعمدة التي كانت في كنائس فلسطين . فقال كثيرون انه استعمل الكثير من مواد البناء التي كانت مبعثرة هنا وهناك في القدس ، من بقايا الكنائس البيزنطية التي هدمها الفرس ، عندما أغاروا عليها في عهد كسرى (٦١٤ م) . وكان ذلك قبيل الفتح الاسلامي (٦٣٧ م) بثلاث وعشرين سنة . وقال المستر ريشموند^(١) : « إن مواد البناء كانت يومئذ متوفرة في البلاد ، لا سيما من بقايا الكنائس التي هدمها الفرس على عهد كسرى الثاني يوم احتلوا القدس عام ٦١٤ للميلاد . تلك البقايا التي كانت مبعثرة هنا وهناك . »

وهذا ما قاله اشبي^(٢) مستشار التنظيم في حكومة فلسطين (١٩٢٢) .

وقد سبق وقلنا ، نقلاً عن ابن البطريق ، ان الوليد أمر بقلع قبة كانت للنصارى في كنيسة بعلبك ، ونصبها على الصخرة .

واما الاستاذ عيسى اسكندر المملوك^(٣) الذي نقل عن ابن البطريق الرواية المتقدم ذكرها ، فقد قال انها تحتاج الى تمحيص .

هل كان لسبب الصخرة جدران خارجية عندما بناه عبد الملك ؟

اختلف المؤرخون في ذلك . فقال بعضهم ان مسجد الصخرة كان ، عندما بناه عبد الملك ،

(١) "The Dome of the Rock" by E. T. Richmond P. 2

(٢) "Jerusalem" by C. R. Ashbee P. 68.

(٣) مجلة الآثار ٥ - ٦ ص ٢٤٨

كعبة السلسلة في يومنا هذا ، من غير جدران . منهم اوتيوخوس الذي قال ان جدرانه الخارجية بنيت في زمن الوليد بن عبد الملك بين سنتي ٨٦ و ٩٦ للهجرة . وهناك من يقول انها أنشئت في زمن المأمون . ومن القائلين بهذا القول هايتز لويس وقوندر والدكتور شابلين وستراز غوفسكي وغيرهم كثيرون . ويستدلون على ذلك بالكتابة المدونة على الصحيفتين النحاسيتين اللتين في الباب الشرقي والباب الشمالي واللتين تحملان اسم المأمون (٢١٦ هـ - ٨٣١ م) .

وهؤلاء وأولئك يعتقدون ان العرب اتوا الى هذه البلاد من بلاد حارة . وما كانوا يتصورون ان البرد شديد بالدرجة التي كان عليها في بيت القدس . ولهذا بنوا البناء مفتوحا . ولكنهم ما لبثوا ان غيروا رأيهم عندما درسوا الطقس ؛ فبنوا الجدران الخارجية دفعا للبرد ومنعا للعواصف .

ولم يقل هذا القول احد من المؤرخين والسائحين المسلمين كاليقوبي ، وابن الفقيه ، وابن عبد ربه الاندلسي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وناصرى خسرو ، والادريسي ، وابو الفدا ، وابن بطوطا ، والسيوطي . وكذا قل عن المقدسي الذي اكد ان مسجد الصخرة بني على غرار كنيسة القيامة ، وكانت له - كما للكنيسة - جدران خارجية .

ورفض الاستاذ كرزويل في كتابه (فن المعمار الاسلامي)^(١) القول بان المسجد الذي بناه عبد الملك كان بلا جدران خارجية . بل اكد ان هذا القول لا يستند الى برهان وانه مبني على الحدس والتخمين .

وأيده في قوله هذا العلامة الهولندي فان برشم . وكذلك قل عن كليز مانت غانو الذي قال^(٢) ان البناء كله من اوله الى آخره ، بما فيه الجدار المثلث الذي يحيط به ، من تصميم عبد الملك وبنائه .

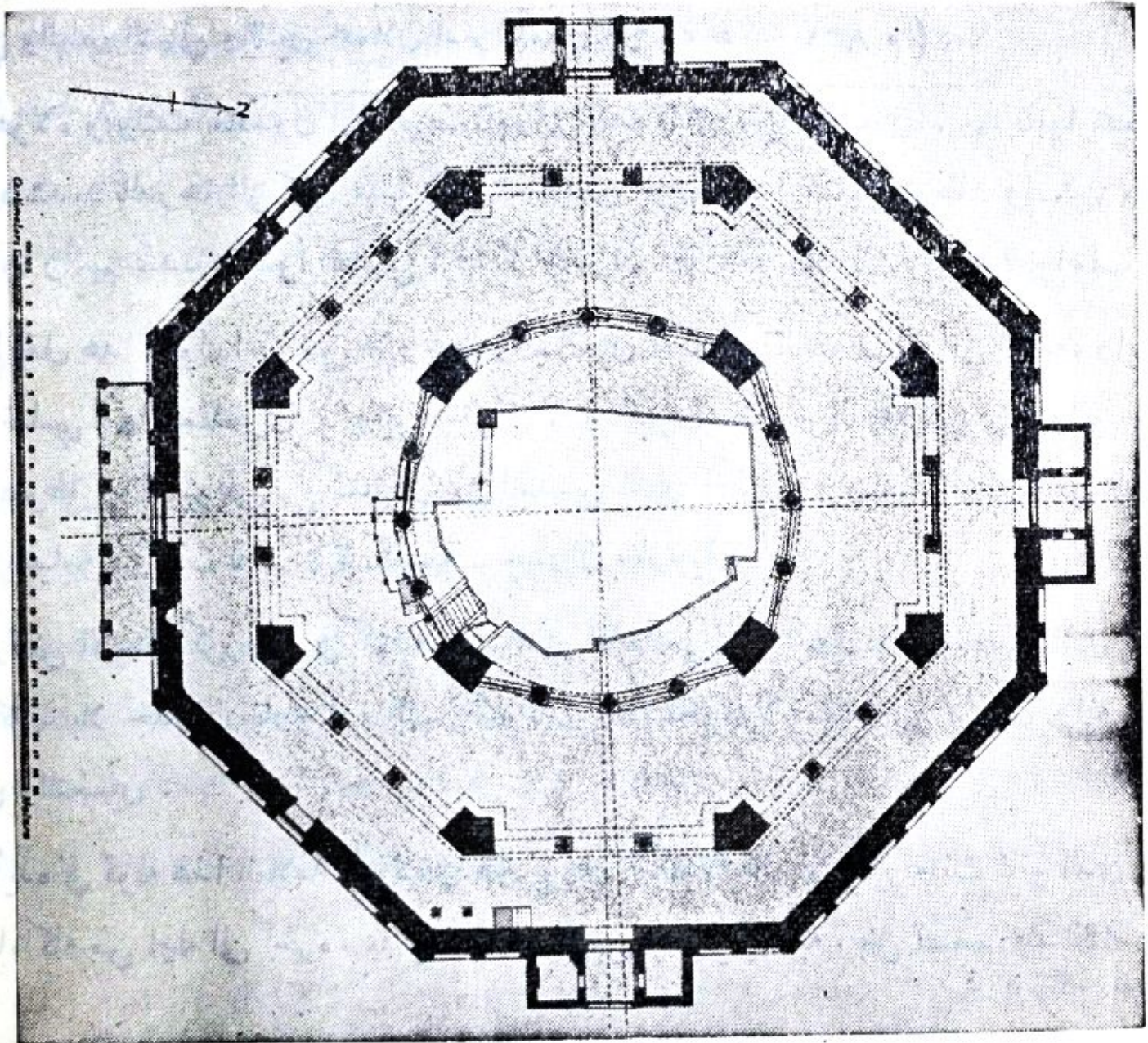
جمال مسجد الصخرة من الناحية الهندسية

لما لا ريب فيه ان مسجد الصخرة ، بقبته الجميلة وبنائه المتين وتكوينه الرائع ، جاء آية في فن الهندسة ؛ لا في العصر الذي بني فيه فحسب ، وإنما على مر العصور والايام . فقد بهرت قلبه بهائها ورونقها ونخامتها وتناسقها كل من أنعم النظر فيها وحاول دراستها من العلماء والباحثين . وكذلك قل عن جدرانه وسقوفه وأعمدته ونقوشه وفسيفسائه وكل شيء فيه . وانك لترى فيه جمال الهندسة العربية والتذوق العربي متمزجا بشيء من الطراز الفارسي والاسلوب البيزنطي . ولا غرابة في ذلك . فقد اشترك في بنائه عمال وصناع من العرب والفرس والروم البيزنطيين .

(١) ج ١ ص ٥٤ - ٥٧

(٢) ج ١ ص ١٩٥

قال الاستاذ هايتر لويس^(١) : « إن مسجد الصخرة بلا شك من اجمل الابنية فوق البسيطة .
لا ، بل إنه اجمل الآثار التي خلفها التاريخ . »
وقال الدكتور ريشارد هارتمان^(٢) : « إن مسجد الصخرة نموذج من التناسق والانسجام . »
وقد ايدته في وصفه هذا البجائه الهولندي (فان برشام) .



المخطط الأرضي لمسجد الصخرة

وقال المستر فرغوسن^(٣) : « ان مسجد الصخرة من الجمال على جانب عظيم . لقد زرت كثيراً
من القصور الفخمة والمباني الجميلة في الهند وفي اوربا وفي اكثر انحاء العالم . ولكنني على ما اذكر
لم أر ما هو اجمل ، ولا ابداع ، ولا انغم من قبة الصخرة . وأن التناسب البديع في الاحجام والألوان
لم اجده في أي بناء آخر . »

(١) "The Holy Places of Jerusalem" by T. Hayter-Lewis. P. 26.

(٢) "Geschichte der Aksa—Mosche und Felsendom zu Jerusalem." vom Richard Hartmann. pp. 185 — 207

(٣) "The Temples of the Jews and the other buildings in the Haram area of Jerusalem." by J. Fergusson

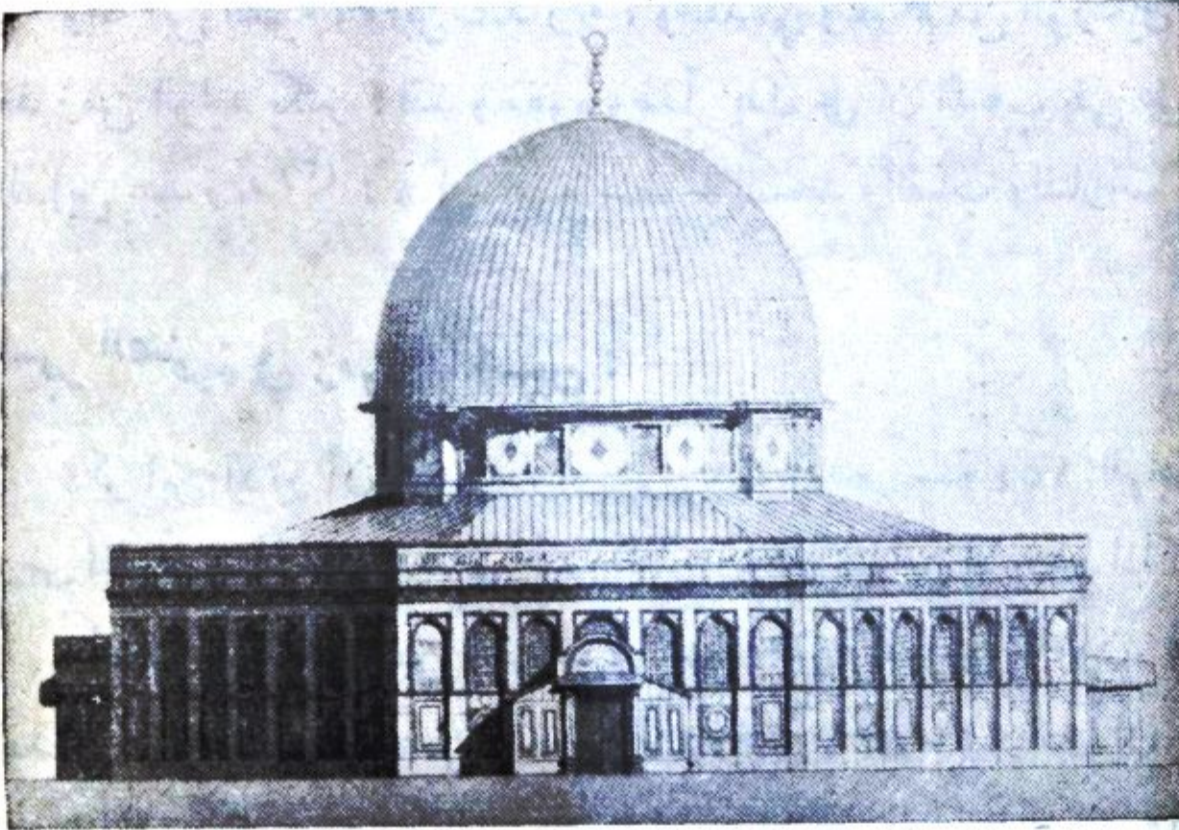
وقال الدكتور غوستاف لوبون (١): «لم تكن قيمة هذا المسجد بما يشهده من ذكريات فقط، بل انه من اهم المباني العجيبة التي شاهدها الإنسان ... انه اعظم بناء يستوقف النظر ... ان جماله وروعته مما لا يصل اليه خيال الانسان ... »

وقال السكاكين كرزويل (٢) استاذ فن العمارة الإسلامية في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة : «لقبة الصخرة اهمية ممتازة في تاريخ العمارة الإسلامية. فقد بهرت بيهاها وروثها ونخامها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول دراستها من العلماء والباحثين . »

وقال (٣): « ان تصميم الصخرة وضع على أسس هندسية ، وان موقع التميميتين وكربي القبة عين نتيجة لتقاطع مربعين متساويين . »

وقال (٤): « انني لا أشك في أن الدين بنوا مسجد الصخرة استفادوا من قياسات كنيسة القيامة.

فأن قطر قبة الصخرة من الداخل ٢٠ متراً و ٣٠ سانتيمتراً وارتفاعها ٢٠ متراً و ٤٨ سانتيمتراً . وقطر قبة القيامة من الداخل ٢٠ متراً و ٩٠ سانتيمتراً وارتفاعها ٢١ متراً و ٥ سانتيمترات . « واثبت ريشموند ان ارتفاع مختلف اقسام مسجد الصخرة خاضع



الرسم الهيكلي لقبة الصخرة

لنسبة هندسية دقيقة أساسها ارتفاع الأعمدة التي يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلث قطر دائرة كرسي القبة . وهذه الطريقة اتبعت في فن المعمار السوري آنذاك .

وخص مسيو دوفوغيه مجلداً كاملاً لوصف مسجد الصخرة. وكذا فعل الكثيرون من المؤرخين

(١) Civilization des Arabs ترجمه الاستاذ عادل زعير بعنوان (حضارة العرب) . طبع عام

١٩٤٥ . ص ١٧٤

(٢) مجلة (الهلال) المصرية . العدد الممتاز . ابريل ١٩٣٩ . ص ٩٢

(٣) ص ٤٨ و ٤٩

(٤) "The Origin of the Plan of the Dome of the Rock" by K.A.C. (٤)

Creswell, p. 27

اكتفينا بما تقدم من اقوال بعضهم من مؤرخي الفرنجة . ولم نذكر ما قاله المؤرخون المسلمون في وصف هذا المسجد ومحاسنه لئلا يقال : أن عين الرضا هي التي املت عليهم ما قالوا . . .

هل بقي المسجد على ما هو عليه في زمن عبد الملك ؟

أصاب القبة ما اصابها منذ نصبت ، وأصاب المسجد ما اصابه منذ بناه عبد الملك بن مروان . فقد المت بهما تغييرات كثيرة بتأثير الزلازل والحرائق والرياح والامطار ، وبسبب الانقلابات السياسية والتطورات الاجتماعية والسرقات والاهمال .

ففي زمن الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ - ٧٠٥ م) ضرب ما على القبة من ذهب تقوداً أنفقت على ترميم المسجد . هذا ما قاله الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف^(١) . والقاضي مجير الدين^(٢) . واما ابن الفقيه ، وابن عبد ربه ، والمقدسي وغيرهم من المؤرخين الذين رأوا مسجد الصخرة بعد زمن الوليد بكثير ؛ فقد وصفوه وصفاً يدل على ان الذهب بقي على القبة الى زمن بعيد . وما قاله ابن عبد ربه^(٣) : « ان جميع سطوح المسجد والقباب والمنارات ملبسة صفائح مذهبة . »

مسجد الصخرة في زمن العباسيين :

ذكر ابن الاثير أن المنصور سار الى بيت المقدس سنة ١٥٤ للهجرة - ٧٧٠ م . وسقطت في ارض الحرم يومئذ صاعقة قتلت خمسة انفار . ولم يقل لنا ابن الاثير فيما اذا كان المنصور قد رمم الصخرة . وأصاب البناء شيء من الحراب في عهد الخليفة العباسي المأمون . فامر بترميمه عندما زار بيت المقدس . ولما انتهى العمال من الترميم (٢١٦ هـ - ٨٣١ م) ارادوا ان يتزلفوا اليه ؛ فاستبدلوا اسمه باسم الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان . ولكنهم اغفلوا تغيير السنة التي حدث فيها هذا الترميم . فكيف عرفنا ذلك ؟

إن فوق الاعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد في الرواق القريب من المحراب ، من الناحية الجنوبية الى الشرق ، خطأ ضيقاً من البلاط الازرق نقشت عليه بالفيسفساء وبالاحرف الكوفية المذهبة الكلمات التالية :

« بنى هذه القبة عبد الله ، عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضي عنه آمين . » لم يفتن الصانع الى تغيير التاريخ . فقد أبقى سنة ٧٢ هـ وهي السنة

(١) مجلة الآثار ٥ - ٦ ص ٢٥١

(٢) (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) ص ٢٤٢

(٣) (العقد الفريد) ج ٣ ص ٢٦١

التي أتم فيها عبد الملك بن مروان البناء. ولم يذكر السنة التي تم ترميم البناء فيها على يد المأمون (٢١٦ هـ - ٨٣١ م).

ثم انه وجد المكان ضيقاً بحيث لا يتسع لاسم الخليفة والمأمون وألقابه. فاضطر الى كتابة ذلك بطريقة تخالف تلك التي كتبت بها الكلمات الأخرى. أي ان الحروف التي كتب بها اسم المأمون مزدحمة متراسة مختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها. ثم ان لون الفسيفساء التي جرى بها التحريف أشد سمرة من لون الفسيفساء القديمة.

ومها كان الأمر فان الترميم الذي جرى بومئذ، تم برعاية ابي اسحق^(١) وعلى يد عامله صالح بن يحيى. وكان ذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢١٦ هـ.

وسجلت العمارة التي تمت على يد المأمون في المواضع التالية: -

(آ) في الموضع نفسه الذي سجلت فيه عمارة عبد الملك.

(ب) على الصفائح النحاسية المثبتة فوق عتبة الباب الفوقانية في كل واحد من الأبواب الخارجية الأربعة.

وصف ابن الفقيه الهمداني^(٢) قبة الصخرة كما رآها سنة ٢٧٨ هـ - ٨٩١ م فقال: - « فرش القبة رخام أبيض. وسقوفها بالذهب الأحمر. في دور حيطانها وفي أعلاها ستة وخمسون باباً مزججة بأنواع الزجاج. والباب ستة أذرع في ستة أشبار. » وفي موضع آخر من كتابه قال^(٣): « الصخرة مائة ذراع في مائة ذراع. ارتفاعها سبعون ذراعاً. ودورها ثلثمائة وستون ذراعاً. يسرج فيها كل ليلة ثلثمائة قنديل. وبها أربعة أبواب مطبقة. على كل باب دكانة مرخمة. والقبة بناها عبد الملك بن مروان على اثني عشر ركناً وثلثين عموداً. وهي قبة على قبة، عليها صفائح الرصاص وصفائح النحاس مذهبة. جدارها من داخل وخارج ملبس بالرخام الأبيض... »

وزاد ابن عبد ربه الأندلسي (٣٠٠ هـ - ٩١٢ م) على ذلك قوله: « إن قبة الصخرة كانت مغطاة بـ ٣٣٩٢ صفحة رصاصية، ومن فوق ذلك ٢١٠ رصفائح من النحاس مطلية بالذهب. وفي داخل الصخرة ثلاثون عموداً، وفي خارجها ثمانية عشر عموداً، وفيها من الداخل ٤٦٤ مصباحاً معلقاً بسلاسل من النحاس الأحمر. »

(١) انه ابن هارون الرشيد. وقد تولى الخلافة بعد أخيه المأمون (٢١٨ هـ - ٨٣٣ م) ولقب بالمعتصم. وكان على عهد أخيه المأمون حاكم القدس.

(٢) أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه. انه من علماء القرن الثالث للهجرة. ذكره ياقوت في كتابه (معجم البلدان) والحاج خليفة في كتابه (كف الظنون) والأب شيخو في كتابه (مجانى الأدب). الف (كتاب البلدان) سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م. طبع في لندن سنة ١٨٨٥ م.

(٣) (كتاب البلدان) لابن الفقيه. ص ١٠٠



وأمرت أم المقتدر بالله الخليفة العباسي (٣٠١ هـ - ٩١٣ م) بصنع ابواب قببة الصخرة
فصنعت من خشب التنوب ؛ وكانت كلها يومئذ مذهبة . وأصلح يومئذ جانب من السقف . وتم
ذلك على يد لييد مولاها . يدلنا على ذلك كتابة بالدهان الأسود وجدت على بعض الموائل (القباسي)
الحشبية التي يتألف منها القسم الجنوبي الشرقي للثمنية الخارجية . وقد رأى كليمانت - غانو (١)
سنة ١٨٧٣ م ثمانية منها كتبت عليها الكلمات التالية : -
« بسم الله الرحمن الرحيم . بركة من الله لعبد الله جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين حفظه الله .
مما امرت به السيدة أم المقتدر بالله نصرها الله . وجرى ذلك على يد لييد مولى السيدة . وذلك في
سنة إحدى وثلاثمائة . »

ولما زارها المقدسي (٣٧٤ هـ - ٩٨٤ م) قال ما مجمله (٢) « إن القببة ذات ثلاث مسافات
(طبقات ؟) : الأولى من ألواح مزوقة . والثانية من أعمدة حديدية شبكت لئلا تملها الرياح .
والثالثة من خشب عليه الصفايح . وفي وسطها طريق الى عند السفود (القضبان ؟) الحديدية
يصعد بها الصناع لتفقدتها وترميمها . فاذا بزغت الشمس على القببة أشرفت ، وتلاأت المنطقة
ورأيت شيئاً عجيباً . »

مسجد الصخرة في زمن الفاطميين :

في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م) زلزلت الارض ، فسقطت على
اثرها بعض اجزاء القببة الكبيرة ، وقسم كبير من السور . فرممت في خلافة ولده الظاهر لاعزاز
دين الله (٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م) . وكان الفن العربي يومئذ مزدهراً . وكانت القببة مغطاة بالرصاص
من الخارج وبالفسيفساء من الداخل ، وبالنقوش والرسوم العربية الجميلة . وقد تم تعميرها على يد
(علي بن احمد) المنقوش اسمه على الاخشاب الملتصقة في صدغ الدهليز الذي في ربة القببة . وقيل (٣)
ان الحاكم بأمر الله نفسه هو الذي قام بتعميرها . فاصلح القببة القديمة وضرب عليها قبة اخرى من
الخشب لتقيها من عبث الامطار وتأثير الاجواء .

ويقول ابن الاثير (٤) : « ان القببة الكبيرة كلها سقطت على الصخرة وان ذلك حدث في سنة

(١) "Matériaux pur un Corpus Inscriptionum Arabécarum" par Max Van Berchem, P. 219

(٢) « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » ص ١٦٩ .

(٣) (الرحلة الحجازية) لمحمد لبيب البتنوني . ص ١٦٣ .

(٤) ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الملقب
عز الدين . ولد بجزيرة عمر فوق الموصل على الدجلة . زار الشام وبيت المقدس . وتوفى سنة ٦٣٠ هـ .
له مؤلفات كثيرة منها (الكامل في التاريخ) ويعرف بتاريخ ابن الاثير .

٥٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م .

قال نصري خسرو^(١) في الصفحة ٢٨ من كتابه (سفرنامه) :-

« بنوا على جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة ، بارتفاع حائط الدكة . وبين كل دعامتين ، على الجوانب الأربعة ، عمودان اسطوانيان من الرخام بنفس الارتفاع . وعلى قمة تلك الدعائم وهذه الأعمدة ، بنوا القبعة التي تحتمها الصخرة والتي يبلغ محيطها مائة وعشرين ذراعاً .. وبين حائط هذا البناء والدعائم والأعمدة ثمان دعائم أخرى مبنية من الحجارة المنحوتة . وبين كل اثنتين منها ثلاثة أعمدة من الرخام الملون على أبعاد متساوية . وعلى تاج كل دعامة أربعة عقود . على كل عقد طاق ، وعلى كل عمود عقدان فوق كل منها طاق . وهكذا يكون على العمود متكاً لطاقين ، وعلى الدعامة متكاً لأربعة .. »

الى أن قال : « ... من الأساس الى قمة القبعة ثلاثون ذراعاً . وهي تستند الى أعمدة ودعامات ارتفاعها عشرون ذراعاً .. »

وفي سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م كثرت الزلازل في مصر والشام . فانثلم سور بيت المقدس ، وانشقت الصخرة ، وهدمت اكثر المنازل ، وهلك تحت الردم خلق كثير .

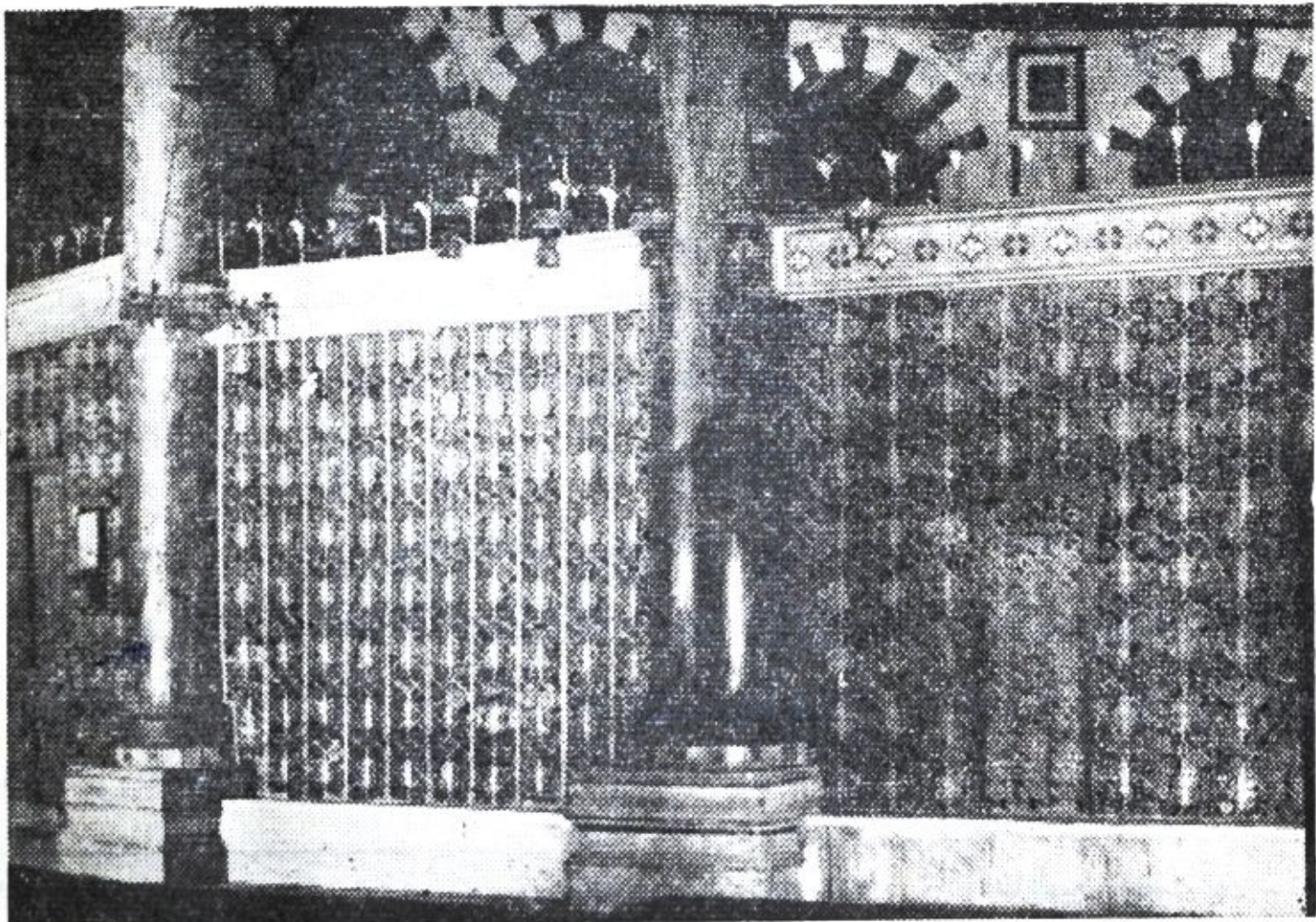
ويظهر ان الزلازل المتقدم ذكرها اللذين وقعا في ١٠١٦ وفي ١٠٦٧ م كانا شديدين لدرجة ان القائميين على الأمر اضطروا ان يحدثوا تبديلاً أساسياً في البناء ، سيما عندما عمروا القبعة من جديد ، وأقاموا أعمدة جديدة تركز عليها . ومن هنا جاء الفرق في عدد الأعمدة والاسطوانيات التي كانت في زمن ابن الفقيه (٩٠٣ م) الذي قال انه كان على عهده ثلاثون عموداً ، وناصري خسرو (١٠٤٧ م) الذي أحصاها فوجدها سبعة وعشرين . وقد أحصيتهم أنا (١٩٤٧) فوجدتهم ثمانية وعشرين . وهناك بين المؤرخين كثيرون يقولون أن مسجد الصخرة في يومنا هذا هو كما كان في بدء عهده ، رغم أن القبعة تأثرت مراراً بالزلازل والعواصف الجوية . وكذلك الجدران . وقد عمرت هذه وتلك مراراً . الا أن تلك التعميرات لم تؤثر على شكل المسجد المشتم وهيكلة البناء الأصلي أبداً . وكذلك قل عن الأعمدة ، والنوافذ . فان وصف ابن الفقيه (٩٠٣ م) ينطبق تماماً على وصفها في يومنا هذا (١٩٥٧ م) .

(١) رحلة فارسي . شيعي المذهب . ورحلته هذه التي قام بها في أيام الفاطميين وقعت بين سنة ٤٣٧ و سنة ٤٤٤ هـ (١٠٤٥ - ١٠٥٢ م) . جال كثيراً في بلاد الشرق وفي فلسطين . وهبط بيت المقدس في الخامس من شهر رمضان ٤٣٨ هـ (١٦ آذار سنة ١٠٤٧ م) . وقد دون رحلته باللغة الفارسية في كتاب أسماه (سفرنامه) . وأبت نسخته المخطوطة وترجمته الى اللغة الانكليزية في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس . وقد ترجمه الى اللغة العربية الدكتور (يحيى الحشاش) وطبع في مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

مسجد الصخرة في زمن الصليبيين

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس (١٠٩٩م) حولوا مسجد الصخرة الى كنيسة . وبنوا على الصخرة مذبحاً كانوا يسمونه Templum Domini اي هيكل السيد . وجعلوا به الصور والتماثيل ^١ قال مسترج . فن (١) J. Finn انهم اقتطعوا من الصخرة جانباً بنوا فيه مذبحهم . وقال آخرون انهم قطعوا من الصخرة قطعاً كثيرة حملوا بعضها الى القسطنطينية والبعض الآخر الى صقلية .

واما الكبتن كرزويل استاذ فن المعمار الاسلامي في جامعة فؤاد الاول بالقاهرة ، فانه يقول (٢): « كسا الفرنج . على ما روى ابن الاثير (٣) ، الصخرة بالرخام . ذلك لان قساوسة النصارى في العهود الغابرة كانوا يقطعون منها اجزاء يبيعونها للحجاج الذين يأتون من وراء البحار . وكان هؤلاء الحجاج يأخذون قطع الصخرة هذه معهم الى بلادهم تبركاً وتيمناً بها وكان ذلك مصدر ربح وفير لهؤلاء القساوسة . اد كانوا يبيعونها بوزنها ذهباً . نخشي ملوك الفرنج ان تزول الصخرة اذا استمر ذلك طويلاً ، فكسوها بالرخام ابقاء عليها . »



الحاجز المصنوع من الحديد المشبك

- (١) اقرأ الصفحة ٢٤٨ من مذكراته . وكان هذا قنصلاً لبريطانيا بالقدس .
- (٢) من مقال له نشرته مجلة (الهلال) في عددها الذهبي عام ١٩٣٩ ص ٨٨ .
- (٣) اقرأ ما كتبه ابن الاثير ٩ - ٢٠٩ وما قاله الأب ممرجي في كتابه بلدانية فلسطين العربية ص ٢٦٣ .

ان الحاجز المصنوع من الحديد المشبك والذي يفصل الصخرة عن التشمينة الوسطى من صنع الصليبيين. وقد فن الصليبيون بمسجد الصخرة وقبته وتكوينه الرائع الى درجة أنهم اتخذوه انموذجاً وبنوا على غراره في أوروبا بعض كنائسهم (١).

قال الهروي (٢): « دخلت مسجد الصخرة في زمن الفرنج سنة تسع وستين وخمسمائة (٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م). وقرأت آية الكرسي منقوشة في سقف القبة بالذهب. وداير الصخرة درابزين من الحديد كالبيت. وكان قبالة الباب الذي لمغارة الأرواح صورة سليمان بن داود عند الدائر الجديد (الحديد؟). وغريه باب من الرصاص عليه صورة المسيح مذهباً وهو مرصع بالجواهر. والباب الشرقي الى قبة السلسلة عليه عقد مكتوب (فيه) اسم القائم بأمر الله أمير المؤمنين وسورة الاخلاص. وعلى سائر الأبواب كذلك. لم تغيره الفرنج... والى الشمال من قبة السلسلة دار القسوس بها من العمدة وعجائب الصنعة ما أذكره عند ذكر الأبنية ان شاء الله. »

مسجد الصخرة في زمن صلاح الدين :

عندما فتح صلاح الدين القدس (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) أعاد البناء إلى حاله القديم. فأزال معالم الكنيسة، ورفع المذبح، ومحا الصور والتماثيل، وأزال عن الصخرة الرخام الذي كان الصليبيون قد كسوها به. اعتقاداً منه أن الرخام المصطنع يقلل من جمالها الطبيعي. وقد زين القبة من الداخل بالنقوش الجميلة، وجدد بعض الرخام في الجدران.

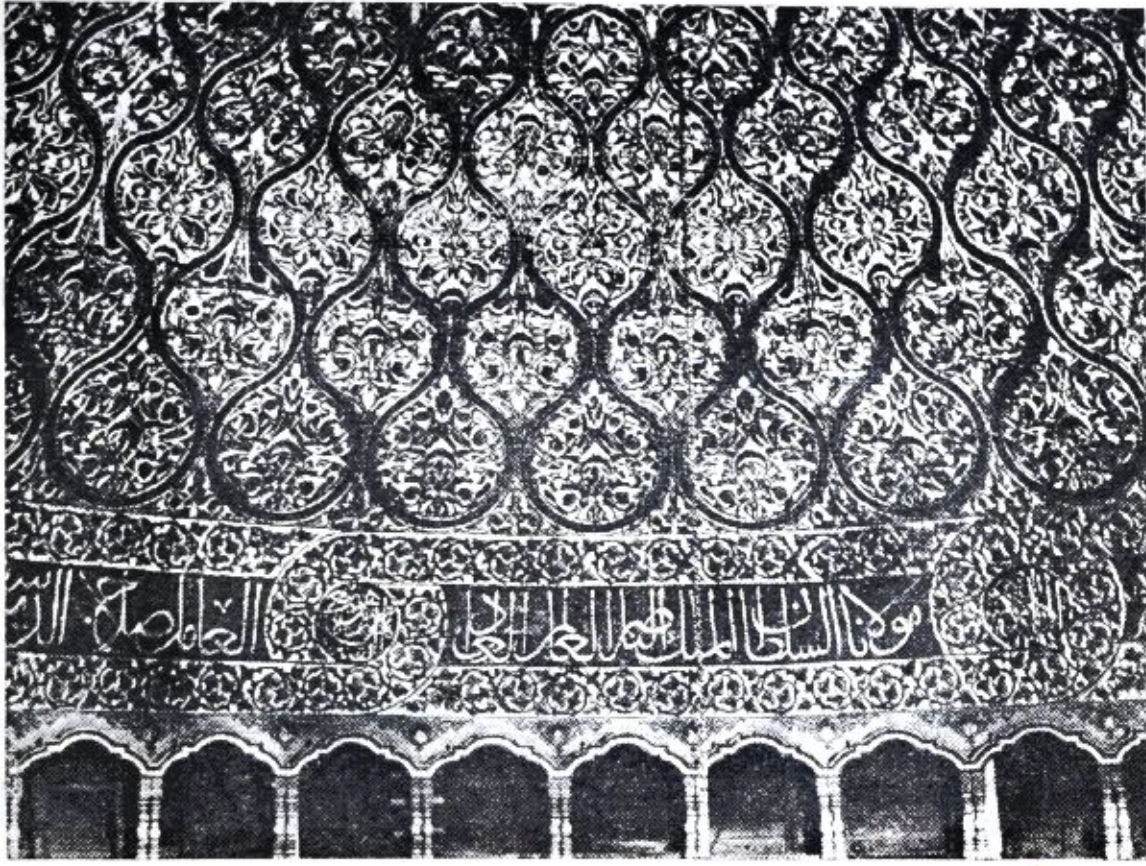
وإنك لتقرأ اليوم على سقف القبة من الداخل وفوق أقواس الدهليز الذي يعلو رقبة القبة الكلمات التالية : —

« بسم الله الرحمن الرحيم. أمر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل العامل صلاح الدين يوسف بن أيوب نعمده الله برحمته. وذلك في شهر سنة ست وثمانين وخمسمائة. »
ولقد رتب صلاح الدين للمسجد إماماً، وأقام على خدمته سدنة، ووقف عليه داراً وأرضاً، وحمل اليه والى المسجد الاقصى عدداً من المصاحف الشريفة تتلى فيها آيات الله. وكان على رأس القبة صليب كبير مذهب؛ فتسلق المسلمون، واقتلعوه. وفي يوم الجمعة الذي اعقب الفتح صلى المسلمون فيه صلاة الجمعة، وصلى معهم صلاح الدين. وكان الخطيب الإمام، على قول ابن الأثير (٣)، محي الدين بن الزكي قاضي دمشق.

(١) من هذه الكنائس التي بنيت على غرار مسجد الصخرة: (كنيسة الهيكل) بلندن. ويسمونها The Temple Church. وأما كنيسة La Chapelle بباريس، فانها من طراز غوتي بحت. ولا صحة للقول القائل أنها من طراز مسجد الصخرة.

(٢) (بلدانية فلسطين العربية) للاب مرمرجي الدومينيكي. ص ١٦٠

(٣) ابن الأثير ١١ - ٣٦٤



القبّة التي جدد تذهيبها صلاح الدين

ومن ملوك بني أيوب الدين لهم أثر في مسجد الصخرة الملك العادل سيف الدين أبو بكر أخو السلطان صلاح الدين ، والملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين ، والملك العزيز عثمان ابنه الآخر . فإن الحاجز الحشبي الذي يحيط بالصخرة هو من صنع الملك العزيز عثمان . وذكر مجير الدين أن هؤلاء كلهم كانوا يكنسون الصخرة بأيديهم ، ثم يغسلونها بماء الورد . كما كانوا ، في مثل هذه المناسبة ، يوزعون الصدقات على الفقراء .

ومن الحوادث التي جرت في القدس وكان لها أثر في مصير الصخرة الاتفاق الذي تم سنة ست وعشرين وستمئة للهجرة (١٢٢٨ م) بين الملك الكامل وبين الامبراطور فردريك ملك الفرنج^(١) أن يأخذ الفرنج القدس من المسلمين ، وان يبقوها على ما هي من الخراب ، ولا يحددوا سورها ؛ وأن يكون الحرم - بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى - بأيدي المسلمين ، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة ، ويتولاه قوام من المسلمين ، ويقومون فيه شعائر الاسلام من آذان وصلاة ؛ وأن تكون القرى التي بين عكا ويافا ، وبين لد والقدس بأيدي الفرنج ، دون ما عداها من قرى القدس . وعلى هذا عقدت الهدنة بينهما مدة عشر سنين وخمسة شهور وأربعين يوماً أولها الثامن عشر من شهر ربيع الأول .

فألم بسكان بيت المقدس غضب شديد . وراحوا يشتمون الملك الكامل بأفظع الشتائم . وساءت سمعته في كل البلاد . وازدادوا سخطاً على الملك عندما استأذنه الامبراطور في دخول القدس ، فأجابه الى ما طلب . وسير معه القاضي شمس الدين قاضي نابلس في خدمته . فسار معه الى المسجد . وأعجب الامبراطور بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة . وصعد درج المنبر . فرأى قسيساً بيده الانجيل .

(١) (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقي الدين أحمد بن علي المقرئزي . ج ١ ص ٢٣٠

وقد قصد دخول المسجد الأقصى . فزجره . وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا من غير إذن ليأخذن ما فيه عيناه^(١) . قائلا : « فإنما نحن مماليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده ، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام منه ، فلا يتعدى أحد منكم طوره . »
وقضى الامبراطور تلك الليلة في دار على مقربة من المسجد . فأمر القاضي شمس الدين المؤذن عبد الكريم ألا يؤذن تلك الليلة . فلم يؤذن البتة . ولما علم الامبراطور بما جرى قال للقاضي : « أخطأت فيما فعلت . والله إنه كان أكبر غرضي من المبيت بالقدس إن أسمع آذان المسلمين وتسيحهم في الليل^(٢) »
وفي سنة ٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م اختلف ملوك بني ايوب وامراؤهم ، وراح بعضهم يدس الدسائس للبعض الآخر . واتفق الناصر داود صاحب الكرك ، مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق على محاربة الملك الصالح نجم الدين . واتفق الاثنان مع الفرنج على ان يعينها هؤلاء في حربها مع الملك الصالح نجم الدين . ووعدهم ان يسلمهم القدس . وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس^(٣) وجلسوا فوقها بالخر ، وعلقوا الجرس على المسجد الاقصى^(٤) .

وحالف الملك الصالح نجم الدين ، اثر هذا ، الخوارزميين . وهجم هؤلاء على القدس . فاحكموا السيف في من كان فيها من النصارى . وهدموا المباني التي في كنيسة القيامة . ثم رحلوا عنها . استتب الأمر ، بعد ذلك الحادث ، للملك الصالح نجم الدين صاحب القاهرة ؛ الا أن سحابة من الاهمال ، كانت قد خيمت على الحرم . . واستمرت الى حين . .

مسجد الصخرة في عهد المماليك :

كان أول من عني بالمسجد من المماليك الملك الظاهر بيبرس . فقد حدثنا المقرئزي^(٥) أنه (أي الظاهر بيبرس) جهز الاموال والاصناف صحبة الأمير علم الدين الينغوري لعمارة قبة الصخرة بالقدس (٦٥٩ هـ - ١٢٦٠ م) وكانت قد وهت .

وحدثنا مجير الدين^(٦) أن الظاهر بيبرس عني بعمارة المسجد وجدد فصوص الصخرة المشرفة التي على الرخام من الظاهر . واختلف المؤرخان في تعيين التاريخ التي تمت فيه العمارة الثانية . فقال

(١) أي ليقطعن رأسه .

(٢) نقل المقرئزي هذه الرواية من كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) لابن واصل . وهذا اقتبسها عن القاضي شمس الدين الذي رافق الامبراطور .

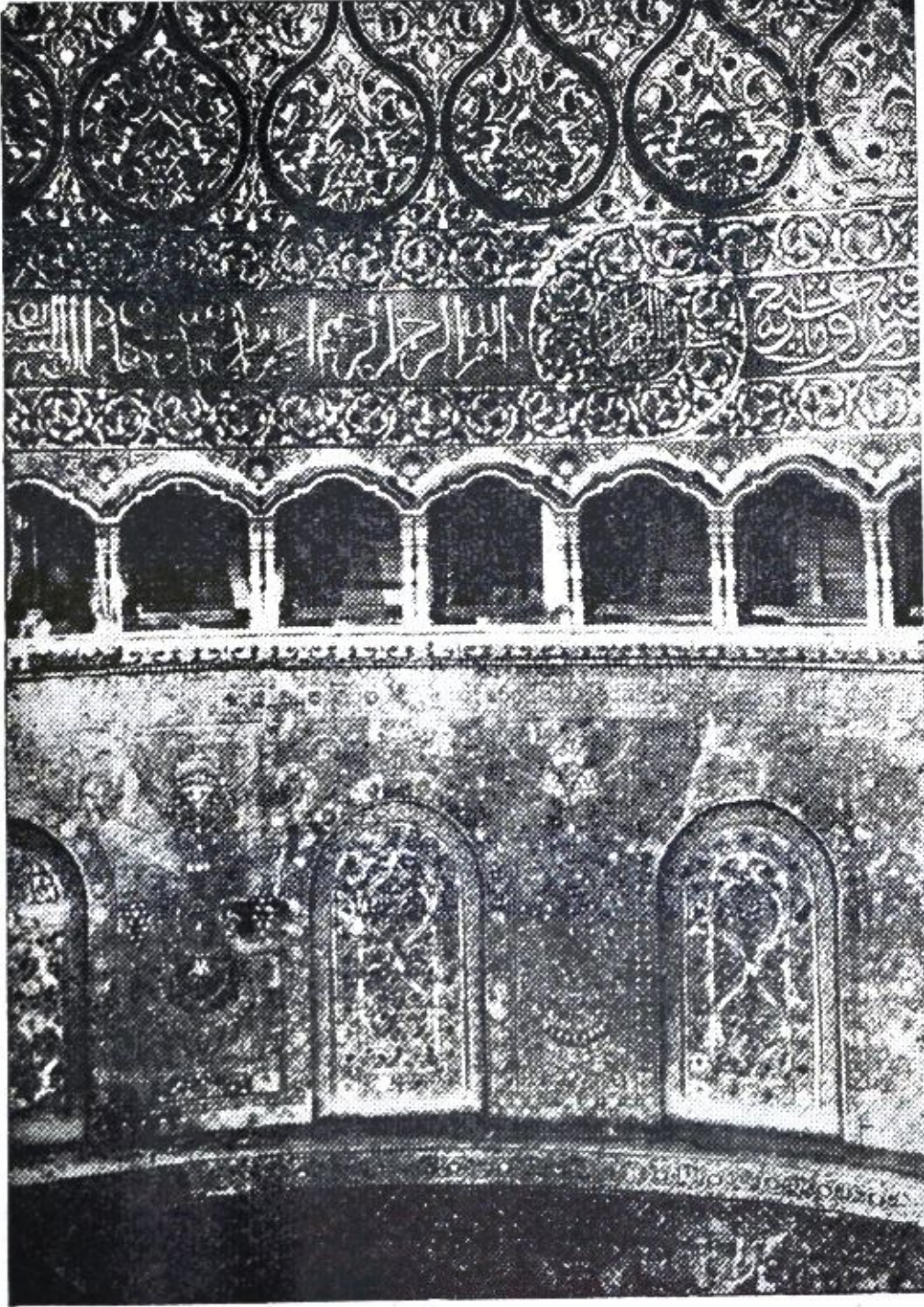
(٣) (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقي الدين احمد بن علي المقرئزي . ج ١ ص ٣١٥ .

(٤) قال جمال الدين بن واصل صاحب كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) انه رأى بينه ما احدثه الفرنج في بيت المقدس .

(٥) (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقرئزي ج ١ ص ٤٤٥

(٦) (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) لمجير الدين . ج ٢ ص ٤٣٣

بحير الدين انها جرت سنة ٥٦٦٩ - ١٢٧٠ م . وقال المقرئزي (١) انها تمت سنة ٥٦٧١ - ١٢٧٢ م .
وفي أيام الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري جددت فصوص الصخرة . وكان ذلك



سنة ٥٦٩٤ - ١٢٩٤ م .
وفي زمن الملك الناصر
محمد بن قلاوون تم تعمير القبة
من الداخل والخارج؛ فجدد
تذهيبها من الداخل ، وعمر
خشبها ورصاصها من
الخارج . وقد تم ذلك
سنة ٥٧١٨ - ١٣١٨ م .
وانك لو اجد في القبة من
الداخل وفوق أقواس الدهليز
الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم
أمر بتجديد وتذهيب
هذه القبة مع القبة الفوقانية
برصاصها مولانا ظل الله في
أرضه القائم بسنته وفرضه
السلطان محمد بن الملك
المنصور الشهيد قلاوون
تعمده الله برحمته . وذلك في
سنة ثمان عشرة وسبع مائة . »

الموضع الذي سجلت فيه عمارة قلاوون

إن أحسن وصف لمسجد الصخرة في القرن الثامن للهجرة قرأته لابن فضل الله العمري (٢)
الذي هبط بيت المقدس سنة ٥٧٤٣ - ١٣٤٢ م . فزار الحرم ووصفه وصفاً دقيقاً (٣) . وقد رأيت
من الفائدة أن انقل عنه السطور التالية . قال :

« أما البناء المبارك من وجه الصحن المفروش بالبلاط المصقول ، فارتفاعه عشرة أذرع وربع .

(١) (الساوك لمعرفة دول الملوك) للمقرئزي ج ١ ص ٦٠٨

(٢) (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) ص ١٣٣ - ١٥٢

(٣) اقتبس معظمه عن (سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد) للصاحب تاج الدين أبي الفضائل
احمد بن أمين الملك .

ودوره مائة وثلاثة أذرع وثلاثا ذراع. في دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة ، بظاها شبايك ، وهي مثمعة الأركان . كل تثمانية تسعة وعشرون ذراعاً وثلاثا ذراع . والبناء من ظاهره مكسو منه ارتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر . ومن أعلاه سبعة أذرع الى الميازيب بالفص المذهب المشجر المختلف . وتحتوي كل تثمانية على سبع طاقات : اثنتان في الطرفين مسدودتان ، والخمسة مركب عليها الزجاج ، ومن ظاهرها الشبايك الحديد . ومن أعلى الميازيب حائط ارتفاعه أربعة أذرع ، مكسو بالفص بالصفة المذكورة ، مشخص في كل تثمانية منه ثلاثة عشر محراباً .

وله أبواب أربعة : فالقبلي ارتفاعه ستة أذرع وربع ، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثمان . وأمامه من خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر . طوله من الشرق للغرب واحد وعشرون ذراعاً ونصف ، وعرضه أربعة . سقفه بسط مدهون . والوسط أمام الباب قنطرة بالفص المذهب ، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام ويعلق على الباب المذكور مصراعان من الأبواب ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش . وأما الباب الشرقي من بناء الصخرة فانه بابان : أحدهما داخل الآخر . جعل الباب الخارج وقاية للداخل من الأمطار والثلوج . ملبس بالرخام . رحاب ما بين البابين عرض أربعة أذرع وربع ، وطول خرجته اثنا عشر ذراعاً ونصف . على يمينه الخارج بيت للبواب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف ، وعلى يسرته بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسيبي وزرق . وعقد ما بين البابين بالفص المذهب .

وأما الباب الشمالي ويسمى باب الجنة فله خرقة كالتى في الباب الشرقي وصفتها وحليتها .

وأما الباب الغربي فله خرقة كالباين الشرقي والشمالى .

وعلى يمينه الداخل من الباب القبلي ويسرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع . . ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل الى وجه الأعمدة الآتي ذكرها ثمانية أذرع وثلاثا ذراع . بأعلاها سقف بسط مدهون بأنواع الدهان ، ارتفاعه خمسة عشر ذراعاً ، محمول على حائط الصخرة . والأعمدة والحائط من باطن التثمانية ، ملبس جميعه بالرخام بغير فص . .

كل تثمانية من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع . دور كل سارية أحد عشر ذراعاً وثلاثا ذراع ، وطولها ثمانية أذرع وثلاثا ذراع . وجهها الذى يلي الصخرة بقرتين . ومع السارية عمودان : أحدهما «شحم ولحم» والآخر أخضر مرسيبي . بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع . ودوره ذراعان وثلاثا ذراع . وارتفاعه خارجاً عن القواعد ستة ونصف ، يعاوها (بساتل) ملبسة بالنحاس الأصفر المنقوش المذهب فوق نقشه . يعاؤها (البساتل) قناطر بالفص المذهب البديع . بهذه التثمانية الأولى ، ثمانية سوار وستة عشر عموداً : منها أبيض وأزرق عشرة ، وأخضر مرسيبي ثلاثة ، و «شحم ولحم» ثلاثة .

وتقيس من واجهة قواعد هذه العمدة عشرة أذرع لتثمانية ثمانية عليها سقف «مقالى» مذهب ،

ارتفاعه ارتفاع السقف الأول . و«مقاليه» مركبة بغير تسمير لأجل كنس السقف . والسقف الذي يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن .

وبآخر هذه التشمينة الدائرة الدرازين المحيط بدور القبة . والحامل للقبة أربعة سوار مربعة ملبسة بالرخام مثل الأولى . بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام « الشحم واللحم » والأخضر المرسي . يعلو ذلك قناطر من الوجهين : فص مذهب ، والباطن رخام أبيض وأسود . جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عموداً : منها أخضر مرسي سبعة ، و « شحم ولحم » خمسة . وارتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعاً ؛ ومن ظاهر الصخرة إلى أرض المغارة ستة أذرع ؛ ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف . ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع .

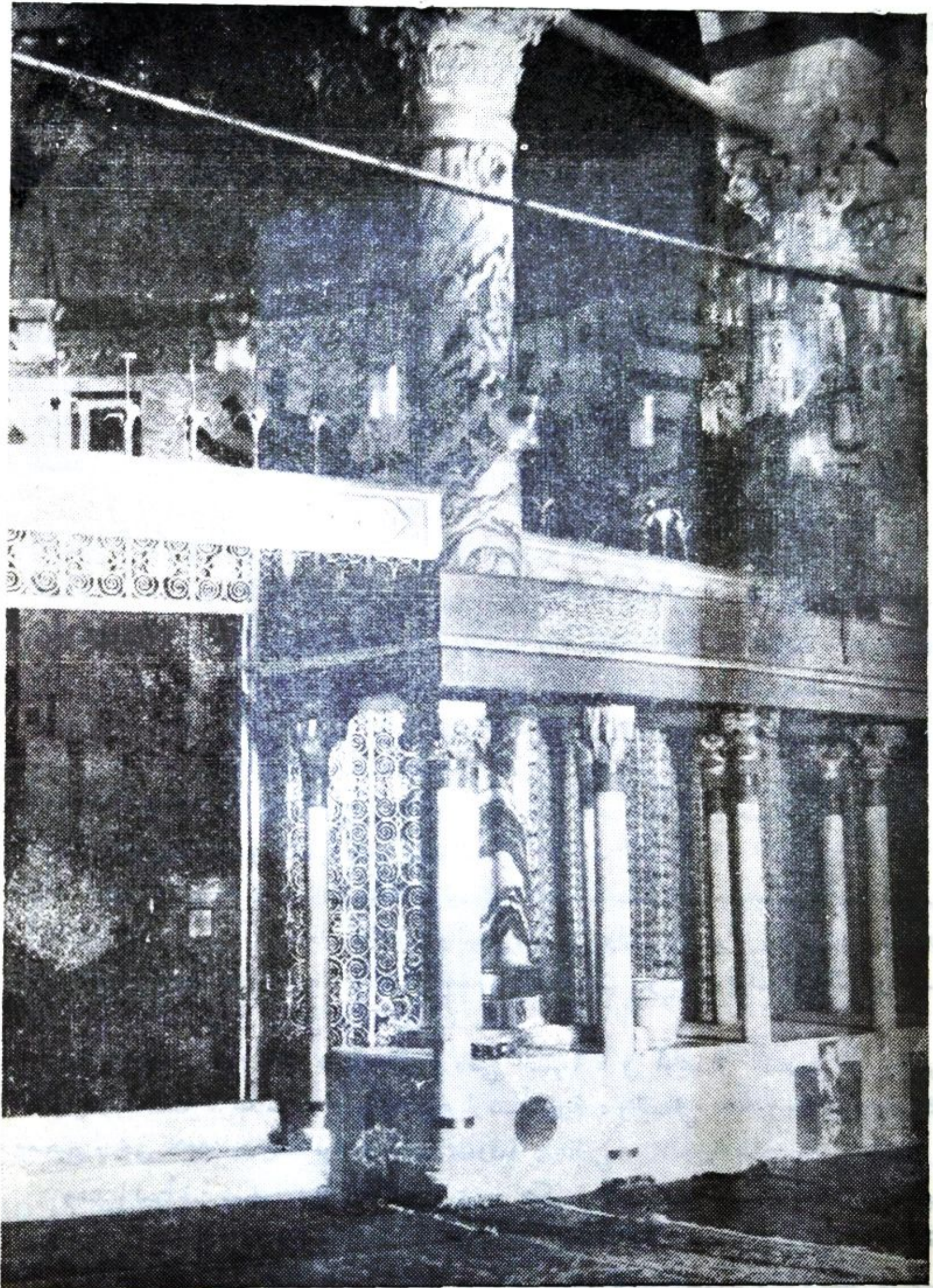
وصفة الشباك الحديد الذي بين هذه العمود والسواري ، له أربعة أبواب : الشمالي منها مغلق ، والثلاثة مفتوحة . ويحيط بحجر الصخرة درازين من الخشب المنقوش ، دوره أربعة وسبعون ذراعاً . وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلاث ذراع ، تعلوه شرفة خشب مدهونة . وبأعلى الشرفة شمعدانات حديد . وتحت الصخرة مغارة ينزل إليها بأربع عشرة درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع ، وعرضها سبعة ونصف من القبلة للشمال .

وجميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

هذا ما قاله العمري عن مسجد الصخرة ، كما رآه في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة . وفي زمن الملك الظاهر برقوق جدت دكة المؤذنين . تلك الدكة الكائنة بجانب باب المغارة من الغرب ، والتي تراها أمامك إذا ما دخلت المسجد من باب القبلي . ويبدو أن هذه الدكة قديمة العهد ، وإن لم يذكرها العمري في وصفه . وقد تم تجديدها في زمن الملك الظاهر برقوق على يد نائبه بالقدس محمد بن السيفي بهادر الظاهري (٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م) .
فقد قرأت على واجهتها القبلية الكلمات الآتية منقوشة بالذهب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق خلد الله ملكه في نيابة المقر الأشرف العلائي الطنبغا الجوباني كافل المالك بالشام المحروسة أعز الله أنصاره بنظر العبد الفقير إلى الله تعالى المقر العالي الخدومي الناصري محمد ولد المقر المرحوم السيفي بهادر الفخري الظاهري نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف وناظر الحرمين الشريفين أعز الله أنصاره بتاريخ مستهل شوال سنة تسع وثمانين وسبعمائة . »
وفي زمن هذا الملك نفسه جدت عمارة القيسارية المعروفة بخان السلطان ، وهي وقف على الصخرة (٧٨٨ هـ - ١٣٨٦ م) .





دكة المؤذنين جدها الملك الظاهر برقوق
وفي زمن السلطان الملك الأشرف برسباني اشترى نائب السلطان بالقدس الأمير أركاس
الجلباني للوقف ضياعاً رصد جانباً منها لمصلحة الصخرة . ونقش بذلك (٥٨٣٦ - ١٤٣٢ م)
رخامة ألصقها بحائط الصخرة الى جانب الباب الشرقي من القبلة تجاه قبة السلسلة .

ولقد رأيت هذه الرخامة (١٩٤٥ م) وقد حكمت بعض كلماتها . ويظهر أن الذي فعل ذلك هو أحد الذين لهم مصلحة شخصية في ضياع معالم هذا الوقف .

السطران الأول والثاني محيا بالمره

وقد ظهرت من بعدها الكلمات التالية : —

« (١) الحرمين الشريفين اثابه الله الجنة . وهو مشتراه مما ثمره من مال الوقف من أجور المسقفات في كل شهر الفاً درهم خارجاً عن تكملة حواصل المستحقين وما جدده وأنشأه من الحمام الخراب بحارة (٢) وقرية العوجا (٣) والنعيمة بالغور ومرتب الخواجات الواردين (من)

(١) هذه وغيرها من النقط في الفقرات التالية تشير الى مواطن الحك .

(٢) المعتقد ان الحمام الوارد ذكره في هذه الفقرة هو الذي كان امام (هوسبيس النمسا) في حارة الواد وكان المقدسيون يسمونه (حمام السلطان) . وقد حام حوله ، في اواخر القرن الماضي ، الشيء الكثير من اللفظ والهمس : ان الارمن — الكاثوليك شروه (؟) وبنوا مكانه (١٨٨٦م) الدار التي تقوم فيها البطركية . وبنوا في المكان نفسه كنيسة باسم : (اوجاع العذراء) . انها قريبة من المرحلة الثالثة من مراحل السيد المسيح على درب الآلام .

(٣) هناك اختلاف حول هذه القرية بين مصلحة الوقف والحكومة وأهالي العوجا . أما مصلحة الوقف فتدعى أن القرية كلها وما عليها وقف صحيح شرعي خيري . وقفه نائب السلطان بالقدس الأمير أركاس الجلباني بأمر من السلطان الملك الأشرف برسباي ، ورصده لعمارة مسجد الصخرة ، ونقش الوقفية على رخامة ثبتها على حائط الصخرة في الموضع الذي أشرت اليه . والحكومة تقول أن هذه الأرض معطلة ، وأنها بقيت أرضاً يباباً سنين طوالاً ، وهي لهذا أرض أميرية لها هي وحدها حق التصرف بها كيف تشاء .

وأما أهالي العوجا وهم عرب النصيران ورئيسهم الشيخ عبد سعد النجوم ، ومعهم فريق كبير من أبناء بيت المقدس من آل الدجاني والقطب والعمد والحسيني والحزينة وغيرهم ؛ فانهم يدعون أن هذه الأراضي وقف غير صحيح ، وأنهم هم أنفسهم المالكون ، وأن الموقوف الضرائب والرسوم فقط . وأنهم يتصرفون بها على هذا النمط منذ سنين .

بدأ الخلاف سنة ١٩٥٣ عندما قرر « قاضي التسوية » في أريحا ان القسم غير المزروع من الأرض ومساحته تقرب من ٧٠٠٠٠ دونم أرضاً أميرية ، والباقي ٨٠٠٠٠ دونم وقف غير صحيح . يحق للاهلين ان يتصرفوا به كيف يشاءون .

وعندما استأنفت مصلحة الوقف هذا القرار تقضته محكمة الاستئناف بالقدس ، وأصدرت حكماً سنة ١٩٥٥ لصالح الوقف . قائلة ما ملخصه ان العوجا كلها بينايعها وقف صحيح شرعي لعمارة الصخرة . ومن البراهين التي استندت عليها المحكمة في حكمها هذا ، الوقفية المتقدم ذكرها والمثبتة على جدار الصخرة من زمن السلطان برسباي . تلك الوقفية التي اوردها المؤرخ السيد عارف العارف في الصفحة ٢٤ من كتابه « تاريخ الحرم القدسي » .

وعندما اعترض اهالي العوجا قررت المحكمة نفسها سنة ١٩٥٨ — وكانت قد تشكلت من قضاة آخرين — اعادة القضية الى قاضي التسوية للنظر في ادعاء الأهلين من جديد . فرفعت مصلحة الوقف على أثر ذلك دعواها الى « محكمة التمييز » . وهاهو الخلاف لايزال قائماً بين الفرقاء المختلفين (يتبع)

قامة. وأوقف جميع المتحصل (من) ذلك برسم عمارة المسجد الأقصى الشريف والصخرة الشريفة وأوقفهما، وما فضل من ذلك يرصد حصلاً لصندوق الصخرة الشريفة. أرصد ذلك جميعه برسم العمارة خالصاً ارصاداً صحيحاً شرعياً بمقتضى المرسوم الشريف المعين تاريخه أعلاه. ورسم أن ينقش في هذه الرخامة حسنة جارية في صحائف مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه على الدوام ما تعاقبت الشهور والأعوام. فمن بدله بعد ما سمعه فانما ائمه على الدين يبدلونه . . . ويضاف الى ذلك فائض الزيت والجوالي . . اللهم من فعل هذا الخير وكان السبب فيه جازه بالجنة والنعيم ، ومن غيره أو نقصه جازه بالعذاب الأليم . »

عندما ذكر مجير الدين (١) هذا الامير والاعمال التي قام بها لمصلحة الصخرة ، أكتفي بالقول أنه « اشترى الموقف مما أرصده من المال جهات من القرى والمسقفات . وورد مرسوم الاشرف بصرف معالم المستحقين منها ، وأرصاد ما بقي لمصالح الصخرة الشريفة ؛ ونقش بذلك رخامة وألصقت بحائط الصخرة الشريفة تجاه قبة المحراب في سنة ست وثلاثين وثمانمائة . » ولم يقل لنا مجير الدين ماهي القرى والمسقفات التي وقفها ؟

يظهر أن القائمين على شؤون هذا المسجد خشوا أن تلعب الأيدي مرة أخرى بهذا السجل القيم المنقوش في الحجر ، فتزول معالم الوقف بالمرّة ؛ فغطوا الرخامة بالزجاج وبشبكة من السلك الناعم ، وسيجوها باطار من حديد يصعب فكّه ومس الكتابة بسوء. وقد تم ذلك في أواخر العهد التركي. وفي أيام الملك الظاهر جقمق (٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م) حرق جانب من سقف الصخرة على أثر صاعقة نزلت من السماء . فركض الناس لإطفائها . وقيل يومئذ أن الحريق لم يكن بفعل الصاعقة ، وإنما كان بفعل فريق من أبناء الذوات دخلوا بين سقفي القبة ليصطادوا الحمام . وكانت يدهم شمعة موقدة ، أصاب شررها جانباً من الخشب ، فاحترق .

كان ناظر الحرم يومئذ القاضي شمس الدين الحموي . فانعم عليه الملك بالفين وخمماية دينار ذهباً ومائة وعشرين قنطاراً من الرصاص ، عمر بها السقف ، وأرجعه إلى أحسن مما كان .

وفي زمن الملك الظاهر خوشقدم (٨٦٩ هـ - ١٤٦٤ م) أراد ناظر الحرمين الأمير ناصر الدين النشاشيبي أن يفك الرصاص عن ظاهر قبة الصخرة ، ويجدده ، كما فعل بالمسجد الأقصى . فمنعه الشيخ جمال الدين بن غانم شيخ الحرم . ويقول مجير الدين الذي أشار الى هذا الحادث في كتابه

ولا غرابة في ذلك . فان الأرض المختلف عليها واسعة جداً . مساحتها ١٥٢٠٠٠٠٠٠ دونم . وبنائيعها بمفردها اغزر بكثير من البنائيع الأخرى الكائنة في سهل اريحا بما فيها عين السلطان وعين الديوك والنويعمة . والأرض خصبة جداً . يكفي ريعها لعمارة مسجد الصخرة على مر السنين . ويفني المسامين عن الاستجداء من حين الى حين . هذا اذا صدر الحكم لصالح الوقف . وكذلك قل عن السكان الذين يزرعون هذه الأرض وعددهم لا يقل عن الف ، فان ربحهم للقضية يفنيهم عن السؤال ويرفع من مستواهم الاقتصادي والاجتماعي . وفوق كل ذي علم عليم .

(١) اقرأ الصفحة ٤٤٢ الجزء الثاني من كتاب (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) .

« إن ذلك كان توفيقاً من الله . إذ أن الرصاص القديم الذي كان ، أحسن من المستجد الذي عمل بالأقصى . »

وفي زمن الملك الأشرف قايتباي (٥٨٧٢ - ١٤٦٧م) صنعت الأبواب النحاسية التي في مدخل الصخرة من الغرب . فقد رأيت في أسفل المصراع الأيسر للباب الغربي وعلى جانبه الملاصق للحجر ست قطع نحاسية نقش عليها اسم الملك قايتباي .

مسجد الصخرة في عهد الأتراك العثمانيين :

ما كان لفتح القدس العثماني السلطان سليم الأول الملقب بياوز من الوقت ما يكفي للقيام بأي عمل في مسجد الصخرة ، ولا في أية ناحية من نواحي الحرم . لأنه كان مهتماً بشؤون الفتح . وأما في زمن ولده السلطان سليمان الثاني . الملقب بالقانوني ، فقد تمت تعميرات كثيرة؛ نذكر منها: إنه عمر من جديد قبة الصخرة والباب الشمالي . وإنك لو اجد على القوس الذي فوق الباب المذكور كتابة خطها عبد الله التبريزي على عهده . ومنها يفهم أن عمارة هذا الباب قد تمت في ١٥٥٩ - ١٥٥٢ م . وهذا هو نصها :

« قد جدد بحمد الله قبة الصخرة من بيته المقدس الفائق بناؤها وبهاؤها (. . .) في ظلال دولته السلطان الأعظم والحاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والبرهان أبو الفتوحات السلطان سليمان خان بن السلطان المعروف بالاحسان أبي النصر سليم خان المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر بن السلطان بايزيد بن السلطان المجاهد الأجدد السلطان محمد بن عثمان ، سحت على تراهم سحب الرضوان . فأعاد إليها ذلك البهاء القديم (. . .) حذاق المهندسين تاريخاً في ٩٥٩ فجعلوه أحسن (. . .) قد تشرف بكتابتها عبد الله التبريزي . »

وعلى عهده تم تصفيح جدران المسجد بالميناء الفارسي (١) .

وهو الذي عمر من جديد ابواب الصخرة . فقد قرأت على أعلى الباب النحاسي الغربي ما يلي : « جدد هذه الأبواب . . . اعظم الخواقين الأعيان السلطان سليمان بن سليم خان . نصره الله سنة ٩٧٣ . » (٢) - ١٥٦٥ م . تقول : جددها . وأما الذي صنعها في الأصل فهو قايتباي .

(١) (حضارة العرب) للدكتور غوستاف لوبون . ترجمه الأستاذ عادل زعيتري ص ١٧٥ .
(٢) اقرأ ما كتبه فان برشم في الصفحة ٢٤١ من كتابه . وقد قرأت في السجل ٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية الصفحة ٥٧٧ التاريخ ١٢ محرم سنة ٩٧١ هـ - ١٥٦٣ م محضراً موقفاً عليه من القاضي محمود الحنفي والمحاسب الحاج رجب بن القنيطاء جاء فيه : « أن الأوسطة حضر وصحبته قطع نحاس صغار مدورة وقطع نحاس أكبر من الأولى مطاولة ، محملة على جمال متعددة ، وذلك لأجل أبواب الصخرة الشريفة . وهي مرسلة من مولانا سلطات الإسلام سليمان بن عثمان . »

وهو الذي عمر المحراب الكائن في قبة السلسلة (١٥٦١ م) وزينه بالقاشاني من النوع الذي نراه في الباب الشمالي . وكذلك قل عن بعض القاشاني الذي نراه في أعلى جدران المسجد من الخارج . تقول البعض ، ولا تقول الكل . إذ أن المستر ريشموند الذي درس هذا الموضوع دراسة مستوفية قال في كتابه (١) : -

« إن عدد البلاط القاشاني الذي يستر جدران المسجد من الخارج بلغ خمسة وأربعين ألفاً . وإنه من أنواع مختلفة . وقد وضع في تواريخ مختلفة . فمنه ما هو موضوع في القرن الحادي عشر . ومنه ما هو موضوع في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . وبعضه في أوائل القرن العشرين . »

وأما فان برشام وميجو فانها يعتقدان أن البلاط الصيني كله من عهد السلطان سليمان ، وأن جدران المسجد من الخارج كانت قبل ذلك مكسوة بالفيسفساء .

ولا صحة للقول القائل أن الرخام الذي نراه في أسفل الجدران من الخارج وضع هناك على عهد السلطان سليمان لا ، ولا القول بأنه من وضع صلاح الدين . فان هذه الجدران كانت في جزئها الأسفل مكسوة بالرخام عندما بناها عبد الملك بن مروان . وأما جزئها الأعلى فكان مكسواً بالفيسفساء .

وهناك في كرسي القبة ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب ، عليها نقوش تدل على أنها صنعت في زمن السلطان سليمان الثاني (٢) (١٥٤٥ هـ - ١٥٣٨ م) .

وفي زمن السلطان محمد الثالث (١٠٠٦ هـ - ١٥٩٧ م) فتح حاكم القدس نافذتين في القسم السفلي من حائط الثمن الخارجي : الضلع الجنوبي الشرقي والضلع الجنوبي الغربي . وذلك بقصد توفير النور داخل المسجد .

وقد ركبت بلاطة فوق النافذة التي في الضلع الجنوبي الشرقي نقشت عليها الكلمات التالية (٣) : -

| | |
|---|----------------------------|
| يا طالب الخير افتح طاقاً في الصخرة الغراء | قد بدامن هاتف الغيب النداء |
| منها فكانت كأنها جنة المأوى | قد أشرقت شمس الصبح وتالأأت |
| حاكم القدس شجاعاً بجهة الانشاء | قد تلا فآح الطاق في تاريخه |

ووضع السلطان أحمد الأول بن السلطان محمد الثالث (١٠١٢ هـ - ١٦٠٣ م) في داخل

(١) The Dome of the Rock P. 24

(٢) خطط الشام للاستاذ محمد كرد علي ص ٢٧٠ .

(٣) راجع فان برشام ص ٢٤٣ .

مسجد الصخرة قنديلين كبيرين سلسلهما من ذهب^(١). مكتوب بأعلاهما اسم الله ومحمد وأبي بكر، وفي الوسط عمر وعثمان وعلي والحسن والحسين، وفي أسفلها اسم السلطان أحمد.

وفي ربيع الأول ١٠٢٦ هـ - ١٦١٧ م سقط هلال الصخرة^(٢) على أثر زوبعة شديدة هبت على القدس، فأعيد تركيبه في شهرين، بعد أن تجدد قسمه الخشي من الداخل. وقد تم ذلك على يد حاكم القدس عبد الله أفندي وفي زمن السلطان مصطفى الأول بن السلطان محمد الثالث.

وفي ذي الحجة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م قام محافظ القدس قره قولاق حاجي مصطفى باشا ببعض الترميمات الطفيفة في مسجد الصخرة بمعرفة أحد أتباعه حسين آغا. واستبدلت بعض المصاحف الجديدة بالمصاحف القديمة^(٣). وقد تم ذلك في زمن السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع.

وكذلك فعل المحافظ رجب باشا. فقد عني هذا بمسجد الصخرة^(٤)، وكان قد أهمل في السنوات التي سبقت، بسبب قلة السدنة المنصفين والنظار المصالحين فرمت بعض جوانبه، وجددت قصارة المغارة التي تحت الصخرة، وفرشها بالبسط. وزينها بالثريات. وقصارى القول انه اعتنى بهذا المسجد عناية جعلت الشاعر ينشد:

سقى الله دنيانا فاخصبها : والعدل يفعل ما لا يفعل المطر

ولقد عمرت الصخرة والأقصى، وبعض الأملاك الموقوفة عليهما، في العهد التركي وعلى يد السلطان محمود الأول (١١٤٨ هـ - ١٧٣٥ م). فقد جاء في السجلات الشرعية بالقدس أن القاضي واني زاده عمر افندي تلقى أمراً من والي الشام الوزير الحاج سليمان باشا بوجوب القيام بتعميرها. فنفذ هذا الأمر. وجرى التعمير بإشراف شيخ الحرم عبد الوهاب افندي، وامين البناء الحاج احمد افندي، وامين الدفتر الحاج مصطفى افندي وهو المسؤول عن المخزن الذي كانت تحفظ فيه ادوات التعمير والبناء. وقد جاء في التقرير الذي دونه قاضي القدس في سجلاته^(٥): « إن نفقات التعمير بلغت يومئذ ٥٥٥٥ قرشاً، دفع معظمها من الأموال الموقوفة على الحرم، ودفع

(١) السجل ذو الرقم ٩٢ الصفحة ٤٦٩

(٢) السجل ذو الرقم ٩٩ الصفحة ١

(٣) السجل ذو الرقم ٢٠٣ الصفحة ٤٢

(٤) (الأقوال السنينة فيما يتعلق بالأسئلة القدسية) لشيخ الاسلام السيد محمد بن عبد الرحيم مفتي السادة بالديار المقدسة . وهو مخطوط عثرت عليه في دار الكتب الظاهرية بدمشق . ويظهر انه كتب سنة

١١٢٧ هـ - ١٧١٥ م

(٥) السجل ذو الرقم ٢٢٨ الصفحة ٥

بعضها من مال الوالي الخاص . وفي التقرير ذكر لعهد الواح الرصاص والحديد والنحاس ، ما استعمل منها وما تبقى .

وفي سنة ١١٦٦ هـ - ١٧٥٢ م ، تم تعمير قبتي الصخرة والأقصى بأمر من القسطنطينية الى والي الشام الوزير الحاج اسعد باشا ، ومن هذا الى قاضي القدس . والذي تولى التعمير هو أمين البناء مكي زاده حسين . لا ندري تماماً ما الذي عملوه يومئذ . وكل ما وصل الينا عن هذا التعمير أن القبة كانت من خشب ، وهذا تخ مع الزمن . فأمر السلطان محمود الأول بتعميرها . فسكبوا ٤٢ قنطاراً قدسياً ونصف قنطار من الرصاص لهذه الغاية (١) .

وفي عهد السلطان عبد الحميد الأول (١١٩٥ هـ - ١٧٨٠ م) أعيد بناء المدخل الغربي . بالشكل الذي تراه اليوم . هناك ، فوق المدخل المذكور ، بلاطة طويلة نقشت عليها الأبيات التالية : -

فوق الباب من اليمين :

| | |
|--------------------|-----------------------|
| سلطاننا عبد الحميد | قد جدد الملك التقي |
| تسقيفها صحن الوضيد | ذا الباب والكاشاني مع |

فوق الباب من اليسار :

| | |
|-----------------------|----------------|
| حقي محمد مير سعيد | بأمين عبد صادق |
| تعميره بيتاً مجيد (٢) | سر الحميد مؤرخ |

وفي زمن السلطان محمود الثاني (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م) تم تجديد بعض الرخام . يدلك على هذا كتابة تراها منقوشة على بلاطة سوداء مصنوعة من الرخام ، وضعت بمخاء الباب القبلي من الخارج . وقد كتبت بأحرف ذهبية فاخرة . وإليك نصها : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد تعمير هذا الرخام على النسق الحسن مولانا سلطان البرين وخاقان البحرين وخدام الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين الغازي المجاهد حضرة السلطان محمود خان نصره الله وأدامه وخلصه ملكه وأوطانه وقرن بالتوفيق أحكامه ونشر على الحاققين بالعدل الويته واعلامه وذلك على يد الوزير الشهير المأمور بالامر العالي الخطير الدستور الوقور صاحب الخير المبرور سعادتو الحاج سليمان باشا بلغه الله ما شاء والي الشام دام اجلاله ، وذلك في ثلاث وثلاثين ومايتين وألف .

(١) السجل ذو الرقم ٢٣٧

(٢) انا اذا ما حللنا الشطر الثاني من البيت الاخير هكذا : [ت = ٤٠٠ = م = ٧٠ = م = ٤٠ = ي = ١٠ = ر = ٢٠٠ = هـ = ٥ = ب = ٢ = ي = ١٠ = ت = ٤٠٠ = ا = ١ = م = ٤٠ = ج = ٣ = ي = ١٠ = د = ٤ = المجموع = ١١٩٥] وجدنا ان هذا العمل قد تم سنة ١١٩٥ هـ اي ١٧٨٠ م .

وفي زمن السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني (١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م) تولت الحكومة العثمانية ترميم مسجد الصخرة . قال المستر ريشموند^(١) نقلاً عن رجال البطريركية الارمنية بالقدس « إن هذا الترميم جرى بإرشاد مهندس أرمني خبير ببناء القباب اسمه (قرابت قالفا) . وقد جاء من الآستانة خصيصاً لهذه الغاية ، مستحضراً معه عدداً من الصناع الاخصائيين ، أكثرهم من الارمن . فقام بتقوية القبة ورمم بعض النقوش والزینينات الداخلية . »

والمعروف أن تلك العمارة كانت من أضخم العمارات التي تمت في الصخرة ، وأنها شملت بناء الصخرة الاساسي ونقوشها الداخلية ، وإن العمل دام بضع سنين .

وفي زمن السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني (١٢٩١هـ - ١٨٧٤م) أعيد انشاء قسم كبير من السقف الخشي الجميل في الرواق الكائن في وسط الثمينة من الداخل . وحاول المهندسون يومئذ تعميم الفراغ الذي حدث مع الزمن بين الفسيفساء ، لاجحارة مربعة من الفسيفساء الأصلية ، وإنما بقصارة المواضع الفارغة بالجص ، وتلوينها بألوان تشبه الفسيفساء . وكتب أحد العمال خفياً اسمه بين الفسيفساء فقال^(٢) : « احفظ يارب عبدك ابراهيم الطويل وأولاده . »

ولقد تم ، في التاريخ نفسه ، تصفيح القبة وسطح المسجد من الخارج بالصفائح الرصاصية^(٣) . ووضعت الثريا الكبيرة التي تراها بين الباب القبلي ودكة المؤذنين .

ويقول المستر ريشموند^(٤) نقلاً عن الشيخ خليل الدنف الأنصاري ، سادن الصخرة ، إن أرض المسجد فرشت بالرخام في ذلك العهد . وكذلك قل عن قواعد الأعمدة التي يقوم عليها الرواق الأوسط . فقد تم تصفيحها يومئذ بالرخام .

وفي ذلك التاريخ وضعت الشبايك المصنوعة من الزجاج مختلف الألوان في كثير من نوافذ الصخرة . وتم تعميم البلاط الرخام الذي يكسو القسم السفلي لجدران المسجد من الداخل . وأما الرخام الذي فوق ذلك وفي القسم العلوي لتلك الجدران وهو معرق تعريقاً جميلاً ، فإنه من زمن عبد الملك بن مروان .

ومما ذكره الشيخ خليل الأنصاري للمستر ريشموند أنه كان هناك ، فوق الستار الحديدي الذي يفصل بين الصخرة والرواق الأوسط ، ستار حريري مزركش تحمله جبال غليظة حبكت من الحرير وإن ذلك الستار رفع من مكانه بأمر السلطان عبد العزيز . كما رفع عدد من القاشاني القديم الذي كان يكسو

(١) The Dome of the Rock P . 19

(٢) The Dome of the Rock P . 20

(٣) مجلة الآثار ٥ - ٦ ص ٢٤٨

(٤) The Dome of the Rock P . 20

الجدران من الخارج ، ووضع مكانه قاشاني جديد أتى به من الخارج . وكذلك قل عن البلاط القديم من الرخام الذي كان يغطي ارض المسجد من الداخل ، فقد رفع ووضع مكانه رخام جديد . وبذلك تجددت ارض المسجد كلها ، خلا الجزء المقابل للباب القبلي .
ووضع البلاط والقاشاني القديم في مخزن أعد لحزن مواد البناء في المسجد الأقصى ، وكان يعرف بـ (النجارة) .

وقصارى القول ان العمارتين اللتين اجريتا في زمن السلطان عبد الحميد (١٨٥٣م) والسلطان عبد العزيز (١٨٧٤م) كانتا من اضخم العمارات التي تمت في مسجد الصخرة بعد أن بناه عبد الملك بن مروان ، وقد استمرتتا عدداً من السنين ، وشملتا بناء الصخرة الأساسي وتقوسها الداخلية ، لا سيما العمارة التي تمت في زمن السلطان عبد العزيز ، ويقول الحبيرون ان هذه العمارة كلفت خزانة الدولة مقادير كبيرة من الذهب الخالص (عيار ٢٢) ، وان عمله هذا اعتبر اسرافاً ، وكان من جملة الأسباب التي أدت الى خلعه .

وفي زمن السلطان عبد الحميد الثاني فرش مسجد الصخرة بعدد وافر من السجاد الثمين . ونصبت الثريا التي كنت تراها فوق الصخرة ، والتي نقلت بعدئذ (١٩٥١ م) الى المسجد الأقصى . وفتحت ثلاث نوافذ في اضلاع القبة الخارجية لانارة الفسيفساء . ووضع الهلال الحالي فوق قبة الصخرة . وكان ذلك قبل زيارة إمبراطور الألمان غليوم الثاني لبيت المقدس (١٨٩٢) .

والسلطان عبد الحميد الثاني هو الذي أمر بكتابة سورة (يس) التي نراها في أعلى التيمنة من الخارج . وقد كتبها (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م) السيد محمد شفيق احد هواة الخط العربي في ذلك العهد^(١) ، كتبها بالخط المعروف بـ (الثلث) على افريز عرضه خمسة وسبعون سانتراً بأحرف عرض الواحد منها ثلاثة سانتترات . ان هذه السورة مطبوخة على القاشاني طبخاً وليست مدهونة ، والقاشاني الذي طبخت عليه من صنع مصطفى علي افندي .

هناك من يعتقد ان سورة (الاسراء) ايضاً ، تلك السورة المكتوبة^(٢) على رقبة مسجد الصخرة من الخارج ، كتبت في زمن السلطان عبد الحميد الثاني . غير ان هذا الاعتقاد مشكوك فيه . والمرجح أنها كتبت في عهد السلطان صلاح الدين . كتبت بالخط المعروف بـ (الثلث) المشجر البسيط ، وأحرفها مصنوعة من الرخام المحشو بالقاشاني حشواً .

(١) يقول يوسف جمعة النجار ان السلطان عبد الحميد دعا الخطاطين (١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م) للاشتراك في مسابقة خطية لاختيار الأحسن منهم ، فلبوا الدعوة ، وراحوا يتنافسون ، وقدموا الى السلطان نماذج من خطوطهم . فاختر منهم اثنين هما : محمد شفيق هذا ، وقد ولاه كتابة سورة (يس) حول الصخرة ؛ وعبد الله الزهيري ، وقد ولاه كتابة السورة نفسها في الحرمين الشريفين . اما محمد شفيق فهو تركي الأصل ، وأما عبد الله الزهيري فهو عربي ، نشأ في نابلس وتثقف في الاستانة .

(٢) كتبت هذه السورة هنا من أولها الى قوله تعالى : « ومن اراد الآخرة وسعى اليها سعيها وهو مؤمن ... »

مسجد الصخرة والمجلس الاسلامي الأعلى :

طراً على قبة الصخرة، مع تقادم العهد ومرور الزمن، خلل من جراء تسرب مياه الامطار في الجدران . فتحللت مؤونة البناء ، وتطرق الضرر الى الفسيفساء فسقط جزء منها . ومن جراء تسرب الماء في الجدران حدثت رطوبة أثرت في الرخام من الداخل والخارج ، فتفكك معظمه وأوشك ان يسقط .

نخشي المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان يرأسه المفتي الحاج أمين الحسيني عاقبة الأمر . واستنجد بوزارة الأوقاف المصرية . فانتدبت هذه (١٩٣٦) محمود أحمد باشا مدير الآثار العربية بالقاهرة . وجاء هذا ، وبعد ان كشف على القبة والجدران وعلى جميع أطراف المسجد ، وضع بتاريخ ٣١ آب ١٩٣٧ تقريراً قال فيه ما ملخصه :

« ان معظم النار من مستنصر الشرر . ان الميازيب المعدة لتصريف مياه الأمطار الساقطة على السطح وفي الكرسي الذي ترتكز عليه القبة ، مركبة بشكل يحول دون تصريفها الى الخارج . فلو اعتني بهذه الميازيب ونظفت بين آونة وأخرى لما وصلت المياه الى جوف الجدران ، ولما تعرض هذا الاثر الاسلامي العالمي الجميل الى تلك الدرجة من العطب والخطر . أضف الى هذا ان بعضها كان مسدوداً بالأتربة وقطع الحجارة الصغيرة وروث الحمام ، والبعض الآخر متآكل .
« والرصاص الذي يكسو السقف من الخارج ذاب قسم منه ، وكاد القسم الآخر يذوب بفعل العواصف والأمطار .

« والرخام الذي يكسو المسجد من الداخل والخارج اصبح من الوهن والقدم بحيث أن معظمه امسى على وشك السقوط . . والكثير من ألواح الرخام التي تستر العقود والأقواس والتي تتوسط الرواقين المحيطين بالصخرة مفككة . . والافريز المذهب الكائن في قاعدة الشبايك العليا بكرسي القبة محمول على قضبان أفقية من الحديد طولها نحو من أربعين سانتراً ، داخل كل منه في البناء عشرة سانتترات . ويبدو من هذا أنه فات المهندس الذي بنى القبة ان الحديد الداخل في البناء مصيره الى الفناء . الا اذا تم تزويده بالمواد التي تساعد على البقاء . وقد تأكل الجزء الداخل في البناء من القضيب الحديدي فمعجز عن تأدية وظيفته وهي حمل الافريز الى درجة ان المهندسين يومئذ سجبوا باليد وبكل سهولة بعض القضبان . وفي هذا ما فيه من ضرر وخطر كبيرين .

« وأما الفسيفساء فقد وجدت اسماً بلا مسمى . اذ كان ما يقرب من ثلث الفسيفساء الاصلية قد عفي ، وقسم منها أعيد بصورة مزيفة : طلاً بالجص تكسوه نقوش بالزيوت والاصباغ بشكل يشبه الفسيفساء الأصلية .

« واللحامات بين ترايع القاشاني القديم كانت واسعة الى درجة أن المونة التي استعملت في

لصقتها وهي الجص أصبحت مع الزمن غير صالحة . والقاشاني الجديد الذي وضع في العهد الأخيرة لم يربط بكانات نحاسية يجعلها كأنها لوح واحد .

« والكانات أو القطع الحديدية الصغيرة التي استعملها المهندسون القدماء لربط قطع الحجارة بعضها ببعض على أمل ان تزيد في تماسك البناء سببت ضرراً خطيراً في القبة (١) .

« وكان من جراء ذلك كاه أن تسرب جانب كبير من مياه الأمطار في الجدران ، فادى ذلك الى الخراب الذي شوهد في الفسيفساء ، وفي رخام الجدران ، وعلى الأخص الجدار الذي يؤلف الضلع الغربي . وكان من جراء ذلك أيضاً أن خلع أكثر القاشاني الذي كان يكسو ذلك الضلع . وليت الضرر ظل منحصراً في الواجهة الخارجية . فقد امتد الى البناء نفسه ، فاذا بموته الجبسية قد انحلت وتفسخت . »

هذه الأمور ، وان شئت فقل معظمها ، درسها محمود أحمد باشا ، وحاول أن يجد لها علاجاً . أما مسألة الميازيب فقد عالجها بفتح المسدود واستبدال البالي منها بميازيب جديدة من الحديد المجنون (١٩٣٨) . وسد اللحامات التي تربط صفائح الرصاص في المواطن التالفة . وطلّى الرصاص الضعيف بأنواع من الطلاء الزيتي ذي اللون الفاتح . إذ أن اللون الغامق يمتص عادة الحرارة ، وهذا يؤذي المعدن .

وبهذا انقطع تسرب الماء ، وحيل دون وقوع خطر عاجل .

وقد جدد المجلس الاسلامي وقتئذ عشرين نافذة داخلية من نوافذ الجبص الملونة بالزجاج . وأقلل النوافذ في القبة الخارجية المصفحة بالرصاص التي فتحت قبيل زيارة الامبراطور غليوم . واتخذ التدابير اللازمة لوضع حديد بدلا من القاشاني الساقط والمتكسر ، وذلك في الضلع الشمالي الغربي فقط . وأما في الأضلاع الأخرى فلا بد من مضي وقت طويل لوضع قاشاني جديد بالقدس ، أو استيراده من الخارج .

وتم تثبيت الرخام في بعض أنحاء القبة تثبيتاً جعله في مأمن من السقوط .

وأما الفسيفساء فلم يستطيعوا اصلاحها . ذلك لأن الفصوص الزجاجية الملونة والمذهبة اللازمة لعمل فسيفساء جديدة واصلاح الفسيفساء القديمة ، لا يمكن الحصول عليها الا من ايطاليا . ولا سبب نجحها استقال المهندس التركي كمال الدين بك ورفاقه واوقف العمل في هذا المشروع (١٩٣٨) . هذه تدابير موقنة قام بها المجلس الاسلامي الأعلى ، وكان في النية القيام بتدابير اوسع وأمتن ، غير ان الحرب العالمية الثانية وقلة موارد المجلس المالية حالت دون التوسع في مشروع الاعمار .

(١) أشار بضرورة استبدالها بكانات نحاسية .

وفي سنة ١٩٤١ فحصت القبة من جديد ، فوجد ان حالتها تسير من سيء الى اسوأ ؛ الأمر الذي يبعث على الأسف الشديد ، ويجعل المخلصين يتمنون ان لو يفكر العالم الاسلامي بتعمير هذا الأثر الاسلامي الجليل قبل ان يشتد العطب ويتسع الحرق ، فنندم ولات حين مندم .

واستقدم المجلس الاسلامي في عام ١٩٤٦ المستر ا . ه . س . ميگو A. H. S. Megaw مدير الآثار في قبرص ، وهو مهندس معماري خبير في الآثار ؛ فمكث هذا في القدس خمسة وأربعين يوماً يدرس مسجد الصخرة وما ألم به من عطب وما يحتاج اليه من تعميم . وبعد دراسة وافية للموضوع رفع المستر ميگو الى المجلس الاسلامي تقريراً مسهباً (١٢ ايار ١٩٤٦) أبان فيه الحلل الذي طرأ على هذا البناء العظيم . وأني لمجزيء في السطور التالية اهم ما جاء فيه . قال : -

- ١ - الغشاء الداخلي المكون من الفسفساء في حاجة الى تعميم .
- ٢ - الغشاء الخارجي المكون من القاشاني أصبح معظمه عبارة عن ترقيع بشع ، لا يبق البناء الذي يغطيه ، لا سيما الضلع الشمالي الغربي . وبعض المواضع في كرسي القبة جردت من القاشاني بالمرة . فلا بد من استبداله بقاشاني من النوع الجيد . وقد يحتاج الأمر الى ست وعشرين الف قطعة من القاشاني الجديد .
- ٣ - قد يكون هناك (ترييح) في مواضع معينة في الاساسات . ولهذا لا بد من فحص الاساسات في مواضع شتى .
- ٤ - ان كرسي القبة قد تمدد بمعدل ٢٦ سانتيمتراً من جميع جهاته . وكان أعظم تمدد من الجهة الشرقية الى الغرب . والقبة نفسها مالت عن محورها بمقدار ٢٠ سانتيمتراً باتجاه ٢٧ درجة غرب الى جنوب . وقد تأثرت كذلك الجدران الخارجية عن الميزان الشاقولي بمقادير متفاوتة أقصاها في الحائط الجنوبي الشرقي حيث بلغ انحرافه ٢١ سانتيمتراً . وهذا ناشيء عن زلزال سنة ١٩٢٧ . ان انفراس كرسي القبة ، خاصة نحو الجنوب الغربي ، قد امتد الى رواق القناطر الخارجي ، والى جدران البناء المائلة خارجاً . ولمنع أي انفراس آخر يجب ان يعمل جسر من الاسمنت يقوى بفولاذ لا يصدى ؛ وأن يكون بشكل حلقة تكتنف البناء من تحت الكورنيش .
- ٥ - هناك في القبة شقوق عديدة ، يجب أن تثبت بملاط الاسمنت . وأن تكحل ثانية ؛ على أن يتم ذلك من الخارج ، قبل إزالة القاشاني .
- ٦ - كرسي القبة يحتاج الى تثبيت وتقوية .
- ٧ - الزلزال الذي حدث سنة ١٩٢٧ اضر القبة من الداخل والخارج ، وأملها نحو

الجنوب الغربي. القبة الداخلية أحسن من القبة الخارجية. ولا بد من ترميم هذه . وذلك باستبدال الأخشاب الفاسدة والمكسرة بأخشاب جديدة .

٨ - أخشاب السقف أيضاً تحتاج الى اصلاح . ويجب استبدالها بأخشاب جديدة .

٩ - وكذلك قل عن خشب السقف للاستدير في التشمينة الخارجية . فانه في حالة أسوأ . لاسيما في المواضع التي يتصل عندها بالجدار الخارجي .

١٠ - إن ألواح الرصاص بوجه العموم رديئة . يجب ازلتها وتذويبها وإعادة سكبها وردها الى مكانها . ويجب توثيقها بالأخشاب بقطع مستطيلة من الرصاص . ان معظم الضرر يرجع الى ترشيح نتج عن أغشية الرصاص غير المضبوطة . ويفضل استعمال النحاس بدلا من الرصاص .

١١ - إن الفسيفساء زخرقة من عهد الأمويين . تضررت ضرراً بالغاً خاصة في الطابق السفلي لكروسي القبة من الناحية الغربية . وهذا الضرر ناشئ عن الرطوبة التي أزلت القصاراة عن واجهة البنيان . فلا بد اذاً من تثبيت الفسيفساء المنحلة في مكانها على الجدران . وقد نصح المستر ميچو باتباع نصائح الاستاذ توماس وايتمور الخبير في أعمال الفسيفساء ، والذي عمل في هذا المضمار عدداً من السنين في جامع آيا صوفيا بالآستانة .

١٢ - القاشاني . القسم الأعظم من القاشاني في الضلع الشمالي الغربي يتساقط بين الحين والآخر . وتتمو خلفه الأعشاب . وكلما تساقط جزء استبدل بقاشاني من نوع جديد . وهكذا اصبح القاشاني الموجود ، من مختلف الأنواع . ولم تراعى فيه لا القياسات ولا الزخرقة القديمة الأصلية . ولهذا يجب بذل الجهد لعمل قاشاني جديد مماثل للقاشاني الأصلي القديم . ويجب تركيبه بحسب مشروع الزخرقة الأول . وفي هذا الأمر يجب الاستعانة بالصناع الماهرين في صنع القاشاني من ايران .

والمعتقد ان هذا الأمر يحتاج الى ست وعشرين الف قطعة من القاشاني الجديد .
١٣ - يجب تنظيف الأعمدة الرخامية ، وإعادة تركيب بعض بلاط الرخام من الداخل والمرمر من الخارج .

١٤ - يجب تذهيب الشبايك التي تحيط بالصخرة .

١٥ - يجب ازالة الغرف الصغيرة المحاذية للمدخلين الشمالي والشرقي ، لتظهر الأعمدة الأصلية . وقبل أن ينهي الاستاذ ميچو تقريره لحصه بقوله : إنه يجب قبل كل شيء العمل على ترميم القبة ، بما في ذلك الغطاء . . . ويولي ذلك الاهتمام بالسقوف . وفي الوقت نفسه يشرع في صنع القاشاني . . . ثم يبدأ العمل في الفسيفساء . . . وبعد عمارة السقوف يبدأ



العمل بالجدران في وقت واحد : أولاً ببلاط الاسمنت ، ثم بلاط الرخام الذي يكسو القبة ، وأخيراً بحجري تثبيت القاشاني . الى أن قال :
أن هذه التعميرات تحتاج الى أربع سنوات ، والى مبلغ من المال قدره ثلاثمئة ألف جنيه .
وإذا أهملت وحدث زلزال جديد يصبح البناء في خطر شديد . وعندئذ يحتاج استرجاعه الى جهود أعظم ونفقات أضخم .

وانتدب مدير الاثار العربية بمصر مرة اخرى في عام ١٩٤٧ لفحص قبة الصخرة ، وابداء الرأي فيما يلزمها من اصلاح . وكان يقوم على ادارة تلك المصلحة يومئذ الاستاذ عبد الفتاح بك حلمي .
وبعد ان فحصها هذا ، رفع الى مصلحة الوقف بالقدس تقريره بتاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٤٧ .
وقد جاء فيه ان مسجد الصخرة في حاجة الى تعميم .

ومن الاشياء التي ذكرها في تقريره ان قبة الصخرة وان لم يتهددها في الوقت الحاضر خطر دائم من الناحية الانشائية ، الا ان عوامل الضعف والانحلال تسير فيها بخطوات واسعة .
وان ما اصاب بعض خشبها وزخارفها ومبانيها ، ناشىء عن تسرب مياه الامطار بسبب عدم احكام تغطيتها ، وعطب الواح الرصاص التي تكسوها من الخارج ، وتفكك بلاط القاشاني وتساقط الكثير منه . وقد اشار بضرورة العمل على ترميم ذلك بصورة خاصة ، وترميم المبنى بوجه عام .
ونصح باستعمال الواح النحاس بدلا من الرصاص . وقدرها بزهاء ٣٥٠٠ متراً مسطحاً للقبة والسقوف ، اي ما زنته ٢٩ طناً .

وأشار باستبدال الخشب التي اصابها السوس ، واستبدال القاشاني التالف والساقط بقاشاني جديد وقريب الشبه من القديم . وقدر المدة اللازمة لاصلاح القاشاني كله وتركيبه بست سنوات .
واشار بتعمير الفسيفساء القديمة التي اصابها العطب ، ووضع فسيفساء جديدة في الاماكن التي سقطت فسيفساؤها ، والافادة من الاستاذ وايتور الحبير في صناعة الفسيفساء .

واشار ايضاً بتثبيت بعض اللوح الرخامية في الداخل ، واصلاح الشبايك الجبسية المفرغة ، وتثبيت الزجاج الملون المتساقط منها ، وما الى ذلك من الأعمال الاخرى التي ذكرها في تقريره بالتفصيل . وجاء في تقريره ان المبالغ اللازمة لجميع هذه التعميرات قدرها بمئة وستين الف جنيه .

مسجد الصخرة ومرب فلسطين

حالت حرب فلسطين التي قامت بين العرب واليهود اثر صدور قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) دون اتخاذ أية خطوة في سبيل تعميم قبة الصخرة . ولقد زاد في الطين بلة أن هذه القبة والقباب الأخرى الكائنة في أرض الحرم لم تسلم من أذى اليهود وتعديهم . واليهود قوم لا يحفظون للأماكن المقدسة حرمتها . فراحوا يصبون الى هذا المسجد ، عن قصد ،

مدافعهم . وكثيراً ما سقطت قنابل المورتر من عيار بوستين وست بوصات ، وقنابل الهاون ايضاً على سطح المسجد وفي جنباته وفنائه .

من ذلك ما جرى في ١٦ تموز ١٩٤٨ يوم أغار اليهود على الحرم . فبدأوا بضربه في الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من مساء ذلك اليوم . وسقطت في ارض الحرم ستون قنبلة يهودية أصابت إحداها مسجد الصخرة . وانتهت الغارة في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي .

ولقد أعاد اليهود الكرة في ٢٢ آب وفي ٢٣ و ٣٠ منه . ثم في ٢٣ ايلول وفي ٢٦ و ٢٧ منه . ثم في ٣ تشرين الأول وفي ١٠ و ١٦ منه . ثم في ٨ تشرين الثاني وفي ١٣ منه (١) .

وكانت أشد هذه الغارات هي التي وقعت في ٢٣ ايلول وفي ٢٧ منه . فاصيب في الأولى عدد كبير من شبايك القبة في الناحية الغربية الى الشمال . وتحطمت الواح الزجاج القديمة ذات الألوان التاريخية ، وقتل في الثانية رجل من المصلين هو الحاج محمد مصطفى نبكين .

أما القنابل التي سقطت في ٣ تشرين الأول ١٩٤٨ فقد اصابت المطهرة ودرج الموازين . وفي ١٠ تشرين الأول اصيب رجل آخر من المصلين هو الحاج عبد الله علي التكروري . وفي ١٦ تشرين الأول سقط في ارض الحرم زهاء عشرين قنبلة من قنابل المورتر من عيار ست بوصات . فأصابت إحداها سطح الصخرة . وفي ١٣ تشرين الثاني سقط في ارض الحرم اربع قنابل ؛ وقعت إحداها على السطح ، فجرحت الشيخ محمود الأنصاري في وجهه وقدمه . كما جرحت حارس الحرم عمران في يده .

وحلقت في اليوم نفسه طائرة يهودية في سماء الحرم ، وكانت قريبة من القبة . ويبدو أنها جاءت بقصد الكشف ومساعدة رجال المدفعية في تعيين الهدف . إذ ما كادت تحلق حتى بدت منها إشارة ، وسمع الناس على أثرها دوي المدافع . وراح اليهود يقصفون الحرم بقنابل المورتر . وسقطت هذه في الأرض : على يمين الصخرة ويسارها .

رأيت بعيني العطب الذي أحدثته هذه الغارات اليهودية في المسجد . ومما رأيته ثقب كبير في سقف الرواق الاوسط لمسجد الصخرة من الناحية الغربية : طوله ثلاثة أمتار وعرضه متران . كما رأيت الشباك المصنوع من الفسيفساء والزجاج المذهب والكائن في القبة - وهو من أيام عبد الملك بن مروان - محطماً تحطماً تاماً . وفي القبة نفسها شبان كان آخران أصيبا بعطب بسيط . وهناك في جدران المسجد ١٣ نافذة أصيبت بعطب كامل : ٣ منها في الضلع القبلي و ٢ في الضلع الشمالي و ٤ بين الغربي والقبلي و ٣ بين الغربي والشمالي و ١ بين الشرقي والقبلي . وتسع نوافذ أصيبت

(١) هذه الحقائق والأرقام اقتبسناها من سجلات مصلحة الأمن بالحرم .

بعطب بسيط: ١ في الضلع القبلي و ١ في الضلع الغربي و ٢ في الضلع الشرقي و ٣ بين القبلي والشرقي و ١ بين الشرقي والشمالي و ١ بين الغربي والقبلي .
هذا ما جرى أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨

سور الصخرة في الصحر الأردني :

لم يتمكن القائمون على الأمر ، بسبب حالة الحرب ، من عمل أي شيء لتعمير الصخرة خلال السنين الأولى التي انقضت بعد وقف القتال وعقد الهدنة في رودس (١٩٤٩) ؛ اللهم الا ست وسبعين صفيحة من الرصاص الجديد وضعت على قبة الصخرة ، بدلاً من الصفائح القديمة البالية . وكان ذلك في مطلع عام ١٩٥٢ . وهذه الصفائح الجديدة أخذت من ٣٣٦ صفيحة (١) أعدتها يومئذ مصلحة الوقف لتعمير قبتي الصخرة والأقصى معاً . والذي تولى العمل هو عابدين بن الحاج سليم الأرناؤوط من موظفي الحرم ومن أحفاد رجب باشا .

بعد ذلك التاريخ رأى ولاية الأمور أن العطب قد ازداد ، وانه لا بد من العمل على تقوية القبة وتعمير ما لا بد من تعميره من المسجد . وفيما كانوا يفكرون في اجدي الوسائل التي توصلهم الى هذه الغاية ، رأوا بأم أعينهم أن الفسيفساء التي تغطي القبة من الداخل أخذت تنساقط . وقد سقط (١٩٥٢) جزء منها بالفعل على اتساع متر واحد . وكان ذلك في الناحية الشمالية الغربية من القبة . كما أن قشرة الفسيفساء المحيطة به وعلى بعد متر واحد من أطرافه قد انفصلت عن الحائط وباتت على وشك السقوط . فكان هذا بمثابة انذار لولاية الأمور . اذ خشوا أن تكون القبة كلها قد أصبحت على وشك الانهيار .

فاستجبت الحكومة الاردنية بالحكومة المصرية ؛ وطلبت منها بتاريخ ٨ أيار ١٩٥٢ أن تنتدب خبراء فنيين في الانشاء والاثار ، لفحص ما أصاب مبنى الصخرة من تلف . فاختر ثلاثة من أقدر المهندسين المصريين للقيام بهذه المهمة . هم : المهندس حسين الشافعي كبير مفتشي الأبحاث الفنية ومباني المشروعات الجامعية بمصلحة المباني بوزارة الشؤون البلدية والقروية بمصر ، والمهندس محمد عباس بدر كبير المهندسين بمصلحة الآثار بوزارة التربية والتعليم ، والمهندس كامل صلاح الدين الكيلاني مدير الاعمال بالقسم الفني بإدارة المباني العامة بوزارة الشؤون البلدية والقروية . وجاء هؤلاء المهندسون الى القدس . فقصوا في دراسة القبة بوجه خاص والمبنى كله بوجه عام سبعة أيام : من ٣ - ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٣ آذار . ثم عادوا الى مصر . حيث أعدوا تقريرهم وارسلوه بتاريخ ٤ آذار ١٩٥٣ الى الحكومة الاردنية . ومما جاء فيه قولهم (٢) :

(١) ١٣٠ صفيحة منها استحضرتها مصلحة الوقف من البلجيك ومثتان وست صفائح صهرت في معامل دمشق خصيصاً لهذه الغاية .

(٢) أوجزت الفقرات التالية من النسخة التي تفضل كبير المهندسين المعار اليهم ، فاهدانيها من أجل كتابي هذا .

١ - يجب الشروع في ترميم القبة بوجه السرعة . فإن معظم خشبها تآكل بفعل السوس ، والشقف التي تربط القوائم الخشبية بعضها ببعض - وعددها أربعون وقد سميت بالتعشيقات والتجاميع - قد تفككت .

يجب استبدال الخشب التالفة التي تتكون منها القبة في قشرتها الداخلية والخارجية ، وتدهن جميعها بمحلول واق من المؤثرات الجوية والحشرية ، وعمل كافة التجاميع والتعاشيق بطرق فنية صحيحة . وفي رأي هؤلاء المهندسين ان هيكل القبة من الخارج يجب ازالته بالمرّة (على ان يحفظ في المتحف) ويجب استبداله بهيكل آخر جديد ، على ان يصنع هذا من الحديد لا من الخشب ، لانه اضمن وامتن وأطول عمراً . وفي هذه الحال يمكن تقوية القبة الداخلية بربطها مع هذا الهيكل المعدني الجديد .

ويجب أيضاً استبدال الواح الرصاص التي تغطي القبة من الخارج بالواح من النحاس الاحمر . فان النحاس افضل من الرصاص . انه اكثر تحملاً وأطول عمراً ، فضلاً عن ان لونه يتلائم مع لون القاشاني ، وقد جاء في الكتب التاريخية ان القبة كانت مكوّنة بالنحاس المذهب . ومن الضروري تثبيت (مانعة للصواعق) عند الهلال من الخارج ، لتحمي للبنى من التأثيرات الجوية الكهربائية .

٢ - وكذلك قل عن الخشب التي يتكون منها سقف الرواقين الاوسط والخارجي ، فانها قد تلفت بفعل السوس وتقادم العهد وتسرب الأمطار ، فلا بد اذاً من استبدالها .

٣ - يستبدل افريز^(١) القبة من الخارج (وهو الآن من خشب وورصاص) بأخر من الحراسانة المسلحة على ان يربط بالهيكل المعدني المقترح صنع القبة منه ، وهذا ايضاً يجب ان يكسى بالنحاس .

٤ - الكانات الحديدية التي تحمل ألواح الرخام - تلك الألواح التي يتكون منها الافريز (الكورنيش) الأوسط في داخل القبة - تآكلت ، حتى لم يعد في مقدورها ان تحمل الرخام ، وهي الى هذا غير داخله في رقبة القبة اكثر من عشرة سنتمترات . ولهذا يجب استبدال هذه الكانات كلها وترميم الرخام وتثبيته .

٥ - حالة القاشاني سيئة للغاية . معظمه أخذ في التفكك والتساقط . وبهذه فقد طلاه . وهناك انبعاث بين القاشاني وجدران المسجد ، في الضلع الشمالي الغربي ، مسافته ثلاثة سنتمترات ونصف^(٢) . هذا في رقبة القبة . وأما في الواجهات الثمينة فانه أسوأ حالا . حتى لقد سقط معظم القاشاني الذي كان يغطي الضلع الغربي الى الشمال .

(١) هو الرف وجمه رفوف او الطنف وجمه اطناف . وكثيرا ما يقول الناس عنه كورنيش . وهذا مأخوذ من كلمة cornice الفرنسية .

(٢) يقول الخبراء المذكورون : لعل هذا الانبعاث هو الذي حدا بالمستر فيقول ان هناك انحناء بالقبة .

ولهذا يجب ترميم القاشاني تعميراً شاملاً . وهذا يتطلب فك معظمه ان لم يكن كله ، وإعادة تركيبه بشكل يعيد له بهائه القديم . فالسليم منه يعاد تركيبه ، والتالف يستبدل بقطع مثلها وفي حجمها . ويتم تركيبها بشكل يعيدها الى أصلها . وتوصلاً لهذه الغاية يجب استشارة الخبراء الفنيين الاختصاصيين في صناعة القاشاني .

٦ - حالة الفسيفساء بوجه عام سيئة . بعض أجزائها سقطت ، والبعض الآخر انفصلت عن الحائط نحو ١٥ سم . وهناك أجزاء كثيرة على وشك السقوط . والسبب في ذلك تسرب مياه الأمطار .

ولهذا يعاد عمل الأجزاء التالفة من الفسيفساء . وكذلك قل عن الأجزاء التي سبق ترميمها بالبياض والألوان . ويتم تركيبها من جديد . على أن يقوم بأعمال الفك والإصلاح والترميم والترتيب اختصاصيون في صناعة الفسيفساء .

٧ - يرى المهندسون المصريون أن تزال المداخل الأربعة التي أضيفت الى المسجد في العصور الأخيرة ، وأن يعاد انشاؤها بشكل يطابق الأصل ، ولا يحجب جزءاً من المسجد . وإذا استحال تحديد أصلها فتبقى على حالها مع ادخال بعض الترميم عليها .

٨ - النوافذ سواء من الداخل أو الخارج في حاجة ماسة الى اصلاح كامل . وكذلك قل عن الشبايك الكائنة في القسم العلوي لجدران المسجد . يجب استبدال الشبايك التالفة بشبايك جديدة مطابقة للأصل . على أن يقوم بذلك فنيون وعمال اختصاصيون خبروا هذا النوع من العمل .

٩ - الترابيع من الرخام الأبيض التي تكسو أرض المسجد ، فيها أجزاء هابطة وأخرى ناقصة . لا سيما الترابيع التي حول الدعائم ، فإن معظمها هابط ومائل نحو القواعد . هذه يجب تثبيتها وتغيير ما تأكل منها .

١٠ - الميازيب تالفة . لا سيما الجزء الكائن في الضلع الغربي حيث تسربت مياه الأمطار في الجدران خلف القاشاني . لا بد من تغييرها بميازيب جديدة تصنع من القاشاني على أن يضبط ميلها .

١١ - يجب عمل طبقة عازلة لأساسات الحيطان وثقوب تهوية للمباني في الارتفاعات . ذلك للحيلولة دون تأثير الرطوبة الأرضية .

١٢ - أثر الرطوبة ظاهر في جميع الأعمدة التي ترتكز عليها القبة والزواقان الأوسط والخارجي . والرطوبة ظاهرة أيضاً بشكل أكثر وضوحاً في الدعائم والأعمدة الحاملة للثمنينة الوسطى . والتآكل لم يقتصر على تنقير أو تقشير ، بل تعداه الى شروخ مستورة في عروق الرخام . لا سيما العمودان الكائنان في الضلع الشرقي القبلي ، فانهما في حالة خطيرة . وفيهما شرخ عميق مستمر بكامل المحيط في عروق الرخام .

١٣ - الرخام الذي يكسو قواعد الأعمدة بوجه عام في حالة جيدة ، غير أن بعض قطماته قد تأثرت بالرطوبة ولا بد من تغييرها . وكذلك قل عن الرخام الذي يكسو جدران المسجد من الداخل .

١٤ - إن الرطوبة الظاهرة التي فعلت فعلها في المسجد ، منبعها المياه التي تسربت إليه من الخارج . ولهذا فقد ارتأى المهندسون أن يتبع في تصريف مياه الأمطار في المزاريب وفي المجاري الممتدة بفناء الصخرة ، طريقة تحول دون تسرب تلك المياه الى البناء . وتتجمع مواسير الصرف في الجهة القبليّة بحيث تصرف مياهها في أي من الآبار الموجودة في حرم المسجد الأقصى أو في أي مكان آخر بعيد عن مسجد الصخرة .

١٥ - قد يظهر عند القيام بالتعميرات المتقدم ذكرها عيوب أخرى لم تذكر في هذا التقرير . يجب العمل على إصلاحها : كأن تستبدل الحجارة التالفة والخشب المتآكل وما إلى ذلك . وأما الأربطة الخشبية فمن الأفضل استبدالها بأربطة من الحراسانة المسلحة كما أمكن ذلك .

هذا وقد اقترح الخبراء المصريون تعمير المباني الأخرى القائمة في أرض الحرم : كقبعة السلسلة وقبة المعراج وقبة النبي وغيرها من القباب . كما اقترحوا نقل قبة السلسلة من موضعها الحالي الى موضع يقع في المركز الشمالي الشرقي من الحرم (ولعلمهم يقصدون الركن الشمالي الشرقي من فناء الصخرة) . واقترحوا إزالة المساطب والغرف والمنشآت المستحدثة التي ليست لها قيمة أثرية أو دينية . واقترحوا ترميم السلام والقناطر القائمة حول الفناء ، والأسوار القائمة حول الحرم . واقترحوا تهيئة أحواض الزهور وغرس الأشجار . كما اقترحوا طريقة جديدة لإنارة المسجد بالكهرباء ، تظهر للرأي روعة تكوينه ورونق فسيفسائه وتناسق ألوانه وزخارف القبة وسقف الرواقين الأوسط والخارجي .

ولقد قدروا النفقات اللازمة للتعميرات والترميمات المتقدم ذكرها بأربعمئة وعشرين ألف دينار أردني قائلين : إن في تعاون الأقطار الإسلامية لأكثر عون على تدير المبلغ اللازم لإصلاح هذا التراث الإسلامي قبل أن تأتي عليه الأيام ...

وختموا تقريرهم قائلين :

« ... إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . . »

هذا هو ملخص ما جاء في تقرير المهندسين المصريين . وقد قبله مجلس الوزراء في عمان ، واعتزم تعمير المسجد على ضوء ما جاء فيه .

ولما لم يكن في خزانة الوقف ما يكفي للقيام بأعمال التعمير المقترحة فقد قرر مجلس الوزراء (٢٢ شباط ١٩٥٤) تأليف وفد لزيارة الأقطار الإسلامية وجمع التبرعات اللازمة لتعمير المسجدين . ما : المسجد الأقصى ومسجد الصخرة . وتألف الوفد من :

١ - الشيخ عبد الله غوشه رئيس الهيئة العلمية الاسلامية بالقدس - رئيساً

٢ - الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل - عضواً

٣ - الشيخ ابراهيم القطان المفتش بوزارة التربية والتعليم في عمان - عضواً

٤ - حسن أبو الوفا الدجاني المراقب العام للاوقاف بالقدس - عضواً

وسافر هؤلاء في ١١ نيسان ١٩٥٤ وبعد أن زاروا المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر عادوا الى الأردن في ١٩ أيار ١٩٥٤ ، حاملين معهم ١٦٦٦٠٠٠ ديناراً هي التي وقفوا في جمعها من سكان تلك البلاد . وفيما يلي بيان بأسماء المتبرعين : -

| دينار أردني | نوع العملة |
|-------------|--|
| ١٠٠٠٠٠٠ | الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية . وقد تعهد بالاضافة الى هذا المبلغ أن يدفع ما ينقص لجنة الاعمار من مبالغ ، بعد أن تجمع تلك اللجنة ما تستطيع جمعه من البلاد الاسلامية . |
| ٢٥٠٠٠٠ | ريال سعودي من التجار والملاكين وأصحاب الأعمال في جدة ومكة . |
| ٢٠٠٠٠ | روبية من الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت . |
| ١٥٠٠٠ | جنيه استرليني من الشيخ عبد الله بن علي آل ثاني أمير قطر . |
| ٣٤٠٠٠ | ريال سعودي من أهالي خبر والدامام وموظفي الظهران في المملكة السعودية . |
| ٢٠٠٠ | جنيه استرليني من آل درويش في قطر . |
| ١٠٠٠ | جنيه استرليني من الشيخ سليمان آل خليفة أمير البحرين . |
| ٢٠٠ | ريال سعودي من الشيخ عبد الله بن عدوان أحد كبار الموظفين في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية . |

ولكي تتمكن الحكومة من استعمال هذه المبالغ ، وإعمار المسجد ؛ سنت قانوناً أسمته (قانون إعمار المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة لسنة ١٩٥٤)^(١) خولت فيه مجلس الوزراء حق تعيين لجنة لإعمار المسجدين المتقدم ذكرهما على أن تكون اللجنة مؤلفة من رئيس وأربعة أعضاء . واستناداً لسلطة التي حولها ، انتدب المجلس لجنة قوامها :

قاضي القضاة - رئيساً ، ورئيس الهيئة العلمية الاسلامية ، ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية ، ومدير الأوقاف العام ، وواحد من كبار التجار والملاكين أعضاء .
وبعد قليل استبدل محافظ القدس والأماكن المقدسة برئيس محكمة الاستئناف الشرعية ، فأصبحت اللجنة مؤلفة من : -

- ١ - قاضي القضاة الشيخ محمد أمين الشنقيطي - رئيساً .
- ٢ - رئيس الهيئة العلمية الاسلامية الشيخ عبد الله غوشه - عضواً .
- ٣ - محافظ القدس والأماكن المقدسة حسن الكاتب - عضواً .
- ٤ - مدير الأوقاف العام في عمان كمال الجيوسي - عضواً .
- ٥ - الحاج محمد علي بدير أحد كبار التجار والملاكين في عمان - عضواً .

فكان اول عمل عملته اللجنة المتقدم ذكرها ان زارت بيت المقدس ، وراحت تستشير الحبيرين في احسن الوسائل للشروع في التعمير . وفي يوم الأربعاء الموافق ٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٥ عقدت في ديوان الأوقاف بالقدس اجتماعاً دعت اليه عدداً من المهندسين نذكر منهم المستر ميجو^(٢) مدير مصلحة الآثار في قبرص والسنينور فرديناندو فورلاتي^(٣) عمدة كنيسة القديس ماركو في البندقية من اعمال ايطاليا ، والمهندس نبيه بولص وكيل وزارة الاشغال العامة في عمان ، ورشدي الامام الحسيني المهندس في مصالحة الانشاء والتعمير ، ومحمد ابو العافية مهندس الاوقاف . ودعي لحضور الاجتماع ايضاً الشيخ سعد الدين العلمي مفتي الديار المقدسية ، ومؤلف هذا الكتاب .

وطلب مني ان اقول كلمتي في الموضوع . فتمنيت ان لا يكون مصير هذه اللجنة والقرارات التي سوف تصدرها كمصير اللجان التي سبقها ، والتقارير التي وضعها المهندسون السابقون : اذ كرمها التقرير الذي وضعه الاستاذ محمود احمد باشا مدير الآثار العربية في القاهرة بتاريخ ٣١ اب (اغسطس) ١٩٣٧ والتقرير الذي وضعه المستر ميجو بتاريخ ١٢ ايار (مايو) ١٩٤٦ والتقرير الذي وضعه

(١) نشر هذا القانون في العدد ١٢٠٥ من الجريدة الرسمية الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر سنة

١٣٧٤ هـ الموافق ١٦ تشرين ثاني ١٩٥٤ .

(٢) A. H. S. Megaw

(٣) Ferdinando Forlati

الاستاذ عبد الفتاح حلمي بتاريخ ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٧ والتقرير الذي وضعه المهندسون المصريون في ٤ اذار (مارس) ١٩٥٣ . ورجوت القائمين على الأمر أن يشرعوا حالا في اعمار المسجد قبل فوات الوقت ؛ مستغلين ما لديهم من مال ، مرجحين الأهم على المهم من البنود التي أقرها المهندسون .

وبعد ان استعرض الحاضرون جميع التقارير التي وضعت حول التعميرات التي يحتاج اليها مسجد الصخرة ، ورأوا باعينهم الحلل الذي الم به ؛ اعترفوا أن حالة المسجد تستدعي الانتباه ، وان الضرورة تقضي بالاسراع في اعمال التعمير . وقرروا ان يشرعوا في التعمير حالا ، على ان يبدأوا بتعمير الأهم فالمهم . وارسل قاضي القضاة بوصفه رئيس لجنة الاعمار الى المهندسين المصريين كتابا ، دعاهم فيه للحضور . فلبوا الدعوة . وجاءوا الى القدس للمرة الثانية . وكان ذلك في ٦ تموز (يوليو) ١٩٥٥ . واجتمع اعضاء اللجنتين : اللجنة الادارية الاردنية واللجنة الفنية المصرية . ففحصوا بناء مسجد الصخرة من جديد ، كما فحصوا مباني الحرم الاخرى . ووضع المهندسون المصريون تقريرا ثانيا قدموه الى اللجنة الاردنية ؛ فاقرته بكامل نصوصه . ورجحته على جميع التقارير الاخرى التي وضعها الخبراء الاجانب . وقد قدر المصريون تكاليف العمارة في تقريرهم الثاني بنصف مليون دينار . ذلك لان التلف كان قد ازداد بعد اليوم الذي اجروا فيه فحصهم الأول ، لا سيما التلف الذي الم بالقاشاني والفسيفساء ، بدرجة محسوسة . وقد الم الى درجة ما بالرخام الذي يكسو الجدران من الداخل . ولما كانت المبالغ التي تم جمعها حتى ذلك التاريخ (٩ تموز ١٩٥٥) لا تكفي للقيام بتعمير جميع الأماكن التي تحتاج الى تعمير من مباني الحرم ، فقد رؤي أن يقتصر التعمير على مسجد الصخرة في الوقت الحاضر ، ذلك لأن هذا المسجد كان يواجه خطراً مباشراً ، وأن يؤجل النظر فيما يحتاج اليه المسجد الأقصى الى ما بعد الانتهاء من عمارة مسجد الصخرة .

وانك لو اجد فيما يلي النقاط الرئيسية التي أقرها المهندسون من أجل اعمار مسجد الصخرة ، ذكرتها هنا بوجه الايجاز :

- ١ - تقوية أساس المبنى: أي أسس الجدران والدعامات والأعمدة .
- ٢ - ترميم وتدعيم الجدران والدعامات وتغيير ماليس بصالح من الأعمدة الرخامية .
- ٣ - ترميم وإصلاح القبة الخشبية الداخلية ودهنها وتذهيب زخارفها من جديد .
- ٤ - تغيير القبة الخشبية الخارجية المصفحة بالرصاص ، ووضع قبة جديدة معدنية بدلا منها .
- على أن تكسي القبة الجديدة بصفائح نحاسية .
- ٥ - تغيير الأجزاء الخشبية العليا في سقوف الأروقة الوسطى والخارجية المغطاة بصفائح الرصاص ، بأخرى معدنية . على أن تكسى بنوع من البلاط . فإما أن يكون هذا من

النوع المعروف :- (الاردواز) وهو نوع من الحجارة الكلاسية الرفيعة اللساء ، أو من البلاط المصنوع بالاسمنت (١).

٦ -- تغيير التالف من المدادات الأساسية .. والدتكم .. والمدادات الثانوية من خشب الأجزاء السفلي في سقف الرواقين الأوسط والخارجي .

٧ -- فك الألواح الخشبية الكائنة في سقف الرواق الأوسط، وتغيير الأجزاء التالفة منها ومن الصحنون ، وإعادة تركيبها ودهنها ، وتذهيب النقوش الموجودة في سقف هذا الرواق .

٨ -- دهن الزخارف والنقوش الموجودة في سقف الرواق الخارجي وتذهيبها من جديد .

٩ -- تغيير الشبايك الجصية الملونة بأخرى من الطراز الحالي (٢) .

١٠ -- اعمال التكسية من الداخل والخارج :

(أ) فك القاشاني الحالي الموجود في رقبة القبة وفي واجهات الثمينة الخارجية ، وإعادة

تركيبه بعد تقوية الجدران . واستكمال الناقص منه (٣) واستبعاد الدخيل من القاشاني الذي ادخل اثناء التعميرات السابقة .

(ب) فك الترابيع الرخامية التي تكسو جدران المسجد من الداخل والخارج ، وإعادة

تركيبها بعد تقوية الجدران والدعامات ، واستكمال الناقص منها ، واستبعاد الأجزاء التالفة التي لا يجوز تركيبها من جديد .

(ج) فك الأجزاء التالفة من الفسيفساء في القبة الداخلية وفي الرواق الأوسط ،

وإعادة تركيبها بحيث تكون مطابقة لما كانت عليه ، واستكمال الناقص منها (٤) وتنظيف الفسيفساء من الدهان الدخيل الذي استعمل عند ترميمها فيما سبق من أيام .

١١ -- اصلاح الاطناف (٥) الرخامية والخشبية ورفوف (٦) الفسيفساء ، لا سيما الكائنة في

رقبة القبة من الداخل وفي الرواق الأوسط ؛ وتغييرها واستكمال الأجزاء التالفة منها ودهنها وتذهيبها من جديد .

(١) لم يقرر المهندسون بعد أي هذين النوعين أفضل من الآخر .

(٢) المقصود من الطراز الحالي المبايك التي صنعت في زمن السلطان قايتباي . والشبايك الاصلية الموجودة في مسجد الصخرة الآن هي من عهد قايتباي .

(٣) في نيتهم استيراد قاشاني جديد من كوتاهية بتركيا . هذا بعد ان درسوا جميع الأجناس المصنوعة في تشيكوسلوفاكيا واطاليا واسبانيا ، فوجدوا ان القاشاني المصنوع في كوتاهية احسن وافضل .

(٤) سيأتون بفسيفساء مماثلة للفسيفساء الحالية من ايطاليا .

(٥) جمع طنف وهو ما يسمى بـ (الكورنيش) .

(٦) جمع روف وهذا ايضاً هو : (الكورنيش) .

١٢ - رفع البلاط الرخام الموجود في ارض المسجد^(١) وفي مداخله، وتبليطها من جديد، بعد ازالة الأتربة والأتقاض العالقة بها، واستبدالها بطبقة من الرمل، وعمل دكة (طبقة) من الاسمنت في اسفل البلاط قبل تركيبه، وعمل طبقة عازلة تمنع الرطوبة، الغاية منها حماية الرخام والمصلين من الرطوبة.

١٣ - الكهف الكائن تحت الصخرة يحتاج الى اصلاح، بحيث تزال قصارته وطراشته، ثم ينحت الصخر الكائن في جوانب الكهف، وينظف كي يراه الرأي على طبيعته الأصلية. ويبلط الكهف كما في ارض المسجد.

١٤ - ازالة الغرف الموجودة في مداخل المسجد، اذ ثبت أنها مستحدثة بنيت في العهود الاخيرة. مع الابقاء على المداخل كما كانت عند بدء انشائها. واستبدال الأعمدة التالفة بأعمدة جديدة، وفك القاشاني والفسيفساء الموجودة في هذه المداخل، واعادة تركيبها على النسق المقترح للقاشاني والفسيفساء في النواحي الأخرى.

١٥ - ائارة المسجد بالكهرباء على أحدث الأساليب العصرية، بحيث لا يرى المصلون من أين يأتي النور؟

١٦ - تصريف مياه الأمطار على أحدث الطرق العصرية بحيث لا يؤثر على البناء. وسيستعمل لهذا التصريف أنابيب من النوع المعروف بـ (يونيفرسال) . وتركب هذه داخل الجدران بحيث لا يراها الناظر. وتتجمع المياه في آبار بعيدة عن المبنى، فيستفاد منها دون أن يلحق بالمسجد أي ضرر^(٢).

١٧ - تركيب أجهزة ذاتية ضد الحرائق ومضخات قوية للإطفاء عند نشوبها. وقبل هذه وتلك أوصى المهندسون ان تستعمل في جميع عمليات الاعمار والاصلاح، لاسيما في السقوف، مواد غير قابلة للحرق.

١٨ - اصلاح البلاط الموجود في صحن الصخرة، وتغيير التالف منه. وازالة الغرف والمباني الكائنة في ذلك الصحن، وفي مواضع أخرى من أرض الحرم؛ لاسيما تلك التي لا قيمة لها سواء من الناحية الدينية^(٣) أو الأثرية. واصلاح السور المحيط بالحرم، وكذلك السلم والقناطر والاقواس والعقود.

(١) ان ارض المسجد كلها مفروشة في يومنا هذا بالبلاط الرخام، خلا الردهة الكائنة في المدخل الشمالي المعروف بـ (باب الجنة) .

(٢) ان في صحن الصخرة آبار قريبة من البناء، اذا ما طفحت مياهها اضرت بالأساس، لاسيما الآبار الكائنة شمالي المسجد.

(٣) يقترح ازالة الغرف الكائنة حول الصحن والابقاء على الغرف الاخرى مثل قبة المعراج وقبة السلسلة وما الى ذلك.



١٩ - تعميم أرض الحرم بحيث تغرس فيها الأشجار وتنشأ الحدائق وتزال الأتربة والاتقاض .
ويكون المسجد محاطاً بمناظر اخاذاة تتفق وروعة المكان وجلاله .

٢٠ - انشاء مدخل جديد للحرم من ناحيته الشرقية، بحيث يصعد الى السور بمصاعد كهربائية
يجري تركيبها على مقربة من الزاوية الشرقية القبليّة مقابل الدرج المؤدي الى قبة السلسلة .

هذا هو ملخص التقرير الذي وضعه المهندسون المصريون واقترته السلطات الأردنية عن الخطوات
التي ستتبع في عملية الاعمار . وقد طلب الى المهندسين ان يشرعوا في التعمير . فأصدر مجلس
الوزراء المصري قراراً^(١) بتكوين مكتب اسماه : (المكتب المعماري الهندسي لاصلاح واعمار
الصخرة المشرفة) .

وقد ألفت المكتب المعماري من هيئتين : احدهما (الهيئة العليا) . وهي مؤلفة من المهندسين
الذين ذكرناهم في أول هذا الفصل^(٢) وهم السادة : حسين الشافعي ومحمد عباس بدر وكامل صلاح
الدين الكيلاني .

والثانية (الهيئة التنفيذية) . وهي مؤلفة من السادة :

١ - المهندس صالح أحمد الشواربي . مدير أعمال المراقبة الاقليمية لمباني بالاسكندرية
تابع لوزارة الشؤون البلدية والقروية . وهو هنا (المهندس المقيم) لاصلاح واعمار الصخرة .
انه الشرف على مقررات الهيئة العليا ، وما يساعد على ذلك من رسم وتخطيط من واقع الطبيعة
وخص للمباني والأسس . وله أن يقوم بأي بحث لازم لأعمال الاصلاح واعمار .

٢ - المهندس عبد المنعم عبد الوهاب . المهندس بالمراقبة الاقليمية لمباني القاهرة بوزارة
الشؤون البلدية والقروية . وهو هنا مساعد المهندس المقيم في أعماله من حيث أعمال الصخرة .

٣ - الرسام أحمد غالب . الرسام بالمراقبة الاقليمية بوزارة الشؤون البلدية والقروية .
يقوم في القدس بأعمال الرفع من الطبيعة وتجهيز الرسومات اللازمة .

٤ - الرسام محمد صبحي محمد يوسف . الرسام بالمراقبة الاقليمية لمباني سوهاج بوزارة
الشؤون البلدية والقروية . يقوم في القدس بأعمال الرفع من الطبيعة وتجهيز
الرسومات اللازمة .

(١) صدر هذا القرار بتاريخ ٢٥ نيسان (ابريل) ١٩٥٦

(٢) انهم هم الذين أجروا الكشوفات الأولى (٣ - ١٠ / ١ / ١٩٥٣) والثاني (٦ / ٧ / ١٩٥٥)

٥ - الرسام رفعت أحمد سري الدن . الرسام بتفتيش المشروعات الجامعية والمباني
بوزارة الشؤون البلدية والقروية . ويقوم في القدس بأعمال الرفع من الطبيعة وتجهيز
الرسومات اللازمة .

٦ - الملاحظ عبد الحميد محمد حسين ، مراقب اعمال بمصلحة الآثار العربية بوزارة شؤون
التربية والتعليم . يقوم في القدس بمساعدة المهندسين والرسامين في اخذ القياسات ومراقبة اعمال
الجلس والكشف .

٧ - طائفة أخرى من المهندسين الأخصائيين والرسامين والخطاطين والمصورين للمساعدة
في الدراسات المختلفة والرفع من الطبيعة كما مست الحاجة اليهم .

وقد وضعت الحكومة المصرية تحت تصرف هاتين الهيئتين مبلغاً قدره خمسة وسبعون الف
جنيه مصري ، لقاء رواتب المهندسين والخبراء واجور العمال وكل ماله صلة بأعمال الفحص والتحليل
والرسم وشراء الكتب والآلات الهندسية والأوراق والمطبوعات والمخابرات . وبعبارة أفصح جميع
الأعمال والدراسات التي لا بد منها لأجل إعداد مشروع كامل للإصلاح والإعمار .
وأما نفقات الإصلاح والإعمار نفسها ، وقد قدرت بنصف مليون جنيه ، فإن على اللجنة
الإدارية التي انتدبتها الحكومة الأردنية ان تدفعها سواء من اموال الوقف أو من المبالغ التي
تبرع بها المسلمون .

وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ تبرعت الحكومة العراقية بثلاثة وسبعين الف دينار
عراقي للمشروع نفسه . وبهذا بلغ مجموع المبالغ المتوفرة له ٢٣٩٦٠٠ ديناراً أي ما يقرب من
نصف المبلغ الذي جرى تقديره .

ورؤي من المصلحة الشروع في عملية التعمير على مراحل ؛ على أن يبدأ المهندسون في تعمير الأهم
فالمهم . وكما حصلوا على مبلغ جديد انتقلوا الى المرحلة التي تلي من البنود المتقررة . وقد بدأوا في ٢٥
نيسان (ابريل) ١٩٥٦ .

وفي اليوم العشرين من شهر شباط (فبراير) ١٩٥٨ طرحت اللجنة المشرفة على اعمار المسجد ،
الاعمال التي قررت القيام بها ، في مناقصة عالمية ؛ قائلة انها ستنتظر في الطلبات التي ستقدم اليها في تمام
الساعة العاشرة من صباح الأربعاء الموافق ٢١ ايار (مايو) ١٩٥٨ ، مشترطه على المؤسسات والهيئات

التي تعزم الاشتراك في المناقصة الحضور الى بيت المقدس، ومشاهدة المبنى المراد إعمارها، والاطلاع على الشروط والتفاصيل لقاء تأمين قدره خمسون ديناراً. وعلى الشخص الذي سيعهد اليه بالعمل ان يتم العمل المطلوب منه في بحر مدة اقصاها اربعون شهراً من تاريخ صدور الامر.

واما الأعمال التي قررت اللجنة ان تقوم بها والتي طرحها للمناقصة، فهي: -

اولاً: صلب القبة الداخلية بصلبة معدنية: اي تركيزها وتقويتها بالحديد من الصخرة حتى السقف.

ثانياً: الفك:

(أ) فك الهلال.

(ب) فك القبة الخارجية ورفعها من موضعها ونقلها الى المتحف حيث تحفظ بين الآثار القديمة.

(ج) رفع سقف كل من الرواقين: الفوقاني والتحتاني.

(د) فك ورفع السياجين المشبكين اللذين حول الصخرة: الحشبي من صنع الايوبيين

والحديدي من صنع الصليبيين؛ ونقلها الى المتحف حيث يحفظان (١).

(هـ) فك ورفع البلاط الرخام من ارض المسجد ومن جدرانها من الداخل والخارج.

(و) فك ورفع جميع القاشاني من جدران المسجد من الخارج، ومن رقبة القبة؛ هذا طبعاً

بعد اخذ رسوماتها وترقيم كل واحدة منها تسهيلاً لاعادة تركيبها. وعند التركيب سيعاد السليم منه. وأما المعطوب فسيستبدل بأحسن منه.

(ز) فك جميع الأبواب والشبابيك، على أن يعاد تركيبها بعد اصلاحها.

(ح) فك الأعمدة الكبيرة التالفة التي ترتكز عليها القبة؛ وعددها - أي التالف

منها - ثلاثة. وفك الأعمدة الصغيرة الكائنة في مداخل المسجد وعددها عشرة.

ثالثاً: الأشغال المعدنية لاعمار القبة الخارجية وجمالونات أسقف الأروقة:

(أ) صنع وتركيب قبة خارجية مصنوعة من الالومنيوم الغير قابل للصدأ. والومنيوم

مكسى. وكسوته مانعة للحرارة والرطوبة والصوت. ومكسوة بالواح من الالومنيوم المذهب (٢). وسيكون هناك (سلم) ملاصق للقبة الخارجية ومصنوع من الالومنيوم.

(ب) صنع وتركيب هلال من الالومنيوم المذهب. تعلوه مانعة للصواعق، مصنوعة من البلاتين.

(ج) صنع وتركيب جمالونات اسقف الأروقة الخارجية من الالومنيوم المؤكسد أخضراً.

(١) لم تقرر الهيئة الفنية بعد (١٩٥٨) فيما اذا كانت ستعيد تركيب السياج الحديدي من صنع الصليبيين.

(٢) هذه القبة التي ستصنع من الالومنيوم أخف بكثير من القبة الحالية المؤلفة من الخشب وصفائح الرصاص.

(د) عمل (مشاية) ^(١) توصل بين السلم المؤدي الى سطح الاروقة والسلم المؤدي الى المنفذ بين القبتين .

(هـ) عمل (سلم) من الالومنيوم ^(٢) ، من سقف الأروقة الى الفراغ بين القبتين .

وابعاً : أعمال التدعيم والانشاء :

عندما يفك الرخام والقاشاني والتكسيات الاخرى المتقدم ذكرها ، سيظهر للمهندسين مواضع الضعف في الجدران والاساسات ورقبة القبة ، وفي مواضع اخرى للمبنى . عندئذ يعرف المهندسون ماذا يترتب عمله من أجل تقوية المبنى وتدعيم اساساته وجدرانه .

خامساً : أعمال الحديد والأشغال المعدنية :

(آ) عمل وتركيب (سلم) من الحديد ، من أرض الصخرة حتى سقف الرواق . ^(٣)

(ب) اعداد وتركيب أنابيب مستديرة ^(٤) لصرف مياه الأمطار . على أن تكون هذه من الحديد المعروف بـ (الزهر) . وتمتد داخل الجدران من الرواق الخارجي حتى الارض ، بشكل يحول دون تسرب المياه للجدران .

(ج) اعداد أنابيب من النحاس للتهوية ، وتركيبها اقلياً في الدعائم والجدران ، على ارتفاع عشرين سانتيمتراً من أرض المسجد . وسيكون هناك أنبوبتان في كل دعامة ، واثنان وعشرون أنبوبة في كل جدار من الجدران الثمينة . وستكون الأنابيب مخزقة ^(٥) .

سادساً : الرخام : اعادة تركيب الصالح من الرخام ، سواء في أرض المسجد أو في الجدران : الداخلية منها والخارجية ؛ واستبدال التالف منه برخام جديد ومن النوع نفسه .

سابعاً : أعمال النجارة :

(آ) اصلاح وتدعيم وإعمار القبة الخشبية الداخلية ، واسقف الاروقة المزخرفة ، بحيث ترفع الأجزاء التالفة منها ، وتستبدل بنشب جديدة .

(ب) اصلاح الرف (الكورنيش) الكائن في رقة القبة من الداخل ، واستبدال التالف منه برف جديد .

(ج) اصلاح الأوتار الكائنة فوق الأعمدة بين الرواقين الداخلي والخارجي ، واستبدال التالف منها .

(١) ذلك خشية (الترحلق) اذا ما مشى المرء على الالومنيوم .

(٢) انه الآن من حديد .

(٣) سيكون هذا السلم في نفس الموضع الذي يقوم فيه السلم الآن .

(٤) قطرها أربع بوصات .

(٥) الغاية من هذه العملية هي التهوية والحيلولة دون انتشار الرطوبة من الارض الى الجدران والدعائم .

كيف تعالج ارضاب^(١) العطوبة :

على ذكر الأخشاب النالفة التي تتكون منها قبة الصخرة ، أقول : أن المهندس الحبير في هذه الأمور ، وهو الدكتور حسين نور ؛ بعد أن فحص الأخشاب الكائنة في سقف الرواقين الأوسط والخارجي ، وفي القبة الداخلية ، وفي مدادات الأوتار الحشبية للعقود بين الرواقين ؛ وقام بدراسة الحشرات المنبثة فيها^(٢) ؛ وضع تقريراً^(٣) جاء فيه ما خلاصته :

إن الأخشاب المتقدم ذكرها مصابة بحشرات مختلفة الأنواع ؛ كالحشرة المعروفة بـ (سيرامليسيديا - Ceramlysidae) و (انويديا - Anobiidae) و (ليستيديا - Lystidae) و (بوستريشيديا - Bostrichidae) . وهناك يرقات حية من النوع المعروف بـ (انويديا - Anobiidae) وخنافس ميته من (الليكتس الأفريقي - Lyctus Africanus) .

وقد اقترح الحبير دهن الأخشاب التي سيعاد استعمالها بمزيج من الكيروسين أو أي نوع آخر من السوائل البترولية ، تحمل فيه مادة (البنتا كلوروفينول - Pentachlorophenol)^(٤) بنسبة خمسة في المائة (٥ ٪) . وتستعمل الطريقة نفسها في الأخشاب التي ستزال وتودع في المتحف . وكذلك في الأخشاب الجديدة . ويستحسن استعمال هذا المحلول مرة في كل خمس سنوات .

مسجد الصخرة كما رأته عام ١٩٥٨

دخلت مسجد الصخرة مراراً ؛ فكثيراً ما لعبت في فناءه الواسع في صغري ، وكثيراً ما صليت في أرجائه في كبري . ولا بدع فاني ابن القدس ؛ ولدت فيها ، وترعرعت في أرجائها ، والدار التي أبصرت النور فيها لأول مرة كائنة على مقربة من الحرم ، في حي (الواد) داخل السور . وأود الآن أن أعترف انني ما أدركت قيمة هذا المكان الإسلامي العظيم ، إلا بعد أن شرعت في دراسة تاريخ القدس ، ورحت أتقل في ردهات الحرم باحثاً مستقصياً . وإليك وصف هذا المسجد كما رأته في مطلع عام ١٩٥٨ قبل أن يشرع المهندسون المصريون في تعميده : —

قبة الصخرة :

مؤلفة من طبقتين ؛ وبعبارة أخرى من قشرتين خشبيتين : احدها داخلية والأخرى خارجية .

(١) اقرأ الهامش الأول في الوجه الخلفي .

(٢) قام بهذه الدراسة خلال الأيام الواقعة بين الثالث والثامن من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٥٨ للميلاد .

(٣) اطلعت على هذا التقرير في اضبارات الهيئة الفنية التي تولت إعمار قبة الصخرة .

(٤) نصح الحبير أن لا تمس هذه المادة باليد أو الطعام لأنها سامة للغاية .

اما القشرة الداخلية فانها عبارة عن قباص مصفحة بالواح خشبية . وهذه الألواح الخشبية مسمرة ومغطاة بطبقة من الجبص المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية الملونة . تلك الفصوص يرجع تاريخها الى القرن العاشر للميلاد . انها هي التي يراها المرء من داخل المسجد .

وانه ليرى في أعلى القبة من الداخل بين النقوش المذهبة آية الكرسي نقشت بماء الذهب (١) : « بسم الله الرحمن الرحيم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السموات وما في الأرض . من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات والأرض . ولا يؤوده حفظها . وهو العلي العظيم . » وهناك في وسط القبة من الداخل اربعون نافذة تشرف على الداخل . وفيها كتابة بالثلث المذهب ، تشير الى الاصلاحات التي اجراها قلاون . وأخرى تشير الى اسم صلاح الدين (٢) .

وفي القبة نفسها من الداخل - فوق الأعمدة والأقواس - سورة طه ، نقشت بالفسيفساء المذهبة وبالنسخ الأيوبي . زال جزء من هذه الفسيفساء مع الزمن . فعمر بالأمنحت ، يوم زار الحرم امبراطور الألمان (١٨٩٨) . وأما الجزء الكائن في الناحية الشمالية الغربية ، فقد أعطب يوم قام المجلس الإسلامي الأعلى بالكشف على مواضع الوهن في أنحاء القبة (١٩٢٧) . فتضررت الفسيفساء بسبب جهل البنائين وعدم اتقانهم العمل اثناء نصب السقالات الخشبية ورفعها من موضعها . وسقط جزء آخر من الفسيفساء في الناحية نفسها بتاريخ ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٢ . وما زال هذا الجزء معطوباً ، والوهن مستمراً .

وأما القشرة الخارجية فانها هي ايضاً مصفحة بالواح خشبية . وعلى هذه الألواح ثبتت صفائح الرصاص من الخارج . ويقول المقدسي أن هذه القبة كانت على عهده (في القرن العاشر) مصفحة بالصفائح الذهبية . وعثر الصناع ، اثناء احدي العمارات التي قامت في مسجد الصخرة ، على تاريخ يرجع الى سنة ٤١٠ للهجرة (١٠١٩ م) منقوشاً بالأحرف الكوفية على أحد الألواح الخشبية التي تؤلف منها القبة الخارجية .

وهناك بين قشرتي القبة الداخلية والخارجية فراغ واسع ، فيه سلم يمكن التسلق بوساطته الى القمة عند الهلال . كما أن بينهما طبقة من اللباد وضعت تحت الواح الرصاص ، خصيصاً لمقاومة الحر في أشهر الصيف .

- (١) هذه الآية مكتوبة بأحرف من النوع المعروف بالثلث المعتاد ، وفي اطار مستدير ومزخرف بالفسيفساء .
(٢) ذكرنا الكتابين عند ذكرنا للتعميرات التي اجريت في زمن صلاح الدين وفي زمن قلاون في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

والمسافة بين القشرتين من الرقبة حتى القمة تتراوح بين ٧٥ س م (عند الرقبة) ومتر و ٥٠ س م فمتر و ٩٨ س م و متر و ١٨ س م (عند القمة) .
وقال المهندسون الخيرون أن القشرة الخارجية قد ارتاحت قليلاً مع الزمن ، فراحت تميل الى الجنوب والجنوب الغربي ؛ وان ميلها في الوقت الحاضر لا يزيد على ١٥ سانتيمتراً . حتى أن قممها لم تعد فوق قمة القبة الداخلية على التمام . بيد أنني لم أستطع أن اتبين الميل الذي ذكروه .
وفي أعلى هذه القشرة من الخارج هلال كبير ، مصنوع من النحاس ، يراه المرء من مسافة بعيدة .

والقشرتان عبارة عن قباس خشبية . في كل قشرة اثنان وثلاثون قبسية ، ذات أضلاع تتكاد تكون مربعة الشكل : عرض القبسية ٢١ س م وارتفاعها ٢١ س م . والقباسي كلها تميل في اتجاه واحد ، وتستند على ألواح خشبية عرض الواحد منها ٢١ س م وارتفاعه ١٧ س م . وهذه الألواح مسمرة . وكذلك قل عن الواح الخشب التي تتكون منها القبة الداخلية . فانها هي ايضاً تتكاد تكون مربعة (١٨ × ٢٠ س م) . وأما القباسي التي ترتكز عليها فانها مربعة تريبعاً تماماً (١٢ × ١٢ س م) . وكل قبسية ثامنة من القباسي التي تؤلف القبة الخارجية مزدوجة ، يرى المرء تحتها قبسية أخرى بالحجم نفسه . والقباسي التي تؤلف القبتين منحنيات ، كما هي الحال في قباسي الخشب التي تبنى بها المراكب الصغيرة في البحر .

ومعظم هذه القباسي والألواح الخشبية ، لا سيما في القشرة الخارجية ، اضعفت مع تقادم العهد في حالة سيئة ؛ اذا اصابها التلف بسبب السوس الذي راح ينخر فيها منذ سنين ، وبسبب تسرب مياه الامطار إليها .

ان الخشب الذي تتكون منه القبة أنواع ، بعضه من النوع المعروف بالبلوط ، والبعض الآخر من شجر الأرز ، وكثير منه من الصنوبر ، وهذا يعرف بالقطراني . ويعتقد المقدسيون ان النوع الاخير من الخشب (اي القطراني) لا يقوى عليه السوس .

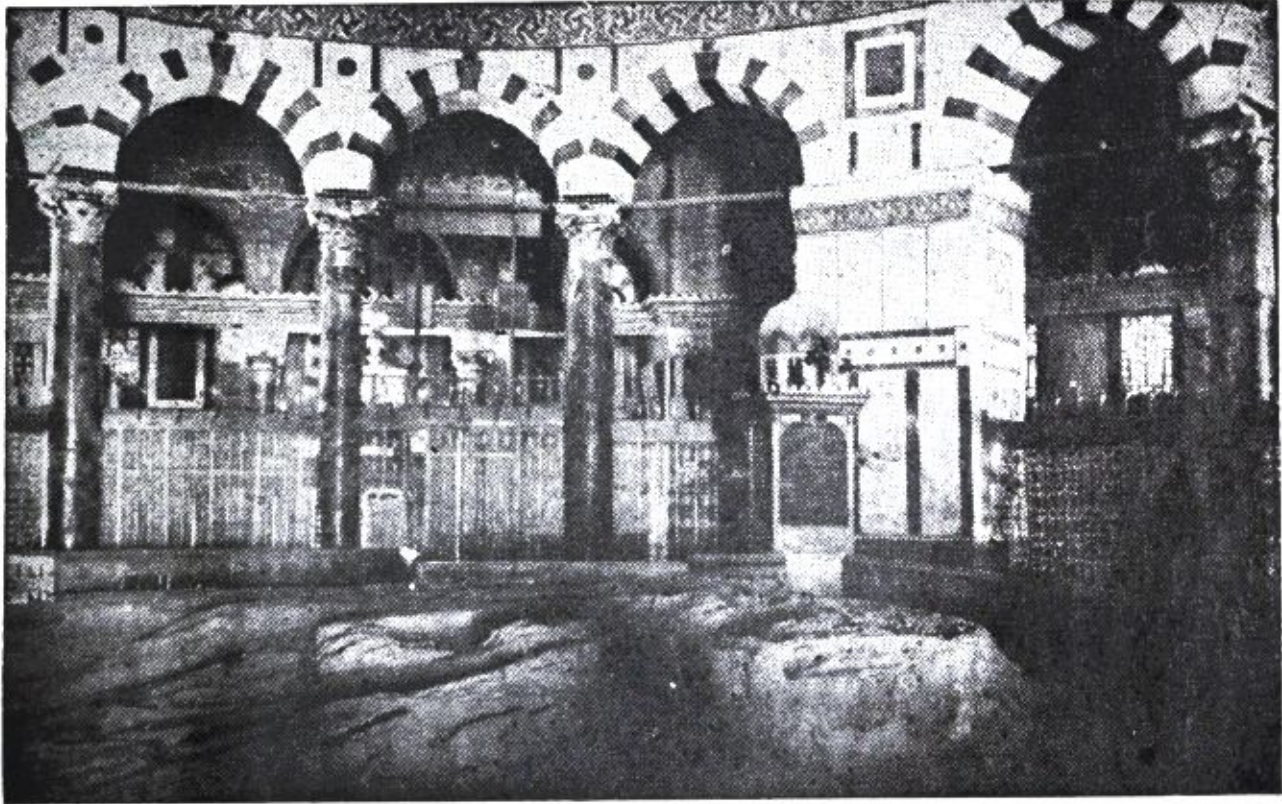
وأما قطر القبة فانه على قول كرزويل ٢٠ متراً و ٣٠ س م ، وعلى قول ريشموند ٢٠ متراً و ٦٠ س م ، وعندني انه لا يجاوز العشرين متراً و ٣٧ س م ، وهذا معادل للمسافة بين ارض المسجد وأعلى نقطة في القبة من الداخل .

رقبة القبة :

القبة مرفوعة على كرسي عال يعرف بـ (الرقبة) . والرقبة مبنية من الحجر الجيري الصلب . وهي سليمة ، كتبت عليها من الداخل ، وبماء الذهب ، سورة طه .

العمدة :

ان رتبة القبة مرتكزة على اثني عشر عموداً ، وعلى اربع اساطين (سوارى) في غاية الاحكام والاتقان . بين الاسطوانة والأخرى ثلاثة اعمدة . والاسطوانة مربعة الاضلاع ، عرض كل ضلع منها ثلاثة امتار ، وهي مكسوة بالرخام الأبيض المعرق . وأما بناؤها من الداخل فبالحجارة والكاس .



جانب من الأعمدة والأقواس التي ترتكز عليها القبة

وأما الأعمدة فإنها كلها من الرخام . وجلها ، ان لم نقل كلها ، من بقايا البناء القديم . وقطر كل عمود منها يختلف عن الآخر . وجميع الأعمدة مطوقة من الخارج بأطواق من النحاس فوق القاعدة مباشرة . وبين الطوق والعمود رصاص . والرخام الذي يغطي قواعد الأعمدة حول الصخرة وتحت القبة من صنع الأتراك العثمانيين في القرن السادس عشر ، وأعيد تعميره في عام ١٨٧٤ . وأما الرخام الذي يغطي قواعد الأعمدة الأخرى في الرواق الأوسط فقد وضع هناك سنة ١٨٥٣ وسنة ١٨٧٤ . ومعظم هذا الرخام قد تأثر مع الزمن بفعل الرطوبة ، وبعضه قد تآكل او تفتت بشكل يلفت النظر .

لاحظت ، عندما زرت مسجد الصخرة في يوم من أيام شهر أيلول ١٩٥١ ، ان العمود الثالث إلى الشرق من الباب الكبير القبلي ، في حالة من الحراب تلفت الأنظار . فوجهت اليه نظر الدكتور حسين نخري الحالدي بوصفه ناظر الحرم . فأجابني قائلاً : إنه لدى الكشف من لدن الخبراء تبين ان التفكك في البلاط الرخامي للقاعدة المربعة الشكل والتشقق الحاصل فيها ناتجان عن هبوط في الأرض تحت الضلع الشمالي للقاعدة المذكورة ، وان هذا الحراب لا ينتج عنه ، على قول المهندسين ، خطر على العمود أو على البناء الذي يحمله ؛ لأن أعمدة الثمن الداخلي متصلة

بالأرض ومرتكزة عليها مباشرة وليست على القاعدة الرخامية (١).

الرفواسى الداخلى :

هي التي تربط بين الأعمدة وترتكز عليها القبة . أنها مبنية بالبلاط المصنوع من الرخام الأبيض والأسود . عرض القوس متر و ١١ س م . وهناك فوق الأعمدة عتبة فوقانية ثقيلة موضوعة بشكل أفقي ، وهي من الخشب ، عرضها ٧٦ س م وارتفاعها ٢٩ س م . وفوق هذه العتبة عتبة حجرية عمقها ٣٢ س م . وهاتان العبتان (الحشبية والحجرية) مزينتان من الداخل بافريز (كورنيش) خشبي منحوت . والقسم الأسفل من العتبة الحشبية وواجهتها الخارجية مصفحة بصفايح معدنية مسمر بها رسوم تشبه العنب . وأما العتبة الخارجية فأنها مصفحة من الخارج بالمرمر .

الصخرة :

تحت القبة وفي وسط المسجد تقوم الصخرة نفسها . واليك وصفها : -
انها عبارة عن قطعة ضخمة من الصخر غير منظمة الشكل . وكانت فيما مضى بمثابة قمة للجبل المعروف : (موريا) . وذهب المؤرخون الى انها كانت ، على عهد بني إسرائيل ، قائمة في وسط المنطقة التي بنوا فيها هيكلهم .

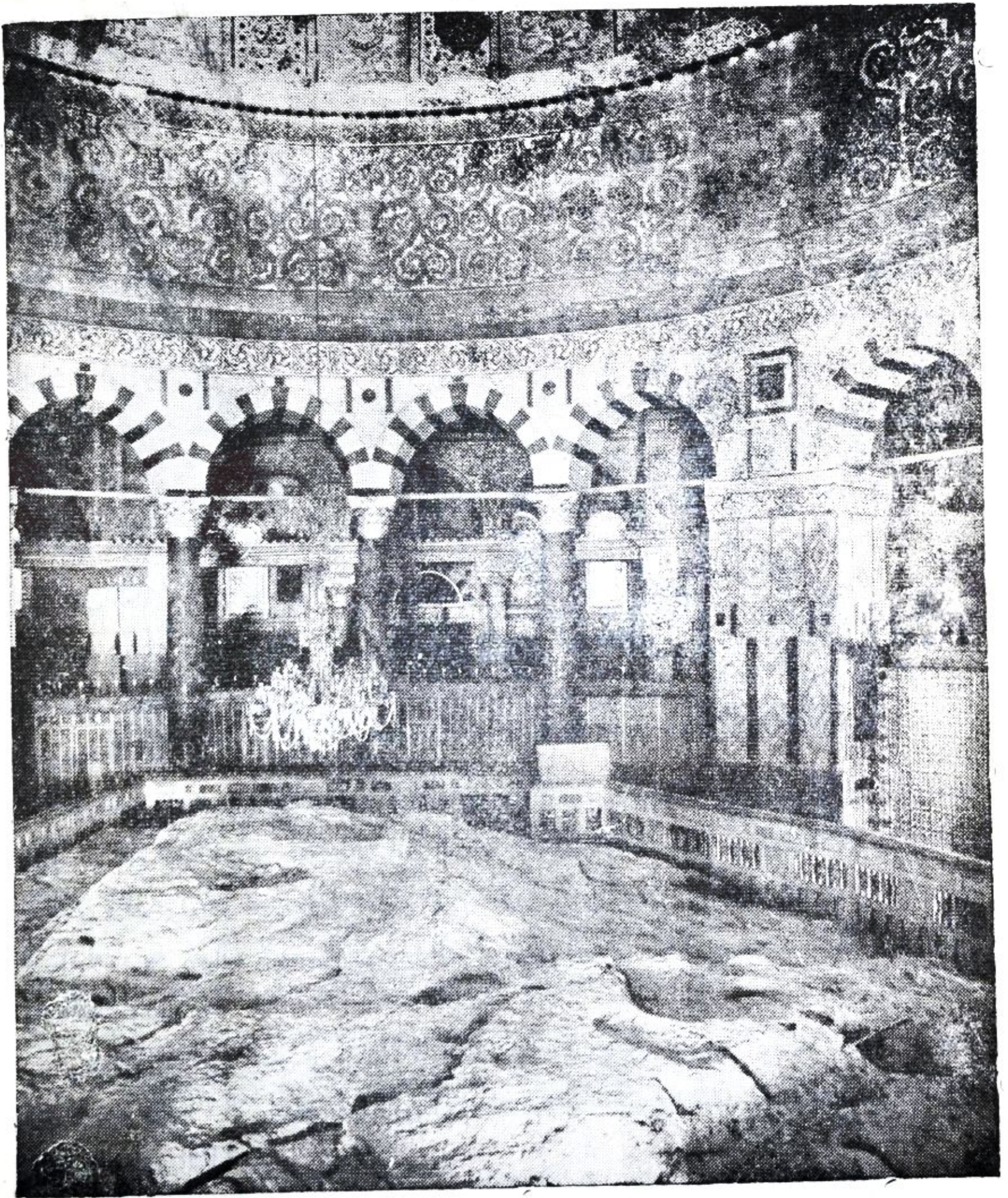
طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧ متراً و ٧٠ س م . وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣ متراً و ٥٠ س م . ان أعلى نقطة فيها مرتفعة عن سطح المسجد زهاء متر ونصف المتر حولها درابزين من الخشب المنقوش والمدهون هو الذي وضعه الملك العزيز عثمان من بني أيوب . وحول هذا الدرابزين مصلى للنساء له أربعة أبواب . يفصل بين هذا المصلى ومصلى الرجال سياج من حديد مشبك ، هو الذي بناه الصليبيون .

والسؤال الذي يخطر على البال : لماذا اختار عبد الملك بن مروان موضع الصخرة هذه ، فبنى المسجد فوقها ؟ لأنها مقدسة ؟ ومن أين جاءت هذه القدسية ؟ لذلك تاريخ قديم نود أن نجمله بالسطور التالية : -

قيل ان ملكي صادق ملك اليوسيين (٢) كان كثير التردد إلى هذه الصخرة ، وأنه كان عليها يتقرب إلى ربه بقرايينه .

(١) اقرأ المخابرات التي تبودلت بين بلدية القدس بتاريخ ١٩٥١/٩/٣ رقم ب/ب/٤٩ وناظر الحرم بتاريخ ١٩٥١/١٠/١٠ رقم ح/م/٦٣/٥١ - ٣٢٢

(٢) قلنا في كتابنا (تاريخ القدس) ان اليوسيين بطن من بطون العرب الأوائل ، جاءوا من جزيرة العرب ، وانهم أول من بنى مدينة القدس ، وانها كانت على عهدهم تدعى : (يوس) .



(الصخرة) في وسط المسجد

انجد الأنبياء ابراهيم الخليل ، على هذه الصخرة ، قدم ولده اسماعيل ضحية . وعليها كلم الله يعقوب واسماها: (باب السماء) . وهناك بنى سليمان هيكله . وهناك كانت تدبج القرابين . وفي هذا المكان كان الرومان يسبحون بمحمد آلهتهم وبمحمد ملك الناس جويتر العظيم (١)

(١) (حضارة العرب) لغوستاف لوبون ترجمة الاستاذ زعيتر ص ١٧٤ طبع في مصر عام ١٩٤٥ .

ولما دمر ادريانوس امبراطور الرومان اورشليم ، وخرّب الهيكل (١٣٥ م) ، نصب في ذلك
الموضع الأصنام . وظلت تلك الأصنام قائمة هناك الى ان اتت الملكة هيلانه ام الملك قسطنطين
(٣٣٥ م) فهدمت كل ما كان على الصخرة وجعلتها مطرحاً للقيامه (الزبالة) .
ظل موضع الصخرة مهجوراً ، تغمره القمامة ؛ الى ان فتحت ايليا (اسم القدس في ذلك الحين)
على يد عمر بن الخطاب . فأزال عن الصخرة القمامة ، وبنى في تلك المنطقة مسجداً (١) .
قال الأستاذ مرغوليوث في كتابه (القاهرة واورشليم ودمشق) ما خلاصته (٢) ان اقدم ما
نعرفه عن الصخرة ما ذكره سائح بوردو الذي زار اورشليم سنة ٣٣٣ م . فقد قال :

« انه لا يزال على مقربة من الصنمين اللذين أقامها ادريانوس في ساحة الهيكل صخرة مثقوبة
كان من عادة اليهود ان يمسحوها بالزيت مرة في السنة ، حينما يجتمعون ويكفون وينوحون ويمزقون
ثيابهم ثم ينصرفون . وسكب الزيت على الحجارة عادة دينية قديمة سابقة لعهد موسى ، وشريعة موسى
لا تجيزها . ويظهر من ذلك ان استمرار اليهود على مسح الصخرة بالزيت لم يكن من شريعة
موسى ، بل كان من الرسوم القديمة التي احتفظوا بها ، ثم عادوا اليها بعد خراب الهيكل .
وفي بعض التواريخ أن عبد الملك أمر بمسح الصخرة بالزيت ، واستمر ذلك كل أيام بني أمية .
والرأي الشائع الآن أن هذه الصخرة هي الحجر الذي كانت تدبح عليه ذبائح المحرقة في عهد
اليهود ، ويسيل دمها من الثقب الذي فيها الى الغرفة التي تحتها ، ويجري من ثم الى وادي قدرون . »
انتهى قول الاستاذ مرغوليوث .

والذي يزور الصخرة في يومنا هذا يرى آثار المعاول . إذ كان الرهبان يقطعون منها شقفاً
ويبيعونها للحجاج ثقلها ذهباً . فغطاها الفرنجة بعدئذ بالمرمر . ثم جاء صلاح الدين فرفع المرمر ،
وأعادها الى وضعها الأصلي . . . الطبيعي . . .

وفي الصخرة الآن حفرة لا يتجاوز عمقها ٢٥ س م ، هي التي قلنا أن دم الضحايا كان ينساب
فيها ، كما ينساب الماء المستعمل لتنظيفها ، يوم كان هناك مذبح .
إن هذه الصخرة ذات مكانة تاريخية في نظر المسلمين . ذلك لأنهم يعتقدون أن النبي العربي محمد أخرج
منها الى السماء . ومن هنا جاءت الأحاديث التي تشير الى قدسيته . فقد روى عن ابن عباس أن النبي قال :
« صخرة بيت المقدس من صخور الجنة . » وعن علي بن أبي طالب أنه قال سمعت رسول الله يقول :
« سيد البقاع بيت المقدس . وسيدة الصخور صخرة بيت المقدس . » وعن أبي هريرة أنه قال :

(١) ذكرناه في كتابنا (تاريخ القدس) فقلنا أنه كان يومئذ من خشب
(٢) مجلة المتكطف المصرية . ج ٦١ ص ١٩٧ سنة ١٩٢٢ .

« المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس . » وعنه أيضاً أن رسول الله قال :
« صليت ليلة أسرى بي الى بيت المقدس عن يمين الصخرة . » ومن الأقوال المأثورة : « إن أول
بقعة بنيت من الأرض كلها موضع صخرة بيت المقدس . » ومنها أيضاً : « أحب الشام الى الله
بيت المقدس . واحب جبالها اليه الصخرة . وهي روضة من رياض الجنة . » وذكر ابن الفقيه
فضائل الصخرة في أكثر من موضع في كتابه (١) . نذكر منها قوله : « قال كعب قرأت في النورية
أن الله عزوجل يقول للصخرة أنت عرشي الأذني ، منك ارتفعت الى السماء ، ومن تحتك بسطت
الأرض . من أحبك أحبني ، ومن أبغضك أبغضني ، ومن مات فيك فكأنما مات في السماء . »
وقد اتخذها المسلمون قبلة قبل أن يولوا وجوههم شطر الكعبة . وقد ولوا وجوههم شطر
الكعبة في السنة الثانية للإسراء . ومع ذلك فقد ظلت الصخرة محترمة في نظرهم . لان النبي عرج
منها الى السماء . وهذا ما حدا بعبد الملك بن مروان أن يختارها لبناء مسجده .

وأما أحمد بن تيمية فيقول : « أما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضي الله عنه ، ولا الصحابة .
ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة . بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي
ومعاوية ويزيد ومروان . والذي بنى القبة على الصخرة وكساها في الصيف والشتاء هو عبد الملك
ابن مروان . إنه فعل ذلك ليرغب الناس في زيارة بيت المقدس . » الى أن قال : « وأما أهل العلم
من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة . فإنها قبلة منسوخة . »
قال ابن الفقيه (٢) : —

« حجر الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعا في سبعة وعشرين ذراعا . »

المغارة :

تحت الصخرة مغارة ينزل اليها من الناحية القبليية باحد عشرة درجة . انها في شكل قريب من
المربع . طول كل ضلع اربعة امتار ونصف المتر . ولها سقف ارتفاعه ثلاثة امتار . وفي السقف
(ثغرة) سعتها متر . وعند الباب قنطرة مقصورة بالرخام على عمودين . وفي داخلها محرابان . كل
محراب على عمودين من رخام . وامام المحراب الايمن صفة يسمونها (مقام الخضر) ، وفي
ركنها الشمالي صفة تسمى (باب الخليل) . وارض المغارة مفروشة بالرخام .

ولا صحة للقول القائل ان ارواح المؤمنين يجمعها الله يوم القيامة في هذه المغارة ، وانها لهذا سميت
(مغارة الارواح) . ولا صحة أيضاً لما يقولونه عن صلاة موسى وعيسى ، وهذا النبي او ذاك
من الانبياء في هذه المغارة ، وعن قدسيها . فكل ما في الامر انها مغارة طبيعية كباقي

(١) (كتاب البلدان) ص ٩٤ — ٩٧

(٢) (كتاب البلدان) ص ١٠٠

الغاور والكهوف في الجبال وبين الصخور . كان يلجأ اليها الرعيان قبل أن يكون هناك بنيان كما كان يلجأ اليها الاتقياء والمصلون ليعبدوا ربهم في أمان . وكذلك قل عن الصخرة التي تظلمها فأنها . كباقي الصخور فوق هذه البسيطة ، جزء من هذا الكون الواسع . وأن الحديث عن قدسيته ناشيء عن الرغبة في تحجيب المسلمين بهذه البقعة من بقاع الجزيرة . ولا صحة للقول القائل أنها معلقة بين الأرض والسماء .

التشمينية :



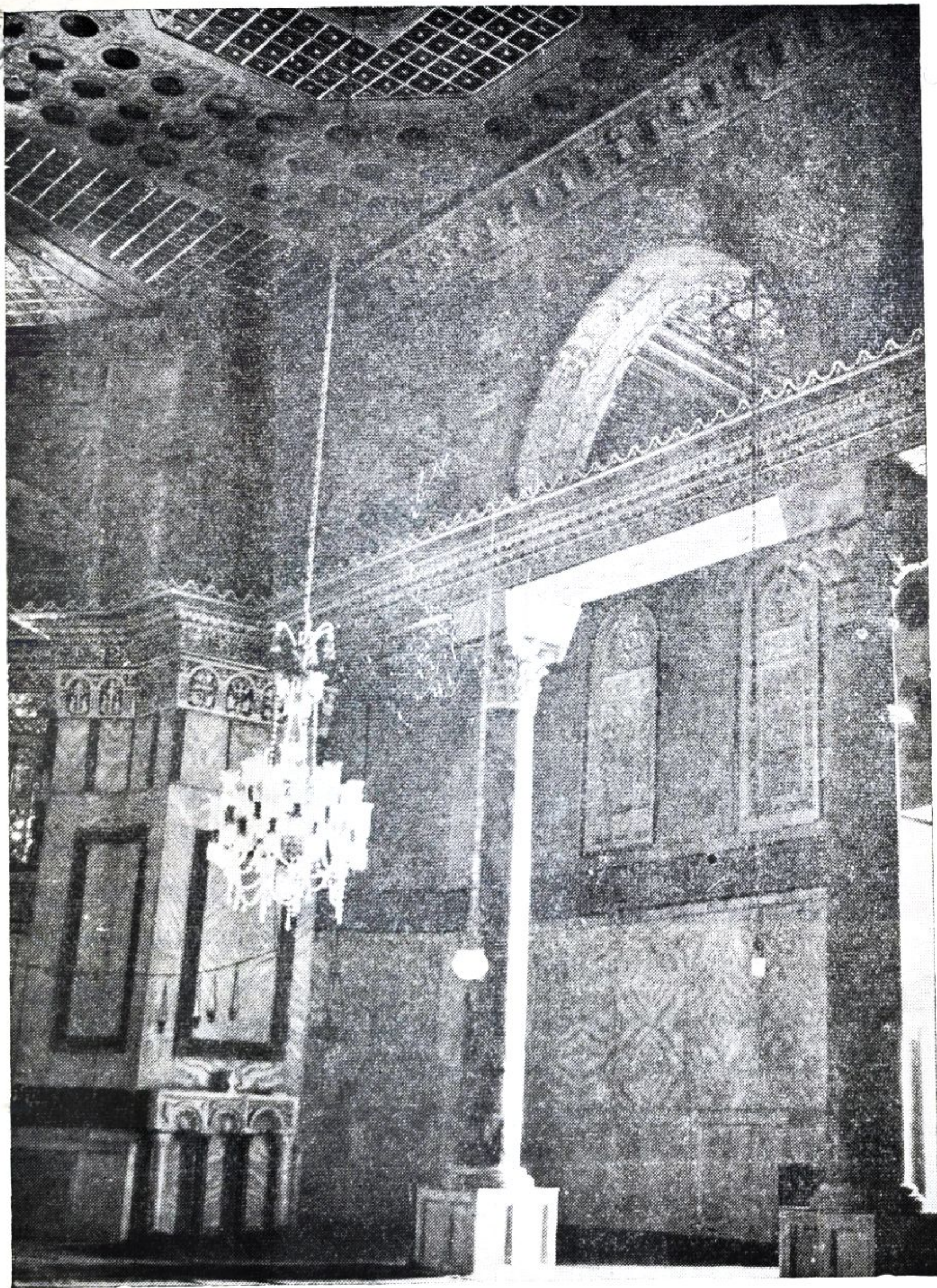
هي البناء القائم حول الصخرة . إنه بناء نخم مشمن الاركان . وهو مكون من تشمينتين : تشمينية خارجية هي التي تتكون منها جدران المسجد . وأخرى داخلية مرفوعة على أعمدة وأساطين . أما التشمينية الخارجية فعرض كل ضلع من أضلاعها الثمانية عشرون متراً وتسعة وخمسون سانتماً . وارتفاعه تسعة أمتار ونصف المتر . هذا عدا الحائط العلوي (أي الدورة) فارتفاعه مترات وستون سانتماً .

التشمينية الداخلية في مسجد الصخرة

وأما التشمينية الداخلية . وهي الواقعة بين الأعمدة الحاملة للسقف والاعمدة الحاملة للقبة ، فإنها مكونة من طارات محمولة على ثماني أسطوانات ملبسة بالرخام ، وستة عشر عموداً مختلفة الألوان . بين كل عمودين أسطوانة . وإليك لترى فوق أقواس التشمينية الوسطى افريزاً كتب عليه بالحط الكوفي المذهب (سورة النساء) .

وبين التشمينتين . الخارجية والداخلية . رواق للصلاة . وكذلك قل عن الرواق الكائن بين التشمينية الداخلية والدائرة الحاملة للقبة .

والاعمدة قديعة جداً ومتينة للغاية . وهي من النوع المعروف بالصوان (الغرانيت) . وتيجان



الرواقان (الأوسط والخارجي) المعدان للصلاة في مسجد الصخرة



أكثرها تدل على أنها من الطراز البيزنطي . ويعتقد بعض مؤرخي الفرنجة أن عمال عبد الملك أتوا ببعضها من كنيسة قسطنطين التي دكها الفرس (٦١٤ م) . وهناك من يقول أن عمال عبد الملك عثروا على عدد كبير منها في نفس المكان الذي بنوا فيه مسجد الصخرة . وذلك عندما حفروا الأساس ونزلوا في بطن الأرض مسافة عميقة . ويظن أنها من عهد هيرودس الملك ومن بقايا الهيكل الثاني .

سقف المسجد :

تحمل الأعمدة التي ذكرناها في الاسطر المتقدمة والتي تفصل بين الرواقين - مع جدار المسجد - سقفاً مدهوناً بأنواع الدهان ، قائماً على قناطر مرصعة بالفصوص المذهبة ومتصلاً طرفه بكرسي القبة . (انظر الى الصورة في الصفحة ١٢٤)

قال أوليا جلي السائح التركي المشهور الذي هبط القدس سنة ١٦٧١ م : « ان الصناع الذين تولوا دهنه هم بهزاد من كلكتا ، ماني ، شاه قولي ، ولي جان ، آغارضا (١) . »

ولقد جرى تجديد الدهان لهذا السقف في العصور الأخيرة . منها ما ذكرناه عند بحثنا التعميرات التي أجراها السلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) . وإنك لتقرأ اسم هذا السلطان في الصحون المثبتة في السقف والمصنوعة من الخشب والفسيفساء الجميلة .

ان سقف هذه التشمينة مغطى ، من الخارج ، بالواح من الرصاص ؛ تحتها مدة من الحور المجيل بالبتن .

وأما الخشب التي يتألف منها السقف فانها مع تقادم العهد وفعل السوس قد تلفت وأصبحت في حاجة للاستبدال . هذا في الرواق الأوسط . وأما الخشب التي يتكون منها الرواق الخارجي فانها في حالة أسوأ ، لا سيما في الأجزاء المتصلة منه بالجدران الخارجية ، حيث تتجمع مياه الأمطار وتتسرب اليها .

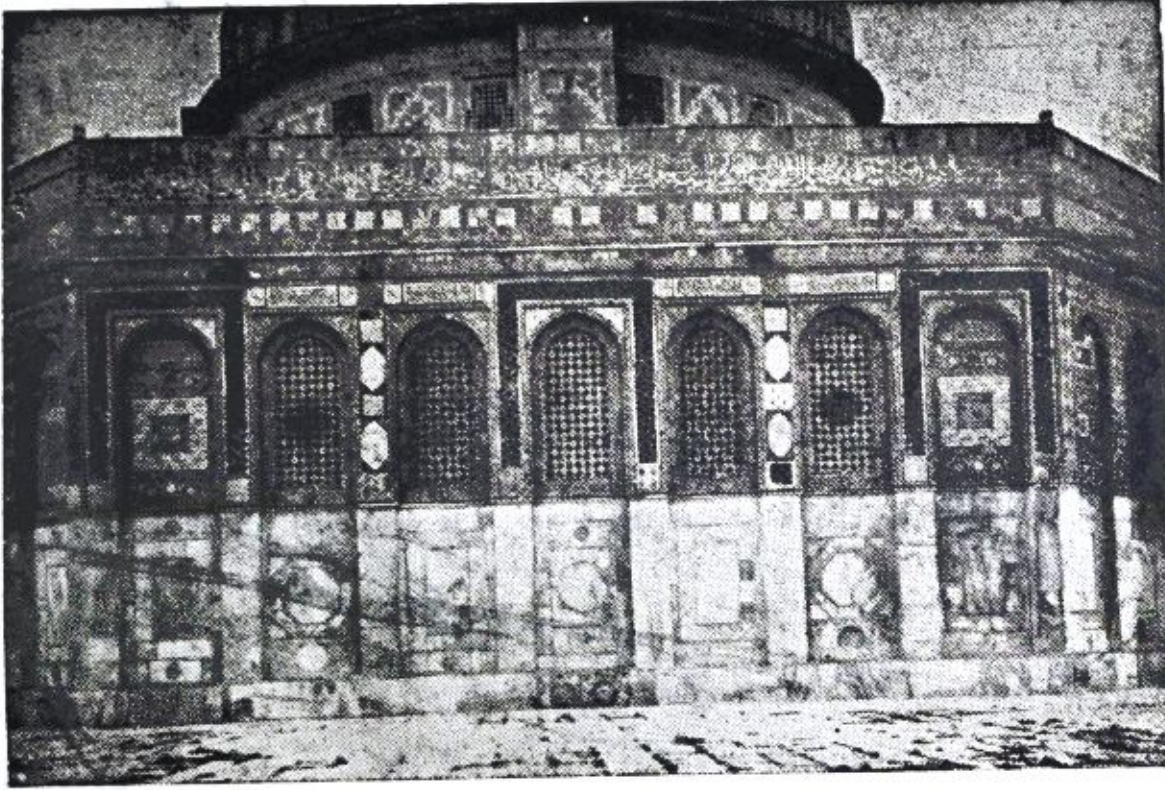
أرض المسجد :

كانت كلها فيما مضى مفروشة بالرخام الابيض . واستبدل هذا في معظم مواضعه برخام جديد في زمن السلطان عبد العزيز (١٨٧٤ م) . خلا بقعة صغيرة من أرض المسجد ، وهي المقابلة للباب الغربي ، فإنها بقيت على ما كانت عليه .

وأرض المسجد بين الصخرة وأقسامها الخارجية ليست مستوية ، بل إنها منخفضة بنسبة تسعة الى عشرة مائتمترات . والانخفاض واضح نحو القواعد .

(١) اقرأ الترجمة المخطوطة والمحفوظة في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس ص ٦٥

جدران المسجد :



جدران المسجد من الخارج

من الخارج ،
مصفحة في قسمها
الاسفل ، بالبلاط
الرخام . وفي قسمها
الاعلى بالقاشاني .
ويسمونه في بيت
المقدس (البلاط
الصيني) . ذكر فابري
ومجير الدين أن
الجدران الخارجية
كلها كانت ، على
عهدهما ، مرصوفة بالفسيفساء .

وفوق القاشاني تجد في يومنا هذا افريزاً رسمت عليه (سورة يس) . فمن قائل أن هذه السورة
كتبت بنوع من القاشاني صنع في أواسط القرن السادس عشر ، على يد السلطان سليمان القانوني .
ومن قائل أنها كتبت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وكان ذلك في أواخر القرن التاسع عشر .
وهذا ، في اعتقادي ، هو الرأي الصائب . وقد يكون صناع هذا العهد قلدوا في كتابتها القاشاني
الذي صنع في أواسط القرن السادس عشر .
وأما من الداخل فإن الجدران كلها مكسوة بالرخام .

آيات من القرآن منقوشة على الجدران :

ذكرنا في مواضع عديدة من هذا الكتاب معظم الآيات القرآنية والكتابات المنقوشة على جدران
المسجد ، وعلى ابوابه وقبابه . كما ذكرنا الملوك والأمراء والحكام الذين كتبت على عهدهم ، والتواريخ
التي تم نقشها فيها .

وهناك كتابات أخرى لم نستطع أن نجزم في أي تاريخ نقشت ؛ لا ، ولا من الذي نقشها .
كالكتابة التالية التي تجدها على جدار المسجد من الخارج بين البابين الشمالي والشرقي :
قال الله في محكم كتابه العزيز : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة
وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . »
« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله

لا يستون عند الله . والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله . وأولئك هم الفائزون . »

وفوق قوس الباب الشرقي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أنا مدينة العلم وعلي بابها . »
« لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً . تبق الله الباقي . »

وعلى دفتي الباب الشرقي المتقدم ذكره : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى . »

وفوق قوس الباب القبلي للصخرة : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم . قد نرى قلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . وأن الدين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ، وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض . ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك إذا لمن الظالمين . »

أبواب مسجد الصخرة :

لمسجد الصخرة أربعة أبواب كبيرة مزدوجة ، مصنوعة من الخشب ، ومكسوة بصفايح النحاس . فالباب الشرقي تجاه قبة السلسلة ، ويسمى (باب داود) أو (باب اسرافيل) . ويرجع عهده الى سنة ٩٧٣ هـ - ١٥٧٥ م أي في زمن السلطان مراد الثالث .

وكذلك قل عن الباب الشمالي وهو المعروف بـ (باب الجنة) . فانه يرجع الى نفس العهد . وأما الباب الغربي المقابل لباب القطنين من أبواب الحرم . فانا لا نعرف عنه إلا أنه جدد في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٦٦ م) وفي عهد السلطان عبد الحميد الأول - (١٧٨٠ م) . وكذلك قل عن الباب القبلي وهو المقابل للمسجد الأقصى . ويسمونه (باب الأقصى) . فقد جدد في عهد سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) .

وقد قرأت اسم السلطان سليمان على الباب القبلي المصنوع من الخشب والمصنع بالحديد هكذا :
« جدد هذه الأبواب الحسان أعظم الحواقين ^(١) الأعيان السلطان سليمان . »
وهناك أمام هذا الباب رواق مفروش بالرخام . طوله ١٦ متراً وعرضه ثلاثة أمتار .

(١) جمع (خاقات) . وهي كلمة تركية كانوا يطلقونها على السلطان .

وهناك في مدخل المسجد من الشرق والغرب والشمال بوابات بنيت خلال القرن السادس عشر. وفي كل بوابة غرفتان : واحدة يراها الداخل الى يمينه ، والأخرى الى يساره . وقد أنشئت لتكون إحداهما لحزن الآلات والأدوات اللازمة لتنظيف المسجد ، والأخرى لإقامة الخدم .

ويبدو ان البوابة الغربية أعيد بناؤها عام ١٧٧٥ م وإنه كان في مداخل مسجد الصخرة ، قبل بناء هذه الغرف ، اعمدة من الرخام ؛ تعلوها اقواس بنيت على طراز بيزنطي .

هذا عن ابواب المسجد الخارجية . واما ابوابه الداخلية فانها لم تؤرخ . ولسنا نعلم عنها إلا انها أنشئت بعد الابواب الخارجية . فاما ان يكون تركيبها قديماً من زمن السلطان عبد الحميد الأول او في زمن السلطان محمود الثاني . هذا بوجه الظن . وانا لنعلم بوجه اليقين ان السلطان عبد الحميد الاول سنة (١٧٧٣ - ١٧٨٩ م) قد أعاد بناء المدخل الغربي . وان السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٦١ م) قد أضاف الى الرواق القبلي الاعمدة الكائنة في جناحيه من اليمين ومن اليسار . ولقد ذكرنا ذلك في مواضع اخرى من هذا الكتاب عند ذكرنا للتعميرات التي جرت في زمن هذين السلطانين .

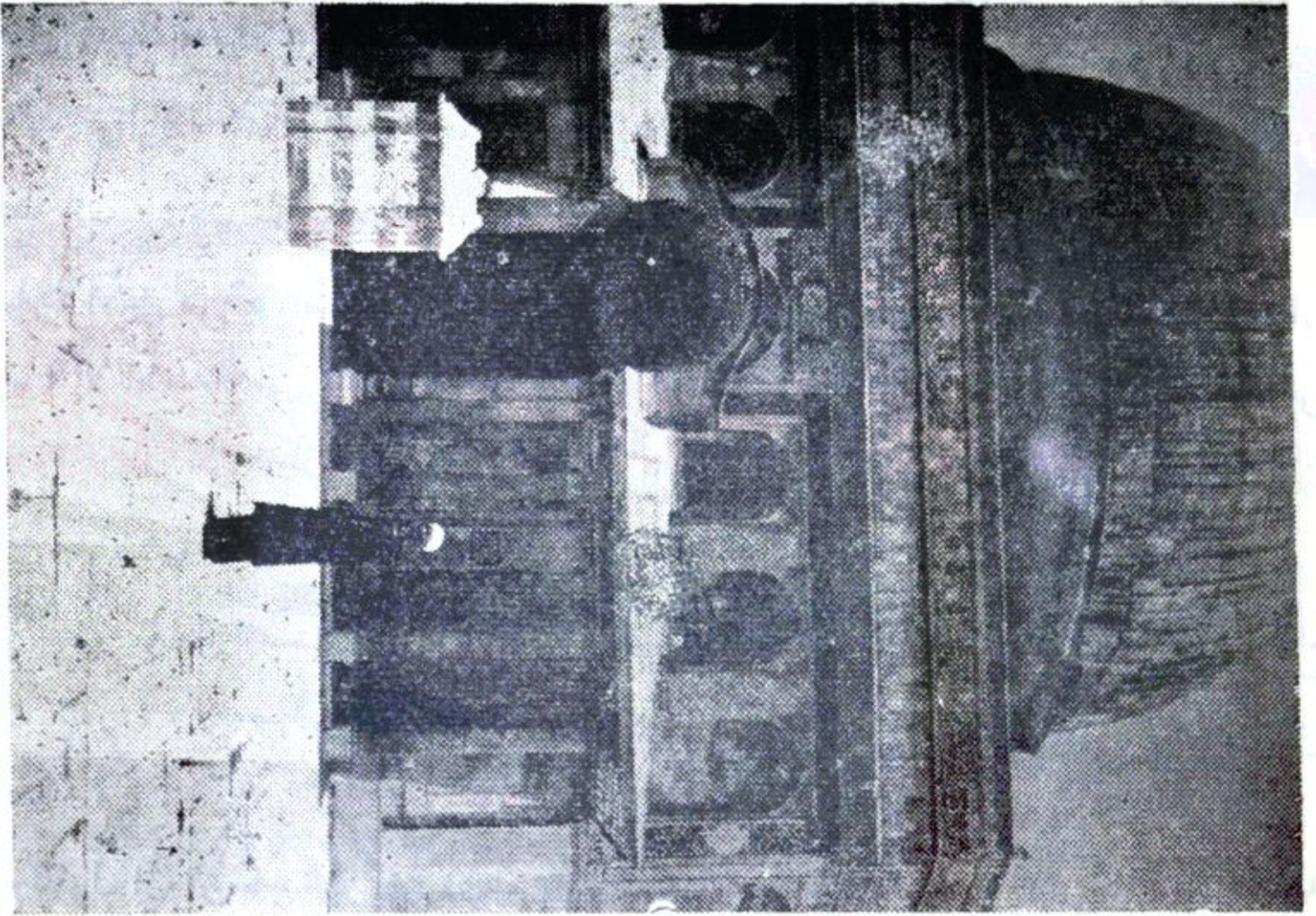
وما دمنا في ذكر الابواب فعلينا ان نقول ان البنائين بنوا مسجد الصخرة (١) بشكل جعل في مكنة من يدخله من اي باب من ابوابه، ان يرى جميع ما فيه من اعمدة واساطين ، سواء في ذلك الاعمدة والاساطين التي امامه مباشرة او التي من الجهة الاخرى المقابلة لها . لا يحجبها عن نظره شيء . وذلك بايجاد انحناء بسيط في دائرة دعائم القبة يبلغ درجة ونصف درجة حسب قياس العالم ريشموند وثلاث درجات حسب قياس الكبتن كرزويل . ولولم يكن هناك مثل هذا الانحناء لحجبت الأعمدة الواقعة امام الرائي الاعمدة الاخرى المقابلة لها في الطرف الآخر . لانها تكون في هذه الحالة واقعة على خط مستقيم واحد .

شبابيك المسجور ونوافذه :

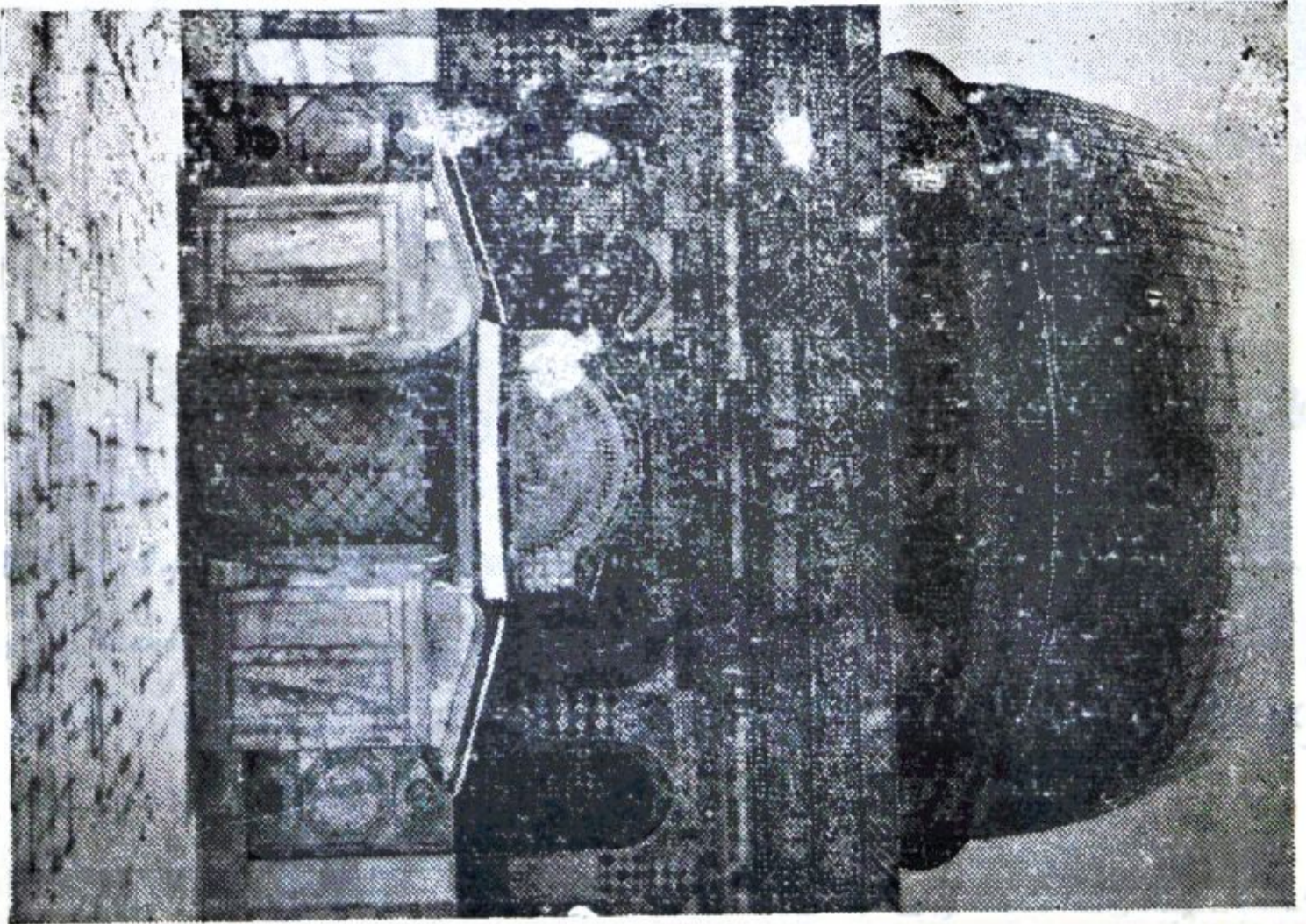
في مسجد الصخرة ستة وخمسون شباكاً : اربعون ينفذ النور منها، وستة عشر لا ينفذ، وفوق كل واحد من هذه الشبابيك غير النافذة آية قرآنية . والنوافذ مزينة بقطع من الزجاج الملون موصول بعضه ببعض وصلاً منسجماً بالجص لا بالرصاص . وقد نشأ عن هذا الوصل المنسجم ما لا تراه في الكنائس الأوروبية من الظل الخفيف والنور الساطع (٢) .

(١) من مقال كرزويل استاذ فن المعمار الاسلامي بجامعة فؤاد الاول ، نشر في العدد الذهبي لمجلة (الهلال) سنة ١٩٣٩ . ص ٨٨ - ٩٠

(٢) Civilization Des Arabs للاستاذ غوستاف لوبون ، ترجمة الاستاذ عادل زعير ص ١٠٧٦



(باب الأقصى) الباب القبلي لمسجد الصخرة



(باب الجنة) الباب الشمالي لمسجد الصخرة

اما الشباييك التي لا ينفذ النور منها ، وقلنا أن عددها ستة عشر ؛ فإنها كائنة في رقة القبة ، وهي مصنوعة من الزجاج المذهب . ستة منها ترجع الى القرن الخامس عشر ، وفي قول آخر الرابع عشر . والباقية حديثة العهد ، بعضها وضع محله الحالي قبل زيارة الامبراطور غليوم الثاني امبراطور الالمان ، وكان ذلك في اواخر القرن التاسع عشر .

في الجزء الأعلى من كل ضلع من اضلاع التشمينة سبع فتحات : خمس ينفذ النور منها ، واثنان مسدودتان ؛ إلا الأضلاع الأربعة التي في الابواب ، فإن في كل ضلع منها اربع نوافذ : اثنان عن يمين الباب واخرين عن يساره ، والنور ينفذ منها كلها . وأما الأضلاع التي ليست فيها ابواب ، فإن في كل ضلع منها وفي الجزء الأسفل منها شباكاً كبيراً يفتح ويغلق عند اللزوم .

وليس بين نوافذ التشمينة هذه ما صنع قبل القرن السادس عشر ، فان معظمها صنع خلال ذلك القرن ، وبعضها في القرن الثامن عشر ، والبعض الآخر في أواخر القرن التاسع عشر (١٨٥٧ م) .

ويصح القول ان الزجاج الجديد رديء ، وأن القديم احسن منه ؛ هذا مع العلم بأن النور لا ينفذ من القديم نفوذه من الجديد بسبب الوسخ .

وإنك لترى على الزجاج في بعض الشباييك الكائنة في جدران المسجد اسم (عبد العزيز) وفي البعض الآخر (انما المؤمنون اخوة) . ويظهر ان هذه الشباييك كسرت مع الزمن . فاستبدلها المجلس الاسلامي الاعلى عندما تولى عمارة الحرم عام ١٩٢٧ م ، يوم وضع في مسجد الصخرة اربعة عشر شباكاً من الزجاج الملون .

القاشاني^(١) :

إنه نوع من الآجر ممزوج بالزجاج ؛ ونسميه في هذه البلاد : (البلاط الصيني) . قيل إن أول من استعمل هذا النوع من البلاط في عمارة مسجد الصخرة هو السلطان سليمان القانوني ، وكان ذلك في عام ١٥٥٢ للميلاد ، عندما فتح الباب الشمالي من ابواب هذا المسجد . ثم استعمله عام ١٥٦١ م عندما عمر المحراب الكائن في قبة السلسلة . هذا ما قاله أكثر المؤرخين . ومنهم مدير مصلحة الآثار في قبرص المستر ميغو الذي استحضره المجلس الاسلامي عام ١٩٤٦ لاستطلاع رأيه في العطب الذي ألمّ بالمسجد والتعمير الذي لا بد منه .

(١) سمي كذلك نسبة الى (قاشان) قرية بهراة . وهرارة مدينة بخراسان . وخراسان اقليم من أعمال ايران (فارس) . ففي هذه المدينة صنع البلاط المعروف بالقاشاني لأول مرة . وقد انتقلت صناعته بعدئذ الى دمشق . ومنها انتشر في بلاد الشام كلها ، ومنها بيت المقدس .

مع أن القاضي مجير الدين الحنبلي ذكر القاشاني في كتابه الذي ألفه سنة ١٤٩٦ م . إذ قال (١) :
« وهناك حاكورة القاشاني ، وهي مكان بجوار قبة الطوبار الى جانب صحن الصخرة من جهة
القبلة ، وبه خلوة . وكان يجلس فيها الشيخ عبد الملك الموصلی ، وكان عمل في حيطانها وزرة من
القاشاني ، فعرفت بذلك . »

وقد يكون هذا النوع من القاشاني غير النوع الذي استحضره السلطان سليمان . ولكنه من
قاشان ، بلد من البلاد المعروفة بفارس . والمعتقد أن هذا النوع كان معروفاً في زمن قايتباي
(١٤٦٧-١٤٩٥ م) . وقد استعمله في سقف الباب الكبير الذي أنشأه في الجانب الغربي من
جوانب الحرم . استنتج ذلك المستر ريشموند من البلاط القاشاني الثمين المصنوع من الخزف والمطلي
بالميناء والذي رآه في استانبول ، وفي (يشيل تربة) بيورصة ، وفي القدس ؛ والذي يشبه بعضه
بعضاً الى حد كبير .

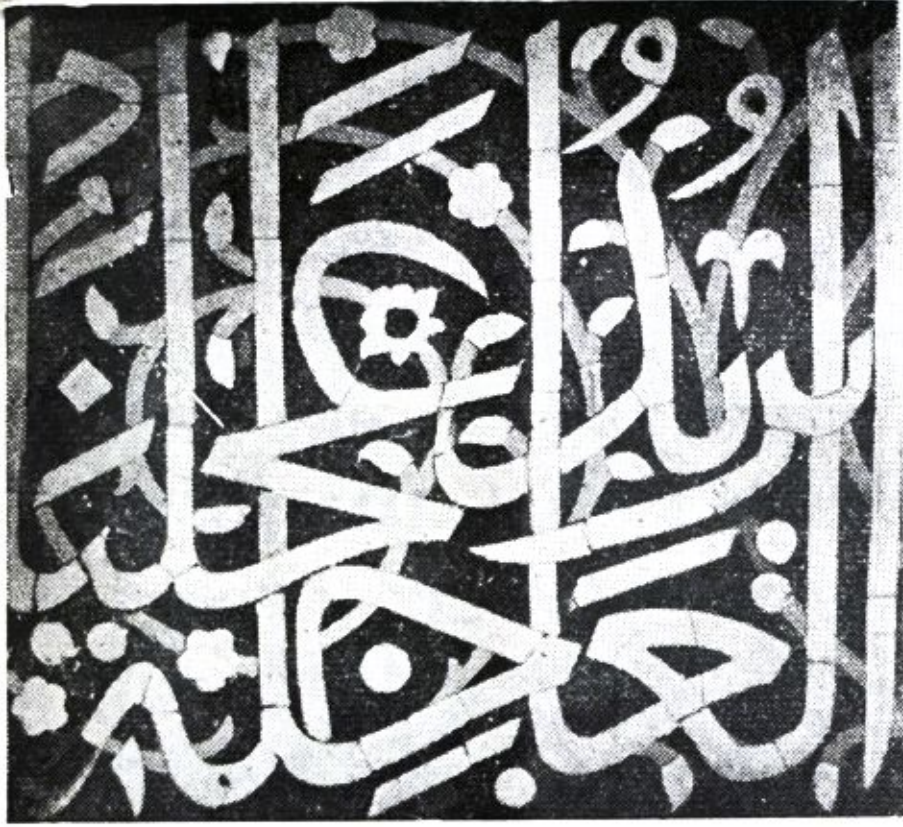
ومها كان الامر فإن القاشاني كان في بادىء الامر يصنع في قاشان . وحوالي سنة ١٥٩٠ م
بدأ الصناع يصنعون مثله في القدس . فقد جيء عامئذ بصناع ماهرين من بلاد ايران ، وصنعوه
في القدس . ثم استخدموا في صنعه عمالاً من الشام ومن فلسطين .

هناك دلائل قوية تدل على أن القاشاني الذي استعمل في عمارة الحرم في القرن الثامن عشر ،
وفي أوائل القرن التاسع عشر ، صنع في داخل الحرم . وهناك آثار تدل على مواضع الافران . حق
أن الشيخ خليل الانصاري من مدنة الحرم ذكر أنه رأى بقايا هذه الافران عند الباب المعروف
بالباب الذهبي . وهدمت هذه حوالي سنة ١٨٧٢ م عندما عمر السلطان عبدالعزيز مسجد الصخرة .
وراح القاشاني بعد ذلك التاريخ يستورد من الخارج . دليلنا على ذلك الترميمات التي تمت سنة
١٨٧٤ م . فقد جيء بالقاشاني لها من الخارج . وقد قلدوا به القاشاني القديم . فعلوا ذلك ليستبدلوا
القاشاني الذي كان في واجهات الجدران الخارجية من الناحيتين الغربية والقبليّة الغربية ، لا سيما
الجزء الواقع فوق عتبات النوافذ . وقد سقط جانب كبير منه بفعل الرياح والامطار . وما تبقى
قلعوه ، واستبدلوه ببلاط من القاشاني الجديد ، صنع في القسطنطينية خصيصاً لهذه الغاية . وأما
القديم فإنه من صنع القرن السادس عشر .

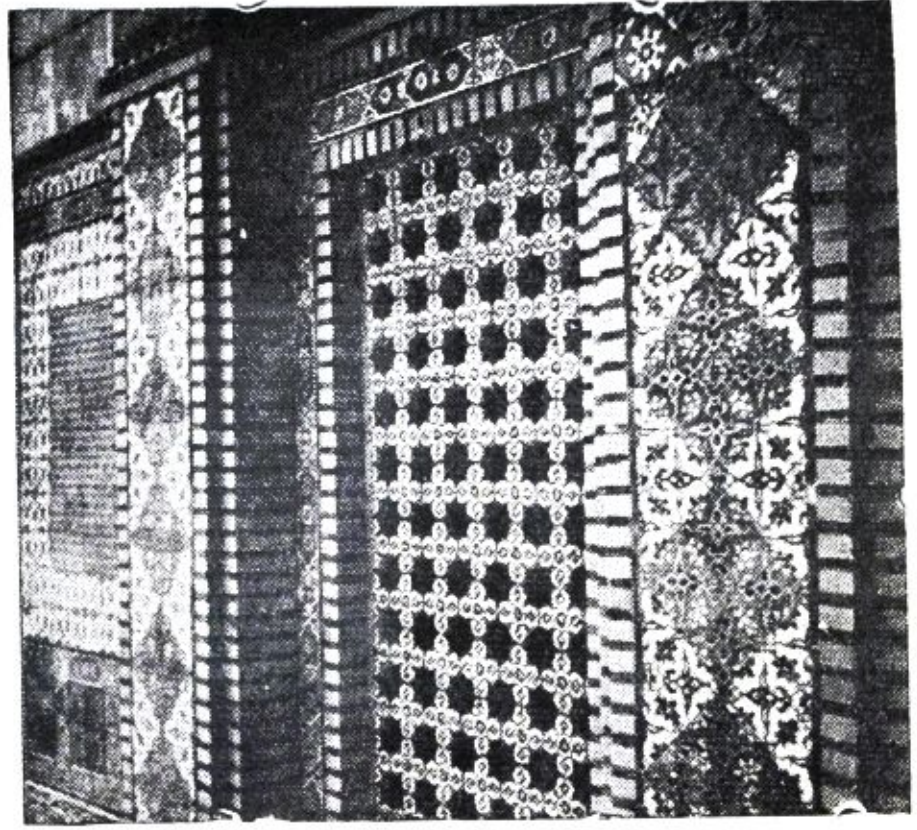
والقاشاني الذي نراه في مسجد الصخرة في يومنا هذا مختلف الاشكال والالوان (انظر الى
صوره المختلفة في الصفحة ١٣٢) . منه الحسن الذي لا مثيل له . والعادي الذي لا يؤبه له . ويقول المستر
ريشموند (٢) إن هذا البلاط يرجع الى ستة عهود :

(١) « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » ص ٣٧٦

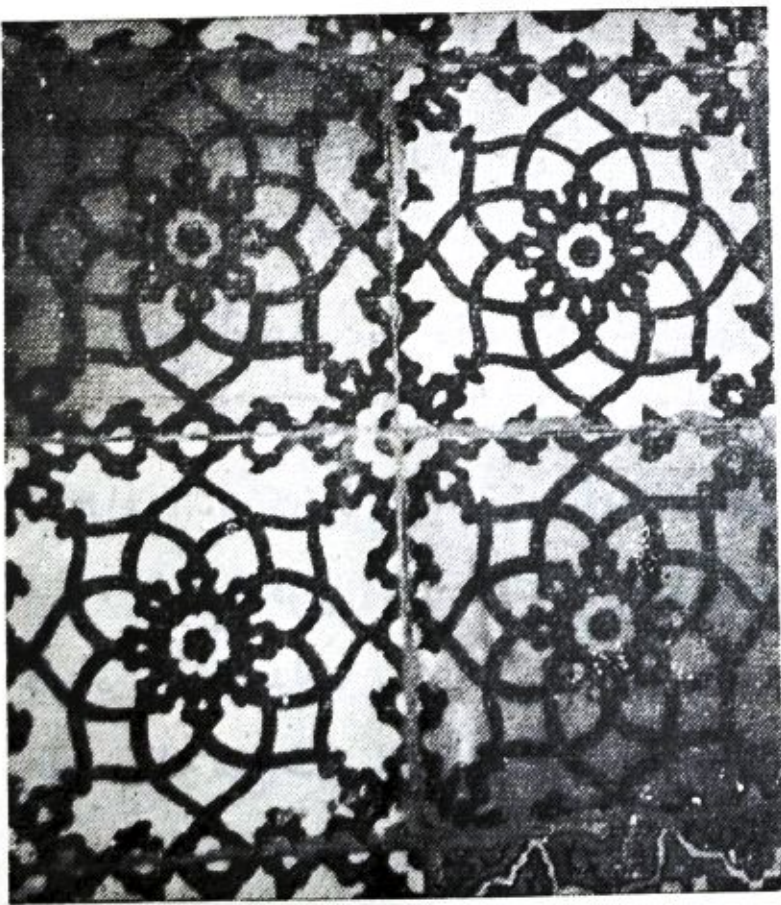
(٢) The Dome of the Rock , P . 24



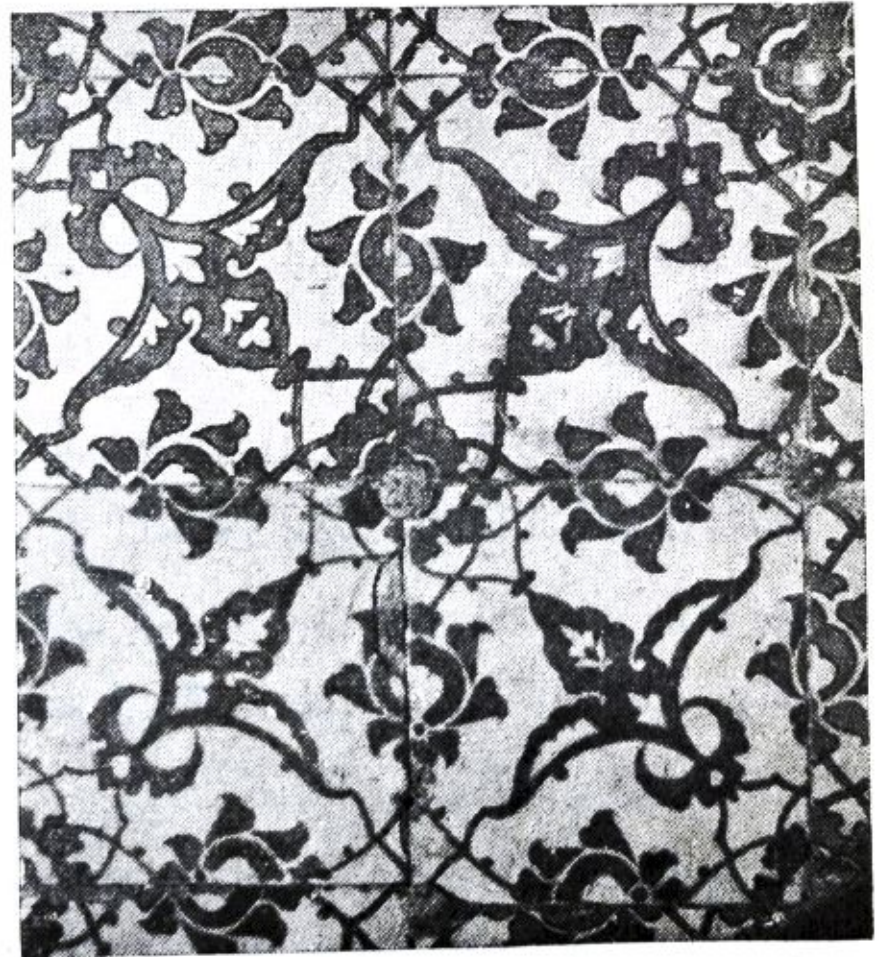
من كات يريد العاجلة : عجلنا له فيها



الشايك وترايع القاشاني



القاشاني : في رسم الزهر والنجوم



القاشاني : في رسم الزنبق والهندقوق

القاشاني بجدران مسجد الصخرة في مختلف صورته وأشكاله

منه ما صنع في أوائل القرن السادس عشر ، وهو مطلي بالمينا .
وفي أواسط القرن المذكور ، وهو ممزوج بالزجاج ، أو مقزز من النوع المعروف بالتفلة .
ومنه ما صنع في القرن السابع عشر . والثامن عشر . وأوائل القرن التاسع عشر .
وهناك بلاط قاشاني تم استيراده خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .
حتى البلاط المنسوب لكل عهد من هذه العهود ، فإنه ينقسم الى أنواع عديدة من حيث
اللون والشكل ومبلغ الاتقان .

وأقدم البلاط القاشاني نجده في المواضع التي لا تتعرض إلا قليلاً للرياح والأمطار . كما هي
الحال في الافريز الذي يفصل بين رقبة القبة والقبة نفسها . فإن هذا الافريز يقي البلاط الذي
يستر الرقبة ، خلافاً لما هي عليه الحال في جدران التثمينة من الخارج . فإن البلاط الذي يكسو
هذه الجدران معرض للتقلل والانحلال بفعل العواصف ومياه الأمطار التي تتسرب بينه وبين
الجدران سواء من السطح أو من بين الشقوق .

وهذا القاشاني القديم الذي صنع في أوائل القرن السادس عشر ، كان يطلى بالصباغ والقزاز
الممزوجين معاً : كالقاشاني الذي استعمل في كتابة (سورة الإسراء) حول رقبة القبة من الخارج ،
فانه من أقدم القاشاني الموجود في مسجد الصخرة . إنه من النوع المصنوع في أوائل القرن
السادس عشر .

وأما القاشاني الذي استعمل في كتابة (سورة يس) في أعلى التثمينة من الخارج ، فانه من
النوع المصنوع في أواسط القرن المذكور . وكان هذا النوع من القاشاني يطلى بنوع من انواع
الصباغ اولاً ، ثم بالقزاز . وهو أقل اتقاناً من القاشاني الذي استعمل في كتابة (سورة الإسراء) .
ومع ذلك فان هناك تشابهاً تاماً بين البلاطين من حيث الشكل والرسم واللون . وانا لنجد بلاط
النوع الثاني بكثرة فوق العقود التي يقوم عليها الرواقان الشمالي والقبلي ، وفي مواضع أخرى .

ولقد استعمل القاشاني من النوع الثاني (أي المصنوع في أواسط القرن السادس عشر) في
التاريخ الذي تم تثبيته فوق الباب الشمالي من ابواب مسجد الصخرة وعلى عهد السلطان سليمان
القانوني . ولقد ذكرنا ذلك عندما بحثنا التعميرات التي اجريت على عهد هذا السلطان بتاريخ ١٥٥٢م .

وانك لتجد هذا النوع من القاشاني أيضاً في الكلام المثبت تحت الجناح الغربي غـير النافذ
لواجهة القبلة . واليكه بحروفه :

« عمل الحاج نعمت الله خوقسندي ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م »

وكذلك قل عن القاشاني الموضوع في الواجهة القبليّة، وفي الرباط الأسفل من الجدار الحاجز؛
حيث تقرأ الكلمات التالية : —

لا اله الا الله — خليل بن محمد

لا اله الا الله — عثمان بن محمد

لا اله الا الله — محمد بن يوسف

لا اله الا الله — موسى بن حسن

لا اله الا الله — عثمان بن حسن

لا اله الا الله — عثمان بن حسين

ويفهم من هذا أن هؤلاء الصناع قد اشتركوا في العمارة الكبرى التي تمت في مسجد
الصخرة في اوائل القرن التاسع عشر . ومنها ايضاً الكلمات التالية : —

« لا اله الا الله . محمد رسول الله . الشفاعة يا محمد . حرره العبد الضعيف محمد درويش
١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م) . هذه الكلمات تقرأها على الواجهة الشمالية الغربية في الافريز الأوسط وفي
أعلى نقطة من جدار المسجد .

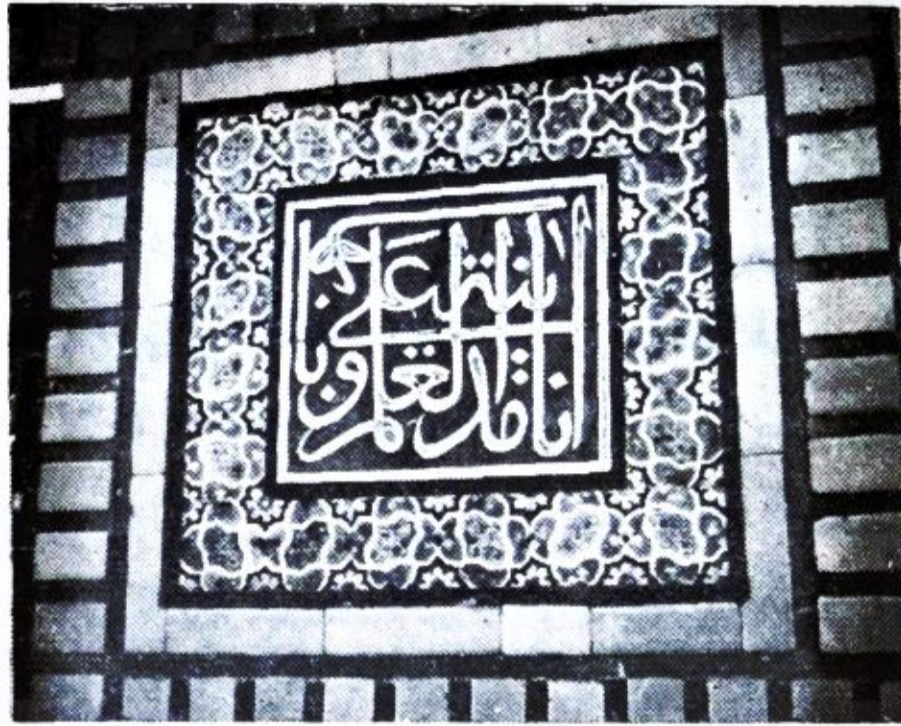
وكذلك قل عن الكلمات التالية : « قد اشتغل بنقش هذا القيشاني الفقير يوسف امين بن
مصطفى آغا^(١) المأمور ١٢٣٣ هـ . » انها منقوشة في الواجهة القبليّة الشرقية على افريز فوق
الدعامة الثانية من اليسار .

وهناك الكلمات التالية : (أنا مدينة العلم وعلي بابها) مثبتة بالقاشاني من النوع المتقدم ذكره ،
على افريزين يحيطان بـ (البسملة) فوق المدخل الشرقي (انظر الى الصورتين في الصفحة ١٣٥) .
ولقد استبدل قسم كبير من البلاط الصيني في الواجهتين الغربية والقبليّة الغربية في زمن
السلطان عبد العزيز عام ١٨٧٣ م . ذلك لأن هاتين الواجهتين معرضتان للرياح الشديدة . واستبدل
القاشاني القديم يومئذ بقاشاني جديد استورد من خارج البلاد .

ووجه الخطأ في هذا الاستبدال هو أن المسؤولين ، عندما كانوا يقومون بعملية الاستبدال ،
ما كانوا يأبهون كثيراً للقياس القديم . لا ، ولا الزخرفة القديمة . وهذا يجعل دراسة البلاط
الصيني (القاشاني) في مسجد الصخرة ، ومعرفة أي منه يرجع الى أي عصر من العصور ، من
الصعوبة بمكان . وهو ما يدعو للأسف . وعلى المسؤولين بعد اليوم أن يعنوا بصنع نوع من القاشاني
الجديد يشبه النوع القديم . هذا اذا ما ارادوا أن يحتفظوا بجمال المسجد وروعته من الناحيتين :
الأثرية والفنية .

(١) مصطفى آغا المذكور في هذه الفقرة هو اخو محمد درويش المذكور في الفقرة التي سبقت . وهما من آل
درويش المنتسبين الى الأسرة الحسينية بالقدس .





أنا مدينة العلم : وعلي بابها



« البسملة » مطبوخة بالقاشاني

وفي القدس اليوم مصنعان للقاشاني ، هما للأرمن . ويخشى أن تندثر هذه الصنعة من القدس ،
إذا مات القائمآن على هذين المصنعين ، ولم يعقبا من يقوم مقامهما .
الفسيفساء (١) :

عرف مسجد الصخرة الفسيفساء منذ اليوم الذي بناه فيه عبد الملك بن مروان . وانك لترى
أقدم فسيفساء وضعت في المسجد المذكور في القناطر التي تحمل السقف ، في الرواق الأوسط من
الداخل ، في الموضع الذي نقش فيه اسم عبد الملك ؛ تاريخها ٧٢ هـ - ٦٩١ م .
إنها في الحقيقة من أجمل الفسيفساء التي يراها الناظر في داخل المسجد . وهي مكونة من
قطع صغيرة من الزجاج في شكل مربع ، ممزوجة بنوع من الصدف المعروف بعرق اللؤلؤ .
واسم عبد الملك والتاريخ الذي بني فيه المسجد كتب بالحط الكوفي من النوع البسيط للغاية
وبأحرف ذهبية ، على أرض زرقاء طولها ٢٤٠ متراً .

هناك من يعتقد أن هذه الفسيفساء من صنع الفنانين الذين استحضروهم الوليد بن عبد الملك
من استانبول . ومن الناس من يعتقد أن الذين بنوا مسجد الصخرة استفادوا من الطراز المعماري
البيزنطي ومن الفسيفساء التي كانت في البلاد من بقايا الكنائس البيزنطية التي هدمها الفرس .
وهي تدل على القدرة التي وصل إليها هذا الفن في العهد البيزنطي وفي عهد الخلفاء الأولين
من بني أمية .

قال البلاذري في كتابه (فتوح البلدان) ٨٦٨ م : « ان الوليد كتب الى ملك الروم يخبره بما
ينوي ، وطلب منه ان يرسل اليه ما يستطيع ارساله من الفسيفساء ، ففعل . »
وقد ايد الطبري هذه الرواية بعد ذلك بنصف قرن ٩١٥ م .

وفي موضع آخر من كتابه ذكر البلاذري : « ان الوليد كتب الى عامله في المدينة عمر بن
عبد العزيز يأمره بهدم مسجد المدينة وبنائه من جديد . وقد ارسل اليه دراهم وفسيفساء ورخاماً .
كما ارسل اليه ثمانية فنانيين من الروم والأقباط من سكان سوريا ومصر . »

وهناك من يعتقد أنها (أي الفسيفساء) من أصل هيليني . وفي قول أنها فارسية الأصل .
فقد قال الباحثة الألمانية المعروف الأستاذ هرتسفيلد (٢) : « ان الفسيفساء التي في مسجد
الصخرة اصلها هيليني . »

(١) انها مادة مصنوعة من قطع الزجاج والحجارة الصغيرة ، مطبوخة معاً ، وممزوجة بشكل جميل براق ،
بألوان مختلفة . وتمزج في بعض الأحيان بالذهب والفضة . هذا ما قاله عنها الخليل في (كتاب العين) .
كتبه حوالي سنة ٧٩١ للميلاد .

(٢) Genesis der Islamischen Kunst In der Islam, Von Herzfeld (٢)
PP. 27-105, II. P. 235

وقال الأستاذ سترازيكوفسكي (١) : « انها فارسية الأصل » .
وأما الأستاذ كرزويل فقد قال في كتابه : (٢) « انها جمعت بين الدوقين : الدوق العربي
الاسلامي الشرقي والدوق الاغريقي الروماني الغربي » .

ولم يستطع الأستاذ كرزويل أن يجزم فيما إذا كان الفنانون الفرس قد اشتركوا في صنعها ،
وان قال أن العمال الذين اشتركوا في صنعها وتركيبها كانوا ينتمون الى أجناس وطبقات مختلفة .
بعضهم مساهرون ، والبعض الآخر غير ماهرين . ومع ذلك فان الدماغ الذي كان يسيطر عليهم
واحد . انه دماغ رجل قدير فنان : هو عبد الملك بن مروان

هذا ما تيسر لي جمعه عن الفسيفساء الأولى التي تم صنعها وتركيبها في مسجد الصخرة .
ويأتي من بعدها الفسيفساء الموجودة في رقبة القبة من الداخل ، وفي الموضع الذي ترى فيه
الكتابة التي نقشت في زمن الخليفة الفاطمي الظاهر لا عزاز دين الله ، وتاريخها ٤١٨ هـ ١٠٢٧ م .
فالظن الغالب أن هذه أيضاً يرجع عهدا الى عبد الملك ؛ ولكنها أعطبت مع الزمن ،
فاستبدلت بغيرها ، في بعض مواضعها في أوائل القرن الحادي عشر . ولم يبق من الفسيفساء
الأموية إلا قليل .

ويقول المؤرخون أن جدران مسجد الصخرة من الخارج كانت حتى أوائل القرن السادس
عشر عند الفتح العثماني ، مزينة بالفسيفساء . ولكن تلك الفسيفساء فقدت مع الزمن بتأثير
الرياح والأمطار وليس لدينا الآن عنها سوى بعض المعلومات التي قرأناها في كتب التاريخ . وكان
المؤرخون العرب يذكرونها كلما ذكروا الفسيفساء التي في داخل المسجد .

ذكرها العمري في القرن الرابع عشر فقال : « إن جدران الصخرة من الخارج كانت مستورة
بالرخام على ارتفاع قدره سبعة أذرع ، وما فوق ذلك حتى المزاريب كانت مستورا بالفسيفساء . »
وقال مجير الدين (٣) : « ان القسم العلوي لجدران المسجد من الخارج مغطى بالفسيفساء . »
اراد بومستارك Beaumstark ان يصور الفسيفساء ، إلا ان موظفي الحرم منعه ؛ وكان ذلك
سنة ١٩٠٦ للميلاد .

ومن الاوائل الذين سمح لهم بدخول الحرم المركزي دوفوغه Marquis de Vogué

(١) Felsendom und Aksa - mosche In der Islam, II. P. 79 Von Strzygowski

(٢) Early Muslim Architecture

(٣) (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) ص ٣٧١ تاريخ ١٤٩٦ م .

فقد وجه هذا إليها الانظار في كتابه Le Temple de Jérusalem. وكذلك فعل المستر كرزويل الذي أشار إلى هذه الفسيفساء اشارة تفصيلية في كتابه Early Muslim Architecture الجزء الأول ، الفصل الخامس . وفي هذا الكتاب بحث قيم عن الفسيفساء بقلم Margueritte Van Berchem باللغة الفرنسية ترجمه كرزويل الى اللغة الانكليزية .

ولقد أصيبت الفسيفساء التي في وسط القبة من الداخل بعطب عندما باشر العمال بوضع السقالات في داخل المسجد (عام ١٩٣٦ م) بقصد البحث عن الجزء المعطوب من البلاط المصنوع من الرخام الأبيض والمنقوش بالذهب ، وعن المسامير الحديدية التي يرتكز عليها هذا البلاط . فقد عهد المجلس الاسلامي يومئذ بهذه المهمة الى عمال تنقصهم الخبرة ، ولم يعن هؤلاء برفع السقالات من امكنتها بشيء من الدقة والحذر ، الامر الذي أدى الى سقوط جزء غير قليل من الفسيفساء الجميلة . وقد حدثني كبير السدنة ان هؤلاء العمال الجهلة تولوا رفع السقالات لقاء اجر قدره اثنا عشر جنياً ، وان ذلك قد تم بطريقة المناقصة !...

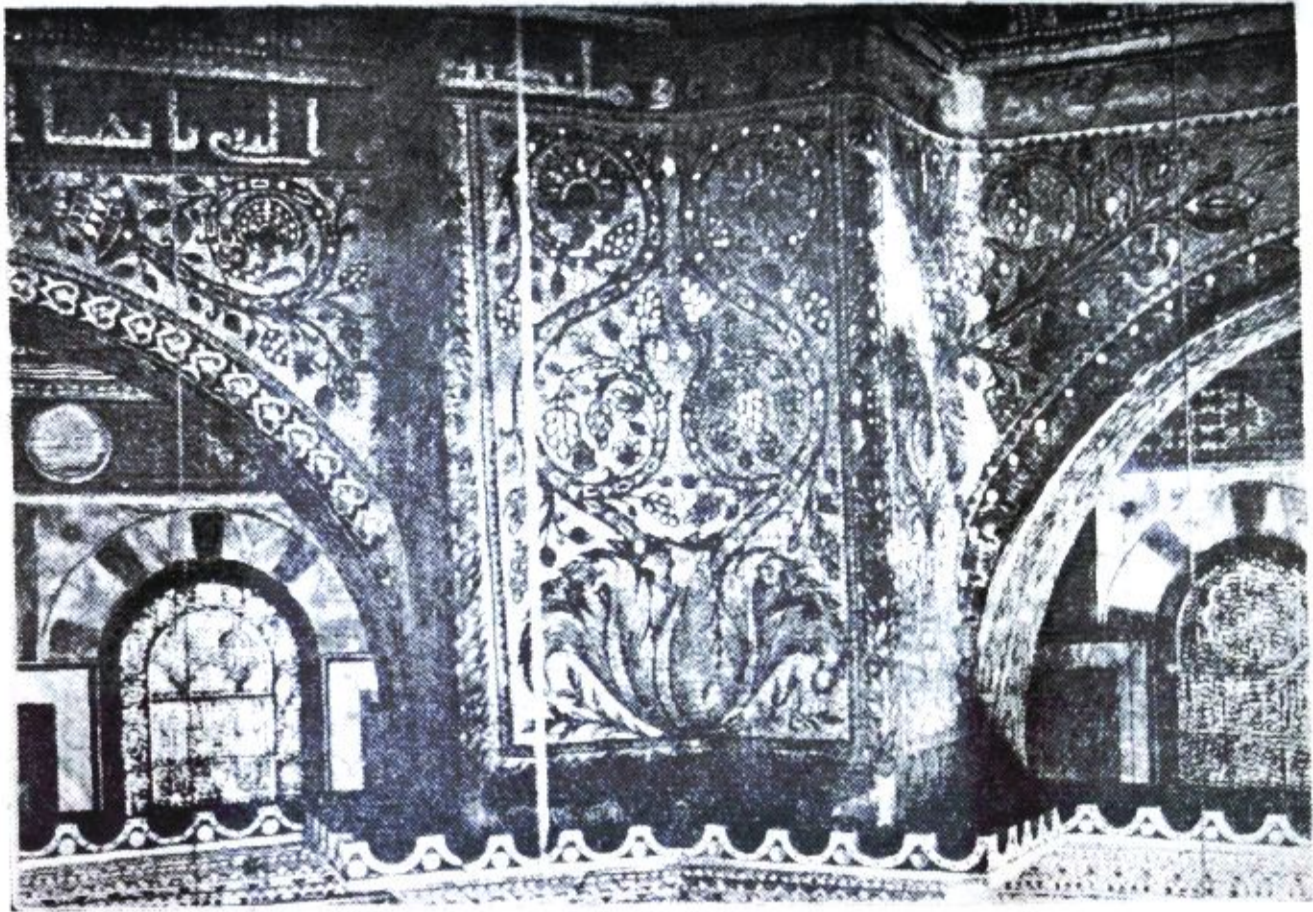
وفي سنة ١٩٤٢ ارسل وايت مور T. Whitemore الخبير العالمي في الفسيفساء ، وهو استاذ في جامعة شيكاغو ، الى استانبول ليدرس الفسيفساء الكائنة في جامع آيا صوفيا . وعندما عاد هذا الى القدس ورأى مسجد الصخرة ، قال لرجال المجلس الاسلامي الأعلى :

« ان زهاء ١٢ متراً من الفسيفساء الموجودة في قبة الصخرة من الداخل ليست فسيفساء حقيقية ؛ وانما هي طلاء اصطناعي قلده صانعوه الفسيفساء بالأشكال والألوان القريية من اشكال الفسيفساء القديمة وألوانها . »

وأضاف الى ذلك قوله : « إنه لا بد من منع الدلف ، قبل الاقدام على أية عملية يقصد منها إصلاح الفسيفساء الموجودة في المسجد . »

وتغطي الفسيفساء ، في يومنا هذا ، معظم جوانب المسجد من الداخل ، على مساحة قدرها الخبراء بالف متر أو يزيد . انها في الحقيقة أجمل ما في المسجد .

يبدأونها كلها ، القديم منها والجديد ، في حاجة لتقوية وتجديد ، إذ يخشى من سقوطها ، للوهن الذي اصابها مع الزمن . ولقد سقط جزء من هذه الفسيفساء في ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٢ م وكان ذلك في الجهة الشمالية الغربية للقبة من الداخل . وقدر أيتها بعيني . وتبلغ مساحة الجزء الذي سقطت فسيفساؤه حوالي المتر المربع . كما أن قشرة الفسيفساء المحيطة به وعلى بعد متر واحد من اطرافه قد انفصلت



الفسيفساء التي ألم بها الوهن

عن الحائط ، وباتت على وشك السقوط . فطلبت الحكومة الاردنية من الحكومة المصرية ان تزودها بالحجرين من مهندسيها . والى ان يحضر هؤلاء حفظت قطع الفسيفساء التي سقطت ، وألصق بالجزء الذي على وشك السقوط نوع من القماش ، عملا بنصيحة المهندسين الذين تولوا معالجة الحال بطلب من مراقب الاوقاف العام وهم : مهندس الحكومة خالد الخالدي ومهندس البلدية يوسف البديري ومفتش الآثار عوني الدجاني .

وجاء بعدئذ ثلاثة من المهندسين المصريين ففحصوا المبنى بوجه عام . ولقد ذكرنا ما قالوه عن الفسيفساء التي ألم بها الوهن في موضع آخر من هذا الكتاب .





مسجد الصخرة وفناؤه المرتفع عن أرض الحرم

فناء الصخرة^(١):

يقوم مسجد الصخرة في وسط بناء مربع الشكل، والبناء قائم على نشز مرتفع في وسط الحرم، ومفروش بالبلاط الأبيض؛ طوله أكثر من عرضه. مساحته من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً، ومن الشرق إلى الغرب مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع. وهو مرتفع اثني عشر قدماً عن أرض الحرم. يرقى إليه بمراق الواحدة منها تسمى (مرقاة)، ويسمى بها الناس (الدرج). وفي اعتقادي أن هذا الارتفاع غير طبيعي، وأن أرض الصخرة كانت فيما مضى منخفضة، وأن هذا المنخفض من الأرض الذي كان حول الصخرة أملى بالتراب، وأن كنت لا أستطيع الجزم في أي تاريخ وقع هذا الاملاء.

وفي أعلى كل مرقاة قنطرة قائمة على أعمدة من رخام، وهذه القناطر يسمونها: (موازين) لاعتقادهم بأن الميزان سوف ينصب هنا يوم الحساب! . . .

أن هذه القناطر وأن كانت كثيرة الشبه بمدخل المعابد الرومانية، إلا أنه لا صحة للقول القائل^(٢) أنها من صنع الرومان، أو أنها من صنع هيرودس الملك. ويؤكد الرحالة الفارسي

(١) (الفناء) بالكسر ساحة أمام البيت، ويسمى أيضاً (صحن الصخرة). وأما عامة الناس من سكان بيت المقدس فيسمونه (سطح الصخرة) و (سطوح الصخرة). واطلق عليه الرحالة الفارسي ناصر خسرو: (الدكان) وأما المقدسي فقال عنه: (الدكة).

(٢) (الرحلة الحجازية) لمحمد لبيب البقوني. ص ١٦٦. طبع مصر.

المعروف ناصر خسرو (١) أنها من صنع الأمير منصور أنوشتكين الغوري أمير الجيوش وحاكم سوريا (٢) في زمن الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله (١٠٢٠ - ١٠٣٥ م). قال خسرو ، عندما ذكر المراقى المؤدية الى صحن الصخرة، انه (اي الامير منصور انوشتكين) هو الذي أنشأ هذه الطرق والمراقى ، وانه صرف على انشائها مائة الف دينار ، وكانت الأعمدة والأقواس على عهده منقوشة بالذهب والميناء . ومما قاله هذا الرحالة ان عدد المراقى كان يومئذ ستة : اثنتان في الناحية القبليّة ، واثنتان في الناحية الغربيّة ، وواحدة في الشمال ، وواحدة في الشرق . وان المرقاة التي في الشمال تسمى (المقام الشامي) . والمرقاتان اللتان في جنوب الدكة : احدهما وهي التي من اليمين تسمى (مقام النبي) . ذلك لان النبي صعد على درجاتها الى الدكة في ليلة الاسراء . والاخرى التي من اليسار يسمونها (مقام الغوري) . وقد كتب على ظهر الطاقة بخط جميل مذهب هذه الكلمات : « امر به الامير ليث الدولة أنوشتكين الغوري . » ويبدو ان عدد هذه القناطر قد ازداد مع الزمن ، فبلغ في يومنا هذا (١٩٥٨) ثمانية . وأن بعض القناطر القديمة اعيد بناؤها من قبل السلاطين المتأخرين . وكانت هذه حتى زمن قريب (اواخر القرن التاسع عشر) مزينة بالبلاط الصيني (القاشاني) . ويظهر ان جزءاً من هذا البلاط قد سقط بسبب تقادم العهد ، وان جزءاً آخر منه قد سرق بواسطة بعض الحكام والموظفين الذين لا خلاق لهم ، وكان هؤلاء يهدونه الى اصدقائهم من الفرنجة ، او يبيعونه الى تجار الآثار القديمة . وإليك وصف هذه القناطر كما رأيتها عام ١٩٥٨ م : -

(١) أما (القنطرة الشماليّة الى الشرق) وهي التي تواجه مئذنة باب الاسباط ، فقد أنشئت سنة ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م . وعليها ثلاث بلاطات نقشت على إحداها هذه الكلمات : - « بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . تكمل بلاط الحرم الشريف ، وأنشئت هذه القناطر في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون . وذلك في ثاني ربيع الأول سنة ست وعشرين وسبع مائة هـ - ١٣٢٥ م » وعلى البلاطة الثانية : - « وكان فراغ هذا البلاط المبارك والقناطر المباركة » . وعلى الثالثة : - « بنظر العبد الفقير الى الله تعالى أيديمر الشجاعى الملىكى الناصرى ناظر الحرمين الشريفين عفا الله عنه . » ومن هذا يفهم أن البلاط المفروش في فناء الصخرة تم فرشها هناك في زمن الملك الناصر محمد قلاون . هذا هو الصحيح . ولسنا ندري مبلغ الرواية القائلة أن الذي تولى فرشها هو الأمير علاء الدين آيدوغدى بن عبد الله الصالحى النجمى ، نائب القدس في أيام الملك الناصر محمد قلاون ، وان ذلك قد تم سنة ٦٩٣ هـ - ١٢٩٣ م .

(١) (سفرنامه) ص ٣١ - ٣٢

(٢) حكم انوشتكين الغوري سوريا من سنة ١٠٢٨ الى سنة ١٠٤١ م .

(٢) وأما (القنطرة الشمالية الغربية) فقد كتب عليها (١) بالنسخ المملوكي الكلمات التالية :
« بسم الله الرحمن الرحيم . أنشئت هذه القناطر المباركة في أيام مولانا السلطان الملك العادل
محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون رحمه الله في جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين
وسبعمائة هـ - ١٣٢١ م .

(٣) وأما (القنطرة الغربية الى الشمال) التي ينزل منها بدرج الى باب الناظر فمكتوب عليها
هذه الكلمات : — « أمر بتجديد هذا الميزان المبارك سيدنا ومولانا السلطان الأعظم والحقان
المكرم مالك رقاب الأم سلطان الروم والعرب والعجم . . . » والمعتقد أن ذلك جرى بين ٩٢٦
و ٩٧٤ هـ في زمن السلطان سليمان القانوني . أي أنه هو الذي جدها . وأما الذي أنشأها فهو
الملك الأشرف شعبان . وكان ذلك سنة ٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م .

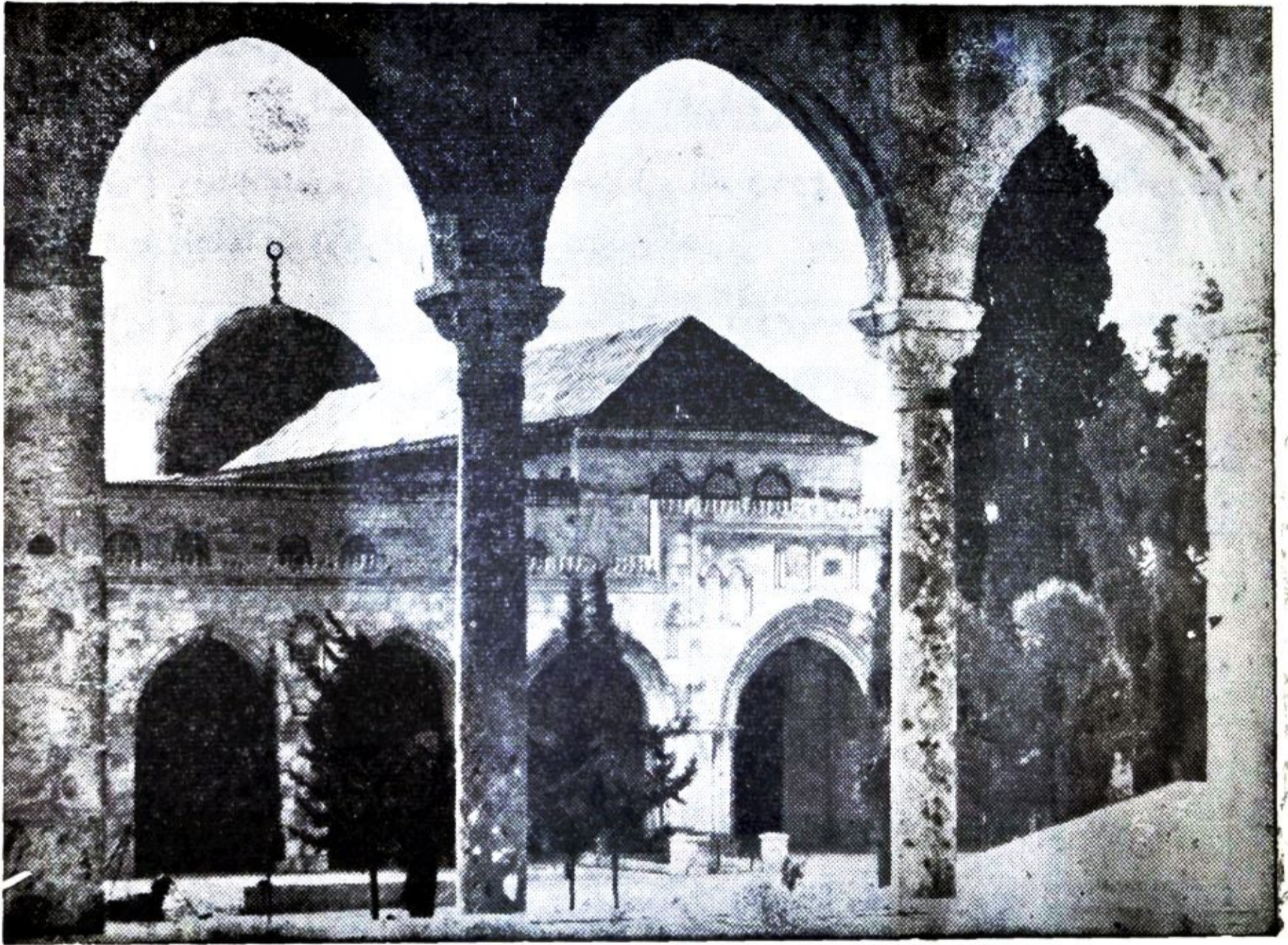


(٤) وأما (القنطرة
الغربية الى الجنوب)
الواقعة تجاه باب السلسلة
فمكتوب عليها هذه الكلمات :
« بسم الله الرحمن الرحيم .
عمرت هذه الدرجة المباركة
في أيام مولانا الملك الأشرف
أبو النصر قايتباي أيده الله
بنصره . وذلك بنظر الابد
الفقير الى الله تعالى محمد ناظر
الحرمين الشريفين غفر الله له
بتاريخ شهر جمادى الأولى
سنة سبع وسبعين وثمان مئة .
وصلى الله على محمد . ١٤٧٢ م .
وقد جاء في (الانس
الجليل) أن الذي عمر الدرج
الموصل الى صحن الصخرة

القنطرة الغربية إلى الشمال

Matériaux pur un Corpus Inscriptionum Arabicarum, par Max Van (١)
Berchem

دليله ان رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص
في حوضها وبها رصفها بالرخام والفسيفساء والفسيفساء على وجه الخصوص



القنطرة القبليّة الى الشرق

تجاه باب السلسلة هو الأمير ناصر الدين بن محمد النشاشيبي الذي تولى نظارة الحرمين في القدس والحليل سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م . وكان هنالك قبلا ، على قول مجير الدين ، درج ضيق عليه قبو مقصور . وكان يسمى زقاق البوس ، فسده . وبني فوقه الدرج المتقدم ذكره . وعمل له قناطر على عمد كبقية درج الصخرة . وقد تم ذلك في سنة ٨٧٧ هـ - ١٤٧٢ م

(٥) وأما (القنطرة التي في جنوب الصحن الى الغرب) تجاه المسجد الأقصى ؛ فاننا لانعلم بالضبط متى أنشئت ، وإن كنا نميل الى الظن أن الذي أنشأها هو الأمير منصور أنوشتكين الغوري . وكان ذلك في زمن الظاهر لإعزاز دين الله (١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) . وانها مع الزمن تهدمت . فجدد بناؤها في زمن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٩٣ م) .

(٦) وأما (القنطرة التي في جنوب الصحن الى الشرق) وهي التي كانت تسمى (مقام الغوري) فان الذي أنشأها هو الأمير ليث الدولة انوشتكين الغوري .

(٧) وهناك قنطرة غربي مسجد الصخرة بالتمام ، وعلى بعد عشرين متراً من المسجد فوق الدرج الموصل الى باب المتوضأ . لانعرف بالضبط من الذي بناها ؟ ومتى ؟ .

(٨) وأما القنطرة الشرقية ؛ فاننا نميل الى الاعتقاد انها من صنع الامير منصور انوشتكين الغوري (١٠٢٠ - ١٠٣٠ م) . وقد جدد المجلس الاسلامي الاعلى بناء هذه القنطرة عندما انشأ الدرجات القائمة امامها . وكان ذلك حوالي عام ١٩٤٥ م .

(٩) وهناك درج ضيق شرقي صحن الصخرة وتجاه باب (توماتوما) . ليست له قنطرة . عرضه متر وعشرة سانتيمترات . وعدد درجاته ١٩ . ولكنه غير مستعمل .

قياس درج الصخرة :

الآن ، وقد ذكرنا شيئاً مما نعرفه عن تاريخ هذه القناطر المعروفة بالموازين ، نرى من الفائدة ان ننقل فيما يلي اقيستها وعدد الدرجات المؤدية الى كل واحدة منها ، وما الى ذلك من ارقام ، فنقول :



قياس المراقبي ه الدرج « المؤدية الى فناء الصخره

| رقم | الموقع | عرض الدرج بالتر | عرض الميزان بالتر | عدد الدرجات | طول الدرجة بالتر | ارتفاع الدرج بالتر | سوية سطح الصخره النسبي بالتر | ملحوظات |
|-----|-----------------------------|-----------------|-------------------|-------------|------------------|--------------------|------------------------------|-------------------------|
| ١ | المنطرة الشمالية الى الشرق | ١٠٥٥٠ | ٩٤٥ | ٨ | ٥١٠ | ١٦٠ | ٠٠٨ | جاء باب حطة م١٣٢٥ |
| ٢ | المنطرة الشمالية الى الغرب | ١٢٣٥ | ٩٨٠ | ٦ | ٥٩٠ | ١٤٨ | صفر | جاء باب فيصل م١٣٢١ |
| ٣ | المنطرة الغربية الى الشمال | ١٦٣٥ | ١٣٨٠ | ٢٤ | ٢١١٦ | ٤٧٧ | ٠١٨ | جاء باب الناظر م١٣٧٦ |
| ٤ | المنطرة الغربية الى الجنوب | ٩٦٥ | ٩١٥ | ٢٤ | ١١٠٢ | ٤٦ | ٠٣٢ | جاء باب السلسلة م١٤٧٢ |
| ٥ | المنطرة الجنوبية الى الغرب | ١٤٦٥ | ١٤٤٠ | ٢٠ | ١٣٤٢ | ٣٠ | ٠١٨ | جاء المسجد الاقصى م١٠٢٠ |
| ٦ | المنطرة الجنوبية الى الشرق | ١٠٤٠ | ٩٣٠ | ١٣ | ١٢٣٨ | ٧٨ | ٠٣٠ | جاء جبل الزيتون م١٠٢٠ |
| ٧ | المنطرة الغربية في الوسط | ١٣٧٠ | ١٣٧٠ | ٢٥ | ٢١٥٥ | ٧٢ | ٠٠٤ | جاء باب المتوضأ |
| ٨ | المنطرة الشرقية | ١٨٦٧ | ١٨٦٧ | ٢٥ | ١٣٤٤ | ٥٦ | ٠٣٨ | جاء قبة السلسلة م١٩٤٥ |
| ٩ | الدرج المقابل باب توما توما | ١١٠ | — | ١٩ | ٧٣٥ | ٦٠ | ٠٣٨ | جاء باب توما توما |

المزولاته (١) :

هناك في فناء الصخرة مزولتان ، رسمتا لمعرفة زوال الشمس : احدهما رسمها مفتي الشوافعة الشيخ محمد طاهر ابو السعود (٢) على جدار مسجد الصخرة من الناحية القبليية الى الغرب . وهي غربية . والثانية زوالية ، تراها على واجهة القنطرة الجنوبية الى الغرب تجاه المسجد الاقصى ؛ رسمها مهندس المجلس الاسلامي الاعلى السيد رشدي الامام (٣) .

غرف السرة :

هناك ، على أطراف صحن الصخرة من جهاته الأربع ، غرف بنيت خلال القرن التاسع عشر . وهي مخصصة لسدنة الحرم وخدامه من عائلات بيت المقدس . نذكر منها : الغرفة التي في الناحية الشرقية وهي لآل يونس . والغرفة التي في الناحية القبليية وهي المعروفة بالنعوية فانها لعبد القادر ابي السعود . والغرف التي في شمال الصحن : واحدة لآل يونس ، واخرى للشيخ موسى البديري ، وثالثة للشيخ حسام الدين جار الله ، ورابعة لآل النقيب ، وخامسة للشيخ محمد داود الأنصاري ، وسادسة للشيخ علي نور الخطيب ، وسابعة اتخذت مركزاً لحراس الحرم من رجال الأمن ، وثامنة للشيخ امين الأنصاري ، وتاسعة للشيخ علي الخطيب ، وعاشرة لآل الفتياي .

وأما الغرف الغربية فانها للشيخ علي العوري ، والشيخ يوسف الأمام ، والشيخ فائق حسن الأنصاري ، والشيخ طاهر ابي السعود ، والشيخ خليل عبد الله الأنصاري وغيرهم .

(١) (المزولة) آلة يعرف بها زوال الشمس اي وقت الظهر من الظل ، وهي المعروفة بالساعة الشمسية .

(٢) محمد طاهر بن عبد القادر بن رشيد بن مصطفى بن محمد ابي السعود بن تاج الدين بن ابي السعود بن سليمان (ذكره المحبي) بن ابي الهدى بن داود بن محمد (ذكره السخاوي) بن عبد الرحمن بن سليمان ابن داود بن تاج الدين (ذكر في شذرات الذهب) بن علي بن الجراح بن حسين بن محمد بن داود وزير المأمون . كان هذا (أي محمد طاهر ابو السعود) استاذي واستاذ الكثيرين من اترابي في المدرسة المأمونية من مدارس القدس . وقد علمنا اصول الدين واللغة العربية . ولد في ربيع الاول ١٢٧٢ هـ - ١٨٥٥ م وتوفي سنة ١٩٢٠ م وهو من رجالات القدس وعلمائها الاعلام . لاسيما في الفقه والحديث وفي علم الفلك .

(٣) ولد في القدس سنة ١٨٩٠ وتعلم الهندسة المعمارية في جامعة استانبول . واشترك في عمارة الحرم مع المهندس التركي كمال الدين . تلك العمارة التي تولاهها المجلس الاسلامي الاعلى بين سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٨ .

الباب الثالث

المسجد الاقصى المبارك

المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف
الذي بناه سيدنا داود عليه السلام وأتمه سيدنا سليمان عليه السلام
وقد كان من أعظم المساجد وأعقدها في العالمين



المسجد الأقصى المبارك

بني في سنة 970 هـ الموافق 1562 م
في عهد السلطان سليم الثاني
وقد كان من أعظم المساجد وأعقدها
في العالمين

المسجد الأقصى :

كان هذا الاسم : (المسجد الأقصى) يطلق فيما مضى على الحرم القدسي كله . وقد اقتبسهُ المسلمون من حادث الاسراء ، يوم اسرى بالنبي العربي الكريم الى هذه الديار . وفي ذلك نزلت الآية الكريمة (١) : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . » كان هذا في اوائل عهد النبي ، وقبل ان يفتح بيت المقدس على يد المسلمين . وكان النبي محمد (صلعم) في السنة الاولى بعد الهجرة يولي وجهه ، وهو يصلي في المدينة ، شطر القدس : معتبراً اياها : (بيت الله في أرضه) . ولما رأى من غدر اليهود ومكرهم ما رأى ، غير قبلته ؛ واستبدلها بالكعبة . وقد تم ذلك في السنة الثانية للهجرة . وفي ذلك نزلت الآيات الكريمة التالية : « والله المشرق والمغرب ، فاينما تولوا فثم وجه الله . . . » (٢)

« وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الدين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرؤوف رحيم . قد نرى قلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . . . » (٣)

هذا عن (المسجد الأقصى) في عهد الرسول . *بناء لآخر*

وأما في يومنا هذا فإن اسم (المسجد الأقصى) يطلق على المسجد القائم في الناحية القبليّة من الحرم (انظر الى الصورة في الصفحة ١٤٨) ، وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب . إن الذي بناه هو عبد الملك بن مروان . بناه سنة ٥٧٤ هـ - ٦٩٣ م .

هذا ما قاله أكثر المؤرخين . وأما المقدسي والسيوطي فيقولان أنه بناه سنة ٥٧٢ هـ - ٦٩١ م . ومنها كان التاريخ الذي بني فيه ، فإنه مما لا شك فيه أن عبد الملك بن مروان هو الذي بناه . وقد أيد هذا القول المقدسي (٩٨٥ م) في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) . وأيده في قوله هذا أكثر المؤرخين . ومن هؤلاء مشير الغرام (١٣٥١ م) ومجير الدين (١٤٩٦) (٤) . ونقل مجير الدين ما قاله مشير الغرام حرفاً بحرف ؛ مضيفاً إليه أن الحائط الشرقي سقط على عهد الوليد ، فعمره هذا من جديد .

(١) سورة الاسراء . الآية : ١

(٢) سورة البقرة . الآية : ١١٥

(٣) سورة البقرة . الآيتان : ١٤٣ ، ١٤٤

(٤) (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) ص ٢٤٨

ومن القائلين بهذا القول المؤرخ الاسكندري اوتيوخوس Eutychius الذي درس الموضوع قبل المقدسي بنصف قرن (٩٣٩ م). ومنهم ابن الاثير. وأما المستر هملتون مدير مصلحة الآثار بحكومة فلسطين (١٩٤٥ م) فقد قال في محاضرة القاها على وفود مؤتمر الآثار بلاد في العرب واستمعت اليها ان الذي بنى المسجد الأقصى هو الوليد بن عبد الملك ، وليس عبد الملك بن مروان .

واني ميال الى الاعتقاد بأن البناء قد شرع فيه زمن عبد الملك بن مروان (٧٤ هـ - ٦٩٣ م) وأنه تم في زمن ابنه الوليد^(١) (٨٦ هـ - ٧٠٥ م). ومن المؤرخين الذين يؤيدون هذا القول المستر كرزويل^(٢) الذي قال في اول الأمر ان الوليد هو الذي بنى المسجد الأقصى وليس عبد الملك. ثم عاد فقال: انه من المحتمل ان يكون الأمر كما قال H. J. Bell في مقاله عن Aphrodito Papyri المنشور في الصفحة ١١٦ من المجلد ٢٨ من مجلة الدراسات اليونانية The Journal of Hellenic Studies بان جزءاً من العمل في بناء المسجد الأقصى قد تم على يد الوليد .

ومهما كان الأمر فما لا شك فيه انه (اي الوليد) هو الذي غشى قبة الأقصى بالنحاس . وقد اخذه من كنيسة في بعلبك^(٣)

قال العمري في كتابه (التعريف)^(٤) أت الوليد أتى بالفسيفاء (أي الترابيع الزجاجية المطلية بالذهب) من القسطنطينية ليزين بها مساجد الشام ومكة والمدينة والقدس ؛ وإنه لم يبق منها (٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م) مع تقادم العهد سوى النذر اليسير في قبة الصخرة .

ويقول كرزويل أن العمري أخطأ في قوله أن هذه الفسيفاء استحضرها الوليد لمسجد الصخرة ، وكان يجب عليه أن يقول أنه أتى بها الى المسجد الأقصى الذي كان بينه .

وفي اعتقادي أن العمري لم يخطئ ، وأن الوليد أتى بالفسيفاء ليزين بها ما لم يتم تزيينه من مسجدي الصخرة والأقصى معاً .

هذا ما نعرفه عن المسجد الأقصى الثاني . وأما المسجد الأقصى الأول فهو الذي بناه عمر بن الخطاب . وقد ذكرنا لك في السطور التالية ما نعرف عنه .

(١) اشتهر الوليد بالبناء ، فهو الذي بنى المسجد الأموي بالشام . وهو الذي عمر ووسع عدداً كبيراً من المساجد في المدن التي افتتحها . وفي ايامه فتحت الاندلس والهند واتسع حكم العرب من الصين شرقاً الى المحيط الاطلسي غرباً ومن البحر الاسود شمالاً الى صعيد مصر جنوباً .

(٢) Early Muslim Architecture, P. 119 by K. A. C. Creswell

(٣) خطط الشام لمحمد كرد علي ص ٢٦٦

(٤) ج ٢ ص ١٨٥

هل المسجد الأقصى الحالي قائم في الموضع نفسه الذي بنى فيه عمر بن الخطاب مسجده ؟
اختلف المؤرخون في تعيين الوقت والموضع الذي بنى فيه عمر بن الخطاب مسجده . فقال بعضهم إنه بناه حوالي سنة ١٤ هـ - ٦٣٥ م (١) . وقال آخرون أنه بناه قبل وفاته بسنتين (أي ٢٢ هـ - ٦٤٢ م) . وأما أنا فأقول إنه بناه يوم فتح القدس سنة ١٥ هـ - ٦٣٦ م .
ولقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى في تعيين الموضع الذي كان عليه الحرم الحالي بين عام ٧٠ للميلاد وهو العام الذي احتل فيه تيطس القدس وعام ٦٣٦ وهو العام الذي فتحها فيه عمر بن الخطاب .

فقد قال المستر كرزويل K. A. C. Creswell في كتابه Early Muslim Architecture ج ١ ص ١١ ان احتلال تيطس لاورشليم عام ٧٠ للميلاد تميز بتخريب قدس الأقداس وتخریب المباني التي كانت قائمة في منطقة الهيكل والأسوار الضخمة التي بناها هيرودس حول تلك المنطقة . وفي عهد ادرينوس (١٣١ م) قام اليهود بثورة اوقد نارها بارقوخبا . ولما اطفئت تلك النار (١٣٥ م) نبى ادرينوس اليهود من اورشليم . وهدم ما كان أعيد بناؤه من الهيكل . وهدم المدينة كلها . وبنى بدلا منها مدينة أسماها (ايليا كاييتولينا) . وبقيت المنطقة التي كان يقوم عليها هيكل بني اسرائيل مهجورة . وظلت هذه مهجورة في العهد المسيحي حتى القرن السادس للميلاد .
وقال كرزويل إنه كان هناك في الموضع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى الآن ، مسجد بناه عمر ابن الخطاب ، وان ذلك المسجد كان من خشب . بيد أنه لم يستطع ان يجزم فيما اذا كان ذلك المسجد قد بني سنة ١٨ او سنة ٢٠ للهجرة .

وقال الأستاذ كليمان غانو Clermont Ganneau في كتابه Recueil d'archéologie Oriental II, P. 337 : « ان المسجد الذي بناه عمر كان في نفس الموضع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى في يومنا هذا . »

وقال J. N. Stepp انه كان يقوم في موضع شمال الصخرة .
وروى مجير الدين في الصفحة ٣٦٧ من كتابه (الأنس الجليل) عند وصفه المسجد الأقصى كما كان على عهده ما يلي : « وبداخل هذا الجامع في صدره من جهة الشرق مجمع معقود بالحجر والشيد به محراب . ويقال لهذا المجمع (جامع عمر) . وتسميته بجامع عمر لان هذا البناء من بقية بناء عمر الذي كان جعله عند الفتح . »

وقال مجير الدين في موضع آخر من كتابه (ص ٢٣٠) ما يلي : « وبظاهر الجامع من جهة الغرب في صحن المسجد مكان معقود يعرف بجامع المغاربة . والذي

يظهر أنه من بناء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما روي عن شداد أن عمر لما دخل المسجد الأقصى مضى الى مقدمه مما يلي الغرب ، فحشا في ثوبه من الزبل ، وحشونا معه في ثيابنا ، ومضى ومضينا معه حتى القيناه في الوادي الذي يقال له (وادي جهنم) . ثم عاد فعدنا بمثلها حتى صلينا فيه »

وهناك رواية أخرى تقول إن المسجد الذي بناه عمر يوم الفتح كان عند الصخرة التي نظفها بيده من الأوساخ ، حيث دفن الروم بقايا هيكل بني اسرائيل . وتتلخص هذه الرواية في أن الخليفة عمر أراد عندما فتح بيت المقدس ان يبني فيه مسجداً ، وأنه سأل البطريك صفرونيوس ، فدلّه هذا على موضع الصخرة ، وكانت منذ عهد الرومان قد تركت خراباً . وقد اتخذت مزبلة . وانه راح هو وصحبه يرفعون بأيديهم الزبل والتراب . ولما بانّت الصخرة ، ونظفت ؛ أمر عمر ببناء المسجد ، فبنى .

فان أول من قال ذلك هو اوتيوخوس (٩٣٩ م) . فقد قال هذا بصراحة ان المسيحيين لم يقوموا بأي بناء في منطقة الهيكل ، إذ كانوا يعتقدون انها منطقة لعنّها السيد المسيح (١) .

وقال البكري (١٠٩١ م) وابن حبيش (١١٨٨ م) إن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفة بعد أن رفع الزبالة التي كانت قد تراكت فوقها مع الزمن . وكذا قال المقرئ في خطه وجمال الدين أحمد (١٣٥١ م) في كتابه مثير الغرام . ونقل السيوطي (١٤٧٠ م) الرواية نفسها عن مثير الغرام .

وهناك من يقول (٢) إن أول من ذكر المسجد الذي بناه عمر هو المؤرخ البيزنطي ثيوفانوس (Theophanos) (٧٥١ - ٨١٨ م) . الذي قال إن الخليفة عمر بن الخطاب بدأ يبني في منطقة الهيكل مسجداً سنة ٢٢ هـ - ٦٤٣ م . الى أن قال (٣) :

« إنه في كل مرة كان يبني فيها المسجد لا يلبث أن ينهار ، الى أن اقترح اليهود هدم الصليب الذي على جبل الزيتون ، قائلين إنه لن تقوم للمسجد قائمة ، وسيظل معرضاً للانهار ، ما دام ذلك الصليب قائماً . وعندما قلع الصليب ، انتصب البناء ، ولم ينهدم . »
ولم نعثر في الكتب الأخرى على ما يؤيد هذه الرواية .

وقال ابن البطريق (٤) ان عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس قال لصفرونيوس أعطني موضعاً أبني فيه مسجداً . فأشار عليه ببناء المسجد عند الصخرة التي كلم الله يعقوب عليها . وهي في وسط الأرض . كانت هيكلًا لبني إسرائيل وقد أسموها قدس القدس . وكان اليهود يولون

(١) اقرأ ما ورد في هذا الصدد في انجيل متى (الاصحاح ٢٤ العدد ٢) وانجيل لوقا (الاصحاح ١٩ العدد ٤٤)

(٢) Palestine Under the Moslems, by Guy Le Strange. P. 91

(٣) Chronographia (Bonn 1839) Vol. I., P. 524.

(٤) اقرأ كتابه (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ويسمى (نظم الجوهر) ص ٢ - ١٧ .

وجوههم نحوها كما صلوا . واشترط صفرونيوس على الخليفة أن لا يبني في بيت المقدس مسجداً غير هذا المسجد . فكتب له سجلاً بذلك .

ومما قاله ابن البطريق أن موضع الصخرة وما حولها ، كان على عهد الروم وعندما بنت هيلانة أم قسطنطين كنيسة لها ، خراباً . وكانت قد اتخذت مزبلة . وما كان الروم يعظمونها كما كان بنو إسرائيل من قبلهم . إذ جاء في الأنجيل نقلاً عن السيد المسيح ما يلي :

« هوذا يترك لكم بيتكم خراباً . » ولهذا تركها النصارى ، ولم يبنيوا فيها كنيسة . وأخذ صفرونيوس بيد عمر بن الخطاب ، فأوقفه عند المزبلة . فأخذ عمر بطرف ثوبه فملاه تراباً . ورمى به في وادي جهنم . واقتفى المسلمون الحاضرون أثره . فراحوا يحملون التراب في حجورهم وفي الثياب والأتراس والزبايل والأجانبين حتى نقوا الموضع ونظفوه ، واستبان الصخرة . فقال قوم (بنى المسجد ونصير الصخرة في القبلة) . وقال عمر (لا ، بل بنى المسجد ونصير الصخرة في آخر المسجد) . فبنى عمر المسجد ، وصير الصخرة في آخر المسجد . ونقل الأب مرمرجي الدومينيكي رواية ابن البطريق هذه في الصفحة ٢٤٦ من كتابه (بلدانية فلسطين العربية) .

حدثني الحوري تاوفيطوس ادلي من الآباء البيض في دير الصلاحية للروم - الكاثوليك : « ان العلماء اجمعوا على ان كنيسة القديسة مريم الجديدة لم يشيدها الامبراطور يوستنيانوس في ساحة الحرم . ويختلف المؤرخون والاثريون في تعيين موقعها الاصلية مع العلم بان البعض ينكر انشاء هذه الكنيسة بالمرّة . »

وقال الاستاذ محمد الحضري استاذ تاريخ الامم الاسلامية في الجامعة المصرية (١) : « قال عمر للبتريك : ارني موضعاً ابني فيه مسجداً . فقال : على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب . فوجد عليها ردماً كثيراً . فشرع في ازالته . وتناوله بيده يرفعه في ثوبه . واقتدى به المسلمون كافة فزال لحينه . وأمر ببناء المسجد . »

ومن الذين قالوا هذا القول ريشارد هارتمان R. Hartmann . فقد قال هذا ان المسجد الذي بناه عمر كان غربي الصخرة ، او منها الى الجنوب الغربي (٢) .

يقول غاي لوسترينج (٣) ان البلاذري (٨٦٨ م) والطبري (٩١٥ م) وهما من المؤرخين المسلمين السابقين لم يذكر شيئاً عن المسجد الذي بناه عمر عند ذكرهما الفتح العمري . لا . ولا

(١) مجلة (المقطف) . المجلد ٦١ الصفحة ١٩٦ السنة ١٩٢٢ .
(٢) هذا مقاله في الصفحة ١٩٥ من مجلة اسمها : Deut schen Palästina Vereins وعنوان مقاله Geschichte der Aksa - Mosche Zu Jerusalem
(٣) Guy Le Strnge : Palestine Under the Moslems, P. 90

ذكر اليعقوبي (٨٧٤ م) وابن الفقيه (٩٠٣ م) شيئاً عن مسجد عمر عندما وصفا الحرم في أيامه الأولى .

وذكر ابو المعالي المشرف في الصفحة ٢٢ من مخطوطه (فضائل بيت المقدس والشام) ما يأتي :-
« لما قدم عمر رحمه الله تعالى لبيت المقدس عسكر في طورزيتا ، ثم انحدر فدخل من باب النبي عليه السلام . فلما استوى في المسجد نظر يمينا وشمالاً ، ثم قال : هذا والذي لا إله إلا هو مسجد سليمان بن داود عليه السلام الذي اخبرنا به رسول الله ﷺ انه اسرى اليه . ثم آتى غربي المسجد وقال : اتخذوا للمسلمين ها هنا مسجداً يصلون به . »

حتى السائح المعروف (اركولف) (١) الذي زار القدس سنة ٦٧٠ للميلاد ، ورأى ذلك المسجد فقال عنه انه مربع الشكل ، وانه مبني من الواح خشبية وجدوع أشجار ضخمة ، وانه يتسع لثلاثة آلاف شخص من المصلين ؛ فإنه لم يقل لنا اين كان ذلك المسجد بالضبط ؟ وان قال انه بجوار الحائط من الشرق .

هل كانت هناك ، في الموضع الذي بنى فيه المسجد الأقصى ، كنيسة ؟

اختلف المؤرخون في هذا الموضوع :

فمنهم من قال إنه كانت هناك كنيسة ، وإن تلك الكنيسة بناها الامبراطور جوستانيان (٥٤٣ م) في العهد البيزنطي ، وإنها كانت تدعى (كنيسة العذراء الجديدة) (٢) ، وإن المهندس الذي وضع تعمير هذه الكنيسة هو (تيودورس) .

ومنهم من جاوز هذا الى حد القول إن المسجد الأقصى هو نفسه الكنيسة إياها ، لا قدم ولا آخر . والقائلون بهذا القول كثيرون . نذكر منهم فليكس فابري (Felix Fabri) وهو أول من قاله . ثم فيلب داويرزا (Philip D'aversa) Z. D. P. V. I. P. 215 . ثم الدكتور ريشاردسوت (٣) . فادوارد هوغ (٤) . وادوارد روبنسون (٥) .

(١) انه اول من زار هذا الجزء من الشرق من سائهي الفرنجة بعد الفتح الاسلامي . وهو مطران هبط القدس بقصد الحج . وقص على اصدقائه عندما عاد الى بلاده ما رآه في البلاد المقدسة .
(٢) سميت كذلك للتفريق بينها وبين كنيسة بهذا الاسم ، بنيت قبل ذلك التاريخ ، وكانت عند كنيسة القيامة من الناحية الجنوبية الغربية .

(٣) Travels along the Mediterranean by Dr. R. Robinson. II. pp. 304-5.

(٤) Visit to Alexandria, Damascus and Jerusalem by E. Hogg. II. p. 289.

(٥) Biblical Researches by E. Robinson. I. pp. 438-41.

وهذا ما قاله أيضاً جورج ويليام^(١) . وبلكبورن^(٢) . ولوسترينج^(٣) . وشيك^(٤) .
ويقول غاي لوسترينج^(٥) ان من يزور الحرم القدسي يرى بقايا كنيسة جوستانيان في البناء
الكائن تحت الأرض عند الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى الحالي .

ويقول بروقويوس^(٦) ان تلك الكنيسة بنيت في عام ٥٦٠ للميلاد . وقد حرقها الفرس
في عام ٦١٤ للميلاد .

وقال هارتمان (ص ١٩٢) انه يميل الى الظن بأن جوستانيان بنى في موقع الأقصى الحالي
كنيسة Theotokoskirche وان هذه الكنيسة عند الفتح الاسلامي ظلت بيد المسيحيين ، وان
المسلمين استولوا على مكان الهيكل القديم الذي كان شمالي الكنيسة .

واما ابن البطريق فقد قال : ان الروم لم يعظموا الموضع الذي كان يقوم عليه هيكل بني
اسرائيل ، ولم يبنوا عليه كنيسة؛ لقول السيد المسيح في انجيله : « هوذا يترك لكم بيتكم خراباً . »
وقال ايضاً : « لا يبقى ها هنا حجر على حجر إلا يهدم ويخرب . » ولهذا ترك النصارى هذا
الموضع خراباً . ولم يبنوا عليه كنيسة^(٧) .

وقد ايد هذا القول كثيرون فقالوا انه لم يكن في الموضع الذي بنى المسجد الأقصى فيه
كنيسة . ومن هؤلاء :

طوبلر^(٨) . ورايس^(٩) . وغيلد مايستر^(١٠) .

وقال المستر كرزويل انه لم يكن في منطقة الهيكل عند الفتح العمري اي بناء^(١١) ، وان تلك

-
- (١) Holy City by G. Williams, p. 205.
(٢) A Hand-Book round Jerusalem, by Blackburn, p. 120
(٣) Palestine Under the Moslems, by Le Strange, p. 90.
(٤) Die Stiftshütte, by C. Schick, P. 219-26
(٥) Palestine Under the Moslems, p. 90.
(٦) Palestine Pilgrims' Text Society, by Procopius, p. 138.
(٧) اقرأ كتاب (بلدانية فلسطين العربية) للاب مرمرجي ص ٢٤٦
(٨) Topographie von Jerusalem 1853, by Tobler I. pp. 581-2.
(٩) Z. D. P. W. XI. pp. 204-7 1888 by Reiss.
(١٠) Die Arabischen Nachrichten Zür Geschichte der Harambauten
Z. D. P. W. XIII, p p.12-13, by Gildmeister.
(١١) Early Muslim Architecture, by K. A. C. Creswell. pp. 23-24

المنطقة كانت مهجورة بالمرّة . ولما درس كرزويل ما كتبه المؤرخان بروقوبيوس^(١) وسيريل اوسكنيوبولوس^(٢) وهما من المعاصرين للتاريخ الذي بنيت فيه الكنيسة ؛ استنتج ان الكنيسة كانت على السفح الشرقي لجبل صهيون ، فوق الأرض المرتفعة التي تؤلف جزءاً من الحي اليهودي والمطلة على وادي الترويين . ذلك لانها قالوا ان الكنيسة بنيت فوق اعلى هضبة من هضاب القدس ، وان البنائين اضطروا لان ينوا مبان ارضية جسيمة من الناحية الشرقية ، ليتمكنوا من تمهيد الأرض التي اقيمت عليها الكنيسة . والمعروف ان جبل صهيون اعلى من جبل موريا الذي يقوم عليه المسجد الأقصى . وقالوا ايضاً ان الكنيسة تمتد من الغرب الى الشرق ، مع ان المسجد الأقصى ممتد من الجنوب الى الشمال . ويقول كرزويل ان كليرمانت غانو ايضاً انتهى الى هذا الاستنتاج عام ١٨٩٨ للميلاد^(٣) . وكذلك فعل العالم الافرنسي المشهور بيرفانسان^(٤) الذي عثر في الموضع المذكور على آثار المباني الأرضية المتقدم ذكرها .

واما المؤرخ جيمس فرغسون^(٥) فانه يقول : ان المسجد الأقصى ليس بكنيسة جوستانيان . ولا صحة للقول القائل إنه بني في الموضع الذي كانت تقوم عليه الكنيسة . فلا القناطر ولا العقود التي تحمل الأقصى ؛ لا ولا الأعمدة والتيجان التي فوق الأعمدة من النوع الذي كان معروفاً على عهد جوستانيان . وبناء المسجد نفسه لا يشبه اية كنيسة من الكنائس التي بنيت في ذلك العهد . ولم يكن لاية كنيسة من الكنائس التي بنيت في تلك العهود قبة كقبة المسجد الأقصى . اضف الى ذلك انه لا يعقل ان يبني جوستانيان كنيسة في وسط المكان الذي كان يقوم عليه هيكل سليمان ، وهو الرجل الذي اشتهر بالزهد والتقوى .

وقال اوتيخيوس :^(٦) « ان النصارى لم يبنيوا اية كنيسة في منطقة الهيكل بسبب غضب السيد المسيح على تلك المنطقة ودعائه عليها بالخراب . » ولم يذكر التاريخ ان المسلمين سلبوا النصارى اية كنيسة من كنائسهم اثناء الفتح الاسلامي . ولو فعلوا ذلك لاقام المؤرخون المسيحيون الضجيج ، وانتقدوا اعمال المسلمين . ولكن العهدة العمرية التي اعطاها عمر بن الخطاب الى نصارى ايلياء تشهد بعكس ذلك .

De Aedificiis, by Procopius Vol. 6. (١)

Sabae Vita, by Cyril Scythopolos III. p. 343. (٢)

Recueil d'archéologie Oriental Par Clermont — Ganneaux, II, (٣)

p. 150 III pp. 55 — 57

Jerusalem Par H. Vincent et F. M. Abel. II. pp. 913—19 (٤)

An Essay on the Ancient Topography of Jerusalem, by James (٥)

Fergusson, p. 118

Eutychius Annals Vol. II. p. 289. ٢٤٦ ص (٦) (بلدانية فلسطين العربية) للاب مرمرجي الدومينيكي

المسجد الأقصى في عهد بني أمية :

كان المسجد ، في اوائل عهده الاموي ، اوسع مما هو عليه الآن من الناحية الشرقية ، واضيق من الناحية الشمالية . وكانت أرضه مرصوفة بالرخام . وكانت هذه (اي ارض المسجد) اقل انخفاضاً من ارضه الحالية بنحو ثمانين سائمتراً . وانك لترى في الرواق الكائن شرقي القبة بعض الاعمدة التي ترجع بالعهد الى العصر الاموي .

جاء في مشير الغرام عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده ان ابواب المسجد كلها كانت في خلافة عبد الملك بن مروان ملبسة بصفائح الذهب والفضة . وقصارى القول ان هندسة المسجد الاقصى مقتبسة من الطراز المعماري البيزنطي واليوناني السوري والعربي الاسلامي .

لم يبق المسجد الأقصى على حاله القديم . بل طرأت عليه مع الزمن تغييرات كثيرة بسبب الزلازل والعواصف والأمطار . ففي أواخر الحكم الأموي حدث زلزال (١٣٠ هـ - ٧٤٦ م) (١) سقط بسببه شرقي المسجد وغربيه .

المسجد الأقصى في زمن العباسيين :

لما قدم أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين أمر بقلع الصفائح الذهبية والفضة التي كانت على الأبواب . فضربت دنانير ودراهم . وانفقت عليه حتى فرغت (١٥٤ هـ - ٧٧١ م) (٢) . هذا هو المسجد الثالث الذي بناه المنصور .

وقد حدث زلزال آخر سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م فوق البناء الذي أمر به المنصور . وقيل أن الجزء الأعظم من المسجد هدم يومئذ ، خلا القسم الذي حول المحراب .

ولما قدم المهدي (٣) من بعده كان المسجد خراباً . فأمر بينائه ، قائلاً :

« رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال . انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه . » فتم

البناء في خلافته (١٦٣ هـ - ٧٨٠ م) .

كان القدسي (٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) أول من وصف كيف كان المسجد الأقصى في اوائل عهده . كان ذلك في عهد الخليفة الفاطمي المعروف بـ (العزيز) . وفيما يلي ملخص ما قاله عن المسجد :

(١) ذكر هذا الزلزال مؤلف مشير الغرام (١٣٥١ م) والسيوطي (١٤٧٠ م) ومجير الدين (١٤٩٦ م) .

(٢) هذا ما قاله الطبري (ج ٣ ص ٣٧٢) وابن الأثير (ج ٥ ص ٤٦٧) . وأما المسعودي فيقول أن المنصور زار القدس في سنة ١٤١ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الملقب بالمهدي ، ثالث الخلفاء العباسيين . وقد بويغ بالخلافة لست خلون من شهر ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ - ٧٧٤ م . زار القدس سنة ١٦٣ هـ - ٧٨٠ م .

« إنه قائم في الزاوية الجنوبية الشرقية لبيت المقدس . بناه عبد الملك بن مروان من حجارة نحتت نحتاً متقناً . ولكنها اصغر من الحجارة التي استعملها داود في بناء الأساس لسور الحرم . وانه لمسجد اجمل من مسجد دمشق . إذ أن المسلمين كانوا يبتغون أن يفوق بناؤه على بناء كنيسة القيامة للنصارى . »
الى أن قال (١) :

« جاءت زلزلة في دولة بني العباس فطوحت المغطى ، إلا ما حول المحراب . فلما بلغ الخليفة المهدي خبره قيل له : لا يفي برده الى ما كان بيت مال المسلمين ، فكتب الى أمراء الأطراف وسائر القواد أن يبني كل واحد منهم رواقاً . فبنوه اوثق وأغلق صناعة مما كان . وبقيت تلك القطعة شامة فيه . وهي الى حد اعمدة الرخام . »

وقد وصف المقدسي تخطيط المسجد أيام المهدي . فقال (٢) ما ملخصه : انه كان يتكون من رواق اوسط كبير يقوم على أعمدة من رخام ويمتد من الشمال الى الجنوب ، يغطيه جملون عظيم ، وينتهي من الجنوب بقبة عظيمة . وتكتنف الرواق الأوسط من كل من جانبيه سبعة اروقة موازية له واكل ارتفاعاً منه ، محمولة عقودها جميعاً على اعمدة اسطوانية ، ويتوسط الواجهة الشمالية باب كبير كان يسمى (باب النحاس الأعظم) . ذلك لأنه مغطى بالنحاس المطلي بالذهب . ويؤدي هذا الباب الى الرواق الأوسط رأساً ، وعلى كل من يمينه ويساره سبعة ابواب يؤدي كل منها الى رواق من الأروقة الجانبية المتقدم ذكرها .

وفي شرق المسجد احد عشر باباً دون تزيين . ومعنى ذلك انه كان للمسجد يومئذ ستة وعشرون باباً ، والرواق الاوسط بناه — كما يقول المقدسي — عبد الله بن طاهر حاكم الشام وخراسان (٥٢٠٥ — ٨٢٠ م) . والسقوف كلها مستورة بالرصاص . هذا هو المسجد الرابع الذي بناه الخليفة المهدي .

المسجد الأقصى في العهد الفاطمي :

حدث زلزال آخر في ١٥ محرم سنة ٤٢٥ هـ (١٠ كانون الأول ١٠٣٣ م) تخرب المسجد الذي عمره المهدي خراباً ظاهراً . فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله في السنة التالية ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ م) مبقياً ما امكن ابقاؤه من البناء السابق . ولم يغير من تخطيطه العباسي سوى تضييقه من الشرق والغرب بحذف اربعة اروقة من كل جانب . فاصبح يكتنف الرواق الأوسط

(١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٦٨

(٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٦٩

بلدانية فلسطين العربية ص ٢٤٧ — ٢٤٨

الكبير ثلاثة اروقة فقط من كل جانب . عرض كل رواق ستة امتار ونصف المتر . والرواق الأوسط عرضه احد عشر متراً وثمانون سانتيمتراً ، والمعتقد ان القبة الحالية ، ورقبتها ، والأقواس التي في الرواق الأوسط ، والأروقة الواقعة الى الشرق والغرب من منطقة القبة ، والأبواب السبعة التي في شمال المسجد هي من صنع الظاهر لاعزاز دين الله . وتحتوي الفسيفساء الذهبية التي تحلي الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل القبة كتابة (١) بالخط الكوفي تشير الى ذلك التجديد ، هذا نصها : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي اسرى بعده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله . جدد عمارته مولانا على أبو الحسن الامام الظاهر لاعزاز دين الله امير المؤمنين ابن الحاكم بامر الله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائهم الاكرمين . على يد ابي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن (٢) اثنابه الله . تولى ذلك الشريف ابو القاسم بن ابي الحسن الحسين سنة ٥٢٧ اعانه الله . »

وصف نصري خسرو (٣) المسجد الاقصى (٤٣٩ هـ - ١٠٤٧ م) وصفاً ينطبق على ما جاء في وصف المقدسي الذي هبط القدس قبله بنصف قرن . ومما قاله : « انه كان فيه يومئذ مئذتان وثمانون عموداً على عشرين صف ، وكان مفروشاً بالسجاد الجميل . »

وكان هذا الرحالة الفارسي يسميه تارة (المسجد) وطوراً (مسجد الجمعة) نسبة لصلاة الجمعة التي لا تجوز في أيام الجمعة الا فيه . وقد سماه ايضاً (المقصورة) نسبة الى المكان الذي كان يحفظ للسلطان امام المحراب والمحاط بدرابزين من الخشب . وسماه ايضاً باللغة الفارسية (بوشيش Pushish) وهي الترجمة الحرفية لكلمة (المغطى) احد اسماء المسجد الاقصى .

ومما قاله نصري خسرو انه رأى اسم الخليفة (المأمون) منقوشاً على أحد ابواب المسجد من الشمال ؛ ذلك الباب المصنوع من النحاس ، والذي يخيل للناظر أنه من ذهب . وفي قول إن المأمون أرسل هذا الباب من بغداد .

(١) اكتشف المهندس التركي كمال الدين هذه الكتابة اثناء التعميرات التي جرت في المسجد الأقصى سنة ١٩٢٥ . اقرأ ما كتبناه عن تلك التعميرات في موضع آخر من هذا الكتاب .

(٢) يقول الاستاذ عمر الصالح البرغوثي ان هذا هو ، في اعتقاده ، اليازوري . لانه يتفق في الاسم والكنية . وعاش اليازوري في هذا التاريخ وكان قاضياً في الرملة .

(٣) انه ابو معين نصري بن خسرو . ولد بجوار (بلخ) سنة ٣٩٤ هـ - ١٠٠٣ م . ويقال انه من سلالة الامام علي الرضا المقام ضريحه في (مشهد) . زار القدس . ووصف المسجد الاقصى في مخطوط له باللغة الفارسية وقد سماه (سفرنامه) . اطلمت على نسخته المترجمة لغة الانكليزية في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس .

وفي سنة ٥٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م امر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله^(١) بتجديد الواجهة الشمالية .
وسجل هذا التجديد في كتابة كوفية حفرت بالحجر على الواجهة المذكورة للرواق الأوسط .
هذا نصها : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت ، واليه أنيب . امر بعمل هذا
الوجه مولانا وسيدنا معد ابى تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى سلفه
وخلفه . في نظر الامير الاجل الاعز علم الملك ناصر الدولة ذي الفضيلتين . وجرى ذلك على يد
الفاضل أبى الحسين عبد الرحمن بن الحسن بن علي الأنصاري المعروف بـ (الاجوف)^(٢) . سنة
ثمان وخمسين واربعمائة . »

وكان الادريسي (١١٥٤ م) دائماً يذكر المسجد الاقصى في القدس ومسجد قرطبة في الاندلس
معاً كاعظم الآثار الاسلامية في عصره . لا بل انه كان يعظم الاقصى اكثر من تعظيمه لمسجد
الجمعة في قرطبة .

ظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التي تمت في السنوات الأخيرة^(٣) .
مثلاً : العقود التي تحمل القبة . . والفسيفساء المذهبة التي ما زالت موجودة الى الآن . . والرواق
الأوسط باعمدته . . وما يعلوها . . وبعض الاعمدة والعقود في القسم الشرقي . . والمرجح ان
مساحة المسجد من الداخل أيام الظاهر هي نفس مساحته الحالية اي ٨٠ متراً طولاً و٥٥ متراً عرضاً .
وكان هناك في داخل المسجد وفي الناحية الشرقية من الشمال ، قبو كبير معقود يسمى
(النجارة)^(٤) . توضع فيه آلة المسجد . وفيه فوهة ثانية للبرء المعروفة بـ (برء الورقة) . هدمه
المجلس الاسلامي الأعلى عندما تولى تعمير الرواق الشرقي . وقد تم هدمه بحضور احمد محمود باشا
المهندس المصري . وكان ذلك في عام ١٩٤٠ م .

المسجد الاقصى في زمن الصليبيين :

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس (٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م) بقيادة غودفري دوبريون
استعملوا المسجد الاقصى لأغراضهم الأهلية والدينية والحربية . فآخذوا جانباً منه سكناً لفرسان الهيكل ،
والجانب الآخر مستودعاً لأسلحتهم . وكانوا يسمونه Palatium أو Templum Salomonis .

(١) اقرأ التقرير الذي كتبه الاستاذ محمد عبد الفتاح حلمي مفتش الآثار العربية بمصر ، وقد نشره المجلس
الاسلامي الاعلى في القدس سنة ١٩٤٥ .

(٢) لقب أبى الحسين . ومعناه - على ما جاء في القاموس المحيط - الاسد العظيم .

(٣) من مقال الأستاذ محمد عبد الفتاح حلمي مفتش الآثار العربية بمصر . نشر في العدد ٣٨ من مجلة (المنتدى) .

(٤) اقرأ ما كتبه عن هذا القبو الاب مرمرجي الدومينيكي في كتابه (بلدانية فلسطين العربية) . ص ٢٨٩

قال غاي لوسترينج (١) :

« إن الصليبيين غيروا معالم المسجد كثيراً . فاتخذوا جانباً منه كنيسة ، والجانب الآخر مسكناً لفرسان الهيكل . وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناءً جعلوه مستودعاً لذكائهم . »
وقال كرزويل (٢) : « انهم اضافوا الى المسجد الأقصى من ناحيته الغربية ، وعلى طول حائط الحرم القبلي ، صفاً مزدوجاً من القناطر المعقودة . وأن هذه القناطر هي التي اتخذوها مستودعاً لأسلحتهم . »

وأما السرايب التي تحت الأقصى (ويسمونها المقدسيون الأقصى القديمة) والتي كانت فيما مضى جزءاً من هيكل سليمان ، فقد اتخذها الصليبيون اسطبلًا لحيولهم .

قال ابن الأثير (٣) : « إن الداوية (٤) بنوا غربي الأقصى أبنية وسكنوها . وعملوا فيها ما يحتاجون إليه من هري (٥) ومستراح (٦) وغير ذلك . وأدخلوا بعض الأقصى في أبنيتهم . »

وقال الهروي : دخلت المسجد الأقصى في زمن الفرنج سنة تسع وستين وخمسمائة (٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م) . وقرأت في سقف قبته ما هذه صورته : - (بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . نصر من الله وفتح لعبده ووليه علي بن الحسن الامام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمل هذه القبة وأذهاها سيدنا العزيز الأجل صفي أمير المؤمنين وخالصة أبو القاسم علي بن أحمد أيداه الله ونصره . فكمل جميع ذلك الى سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين وأربعماية (٤٢٦ هـ - ١٠٣٤ م) . صنعه عبد الله بن الحسن المصري المرزوق) . وجميع الكتابة والأوراق بالفص المذهب . وجميع ما على الأبواب من آيات القرآن العزيز وأسامي الخلفاء لم تغيره الفرنج .

الى أن قال أنه قرأ على صخرة مبنية في حائط شمالي الأقصى السطور التالية :

« طول المسجد الأقصى سبعمائة ذراع ، بذراع الملك . وعرضه أربعماية وخمس وخمسين ذراعاً . »
وقال : « علو قبة الأقصى ستون ذراعاً . ودارها مائة إلا أربعة أذرع . وطول الأقصى من القبلة الى الشمال مائة وثمانية وأربعون ذراعاً .. »

(١) Palestine Under the Moslems' p. 113, by Guy Le Strange.

(٢) K. A. C. Creswell. Vol. II. p. 119— 137.

(٣) الكامل في التاريخ ج ١١ ص ٣٦٤

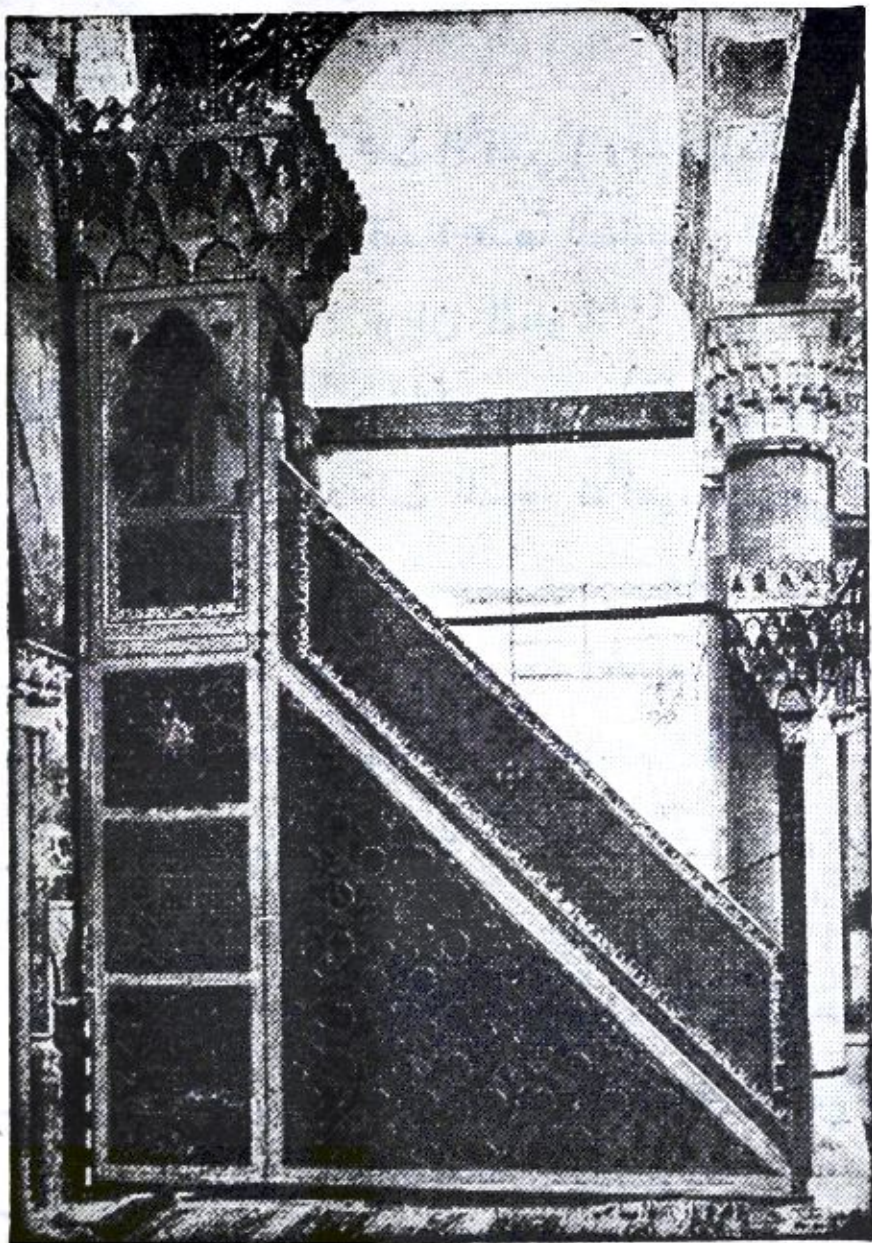
(٤) فرقة من فرق الصليبيين أعدوها للقتال . وهناك فرقة أخرى يسمونها (الاسبتالية) مهمتها الاسعاف .

(٥) جاء في البستان أن الهري بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان . وجمعة أهراء .

(٦) المستراح : (بيت الخلاء) و (المرحاض) .

المسجد الأقصى في عهد صلاح الدين :

عندما استرد صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين وارجعه الى حظيرة المسلمين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) أمر باصلاح المسجد الأقصى ، فاعيد البناء الى حاله القديم . وأمر صلاح الدين ، علي قول ابن الأثير ، بتطهير المسجد من الأقدار .



منبر صلاح الدين

وبعد ان صلي الجمعة فيه بذل كل ما في وسعه لتحسينه وورصفه وتدقيق نقوشه . فاحضر من الرخام ما لا يوجد مثله ، ومن الفص المذهب القسطنطيني مما قد ادخر على طول السنين ، ومحا كل ما فيه من الصور .

ولقد جدد صلاح الدين محراب المسجد ، وزينه بالفيسفاء ، ووضع الفيسفاء الجميلة في قبه .

هناك كتابة بالفيسفاء الذهبية فوق المحراب تشير الى ما فعله صلاح الدين . اليكها كما قرأتها : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن ايوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح

الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في سنة ٥٨٣ هـ . وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة . »

واتى صلاح الدين بالمنبر الجميل المصنوع من الحشب من ارز لبنان والمنقور المرصع بالعاج والصدف . ذلك المنبر الذي صنعه نور الدين محمود بن زنكي (٥٦٤ هـ - ١١٦٨ م) من اجل جامع القلعة بحلب . وهو من اجمل المنابر الأثرية وأدقها صناعة .

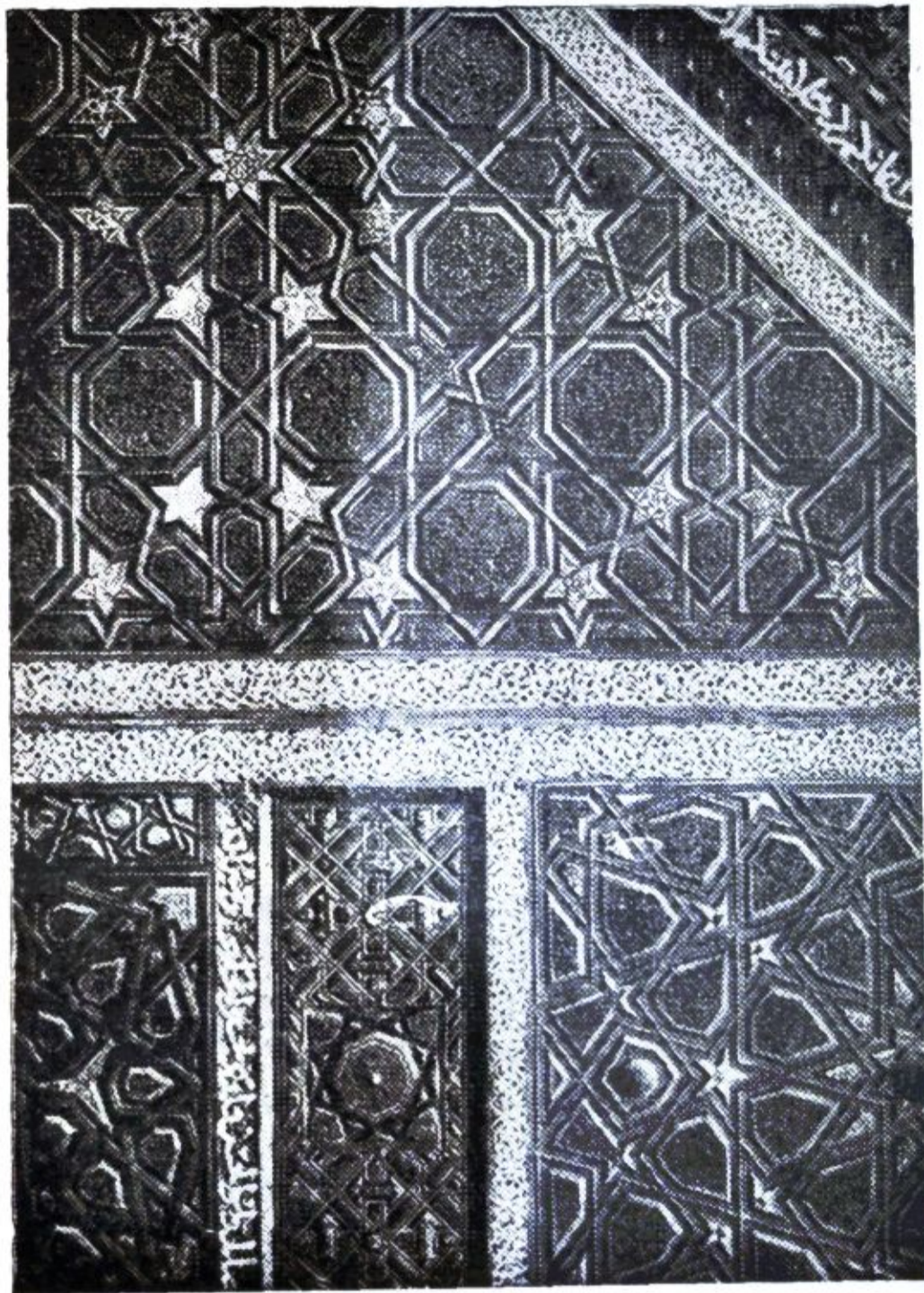
قال تقي الدين أحمد بن علي المقرئ في كتابه^(١) نقلاً عن ابن الأثير^(٢) انه لما امر صلاح

(١) (السلوك في معرفة دول الملوك) ج ١ ص ٩٧

(٢) (الكامل في التاريخ) ج ١١ ص ٣٦٥

الدين بعمل منبر للمسجد الأقصى قيل له : « ان نور الدين محمود كان قبل عشرين سنة قد عمل بحلب منبراً امر الصنائع في المبالغة في تحمينه واتقانه . وقال هذا ما عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون في عدة سنين ، لم يعمل في الاسلام مثله » . فأمر صلاح الدين باحضاره . فحمل من حلب ونصب بالقدس . وقد حفرت على جوانبه الكلمات التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمة المجهد في سبيله المرابط لاعداء دينه الملك العادل نور الدين ذكر الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ناصر امير المؤمنين اعز الله انصاره وأدام اقتداره واءلا مناره ونشر في الحاققين الويته وأعلامه وأعز اولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقره بالنصر وارحمنا برحمتك يا رب العالمين .
وذلك سنة ٥٦٤ .»



خشب المنبر من أرز لبنان مرصع بالعاج والصدف

وعلى يمين الخطيب من ناحية المحراب : —

« بسم الله الرحمن الرحيم . في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة . »

وعلى يسار الخطيب من الجهة الغربية : —

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين . »

وعلى رقبة المنبر : —

« بسم الله الرحمن الرحيم . عمل في ايام مولانا الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود ركن . »

وعلى دفة المنبر اليمنى : —

« بسم الله الرحمن الرحيم . إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون . واطفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً . ان الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوة انكاثاً تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم ان تكون امة هي اربى انما يلوكم الله به ، وليتبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة . »

وعلى باب المنبر في مواضع مختلفة : —

« صنعه ابن ظافر الحلبي رحمه الله . »

« صنعه سليمان بن معالي رحمه الله . »

« صنعه حميد بن ظافر رحمه الله . »

« صنعه فضائل وأبو الحسن ولدا يحيى الحلبي رحمه الله . »

ومن هذا يفهم أن الذين اشتركوا في صنعه كثيرون . وأنهم حلييون .

* * *

ومن ملوك بني أيوب الذين لهم آثار بالمسجد الأقصى الملك العادل سيف الدين بكر أخو صلاح الدين ، والملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، والملك الأفضل نور الدين علي ، والملك العزيز عثمان ، والملك المعظم عيسى . فقد كان هؤلاء يكتسونه بايديهم ، ثم يغسلونه بماء الورد ، ويصرفون الأموال الطائلة على الفقراء .

وفي سنة ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م أمر الملك المعظم عيسى بإنشاء الرواق الذي يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد . وهو يشتمل على سبعة أقواس مقصورة أكبرها أوسطها . ويقابل كل منها باباً من أبواب المسجد السبعة . وهذا الرواق تغطيه سبعة اقبية مصلبة . وقد ثبت على واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام كتب عليها هذه الكلمات :

« بسم الله الرحمن الرحيم . انشأ هذه الأروقة الشمالية سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم ابو العزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابي بكر بن ايوب خلد الله ملكه . وذلك في سنة ٦١٤ هـ . »



الرواق الذي انشأه الملك المعظم عيسى « ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م »

المسجد الأقصى في عهد المماليك :

توالت بعد ذلك أعمال التعمير والإصلاح بالمسجد الأقصى في عهد المماليك . واني لذاكر
فيما يلي السكتابات التي عثرت عليها في جنبات هذا المسجد ، والتي تدل على ما كان للمماليك من
فضل في تعميره .

فالملك المنصور سيف الدين قلاوون هو الذي عمر سقف المسجد الأقصى من ناحية القبلة مما يلي
الغرب عند جامع الأنبياء . وكان ذلك سنة ٦٨٦ هـ - ١٢٨٧ م



وفي زمن ولده الملك الناصر محمد
ابن الملك المنصور قلاوون جرت
التعميرات التالية : -

جددت قبة المسجد الأقصى (١) .
وانك لتقرأ حول القبة من الداخل
الكلمات التالية مكتوبة بأحرف كبيرة
من النوع المعروف بالثلث : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . جددت
هذه القبة المباركة في أيام مولانا
السلطان الملك الناصر العالم العادل
المجاهد المرابط المشاعر المؤيد المنصور
قاهر الخوارج المتمردين محيي العدل في
العالمين سلطان الاسلام محمد بن
السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون
الصالحى تغمده الله برحمته في شهر
سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م . »

وأمر الملك الناصر محمد قلاوون
بوضع الرخام في صدر المسجد
(٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م) . وقد تم

ذلك بمعرفة الأمير ناصر الدين ناظر الحرمين في القدس والحليل . وكذلك قل عن الشبايك
من الجص المعزج بالزجاج الملون ، تلك الشبايك الكائنة في صدر المسجد . وعمر السور القبلي عند
محراب داود . وفتح الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله . وتجد مكتوباً فوق شبك
المسجد الأقصى غربى المنبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك
الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاوون الصالحى بالإشارة العالية تذكير الناصري (٢) كافل الممالك

(١) وفي قول أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لم يجدد القبة نفسها ، وإنما جدد تذهيبها .
(٢) انه الأمير سيف الدين تذكير بن عبد الله الملكى المكنى بأبى سعيد . كان نائب السلطنة بالشام .
وتوفي بالاسكندرية سنة ٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م . ونقل الى تربته بدمشق . له بالقدس منشآت
عديدة منها ما ذكرناه هنا ؛ ومنها الكأس ، والمدرسة التنكيزية ، وسوق القطانين .

الشريفة الشامية . وذلك سنة ٧٣١ هـ . « - ١٣٣٠ م .
وفوق الشياك الكائن شرقي المحراب قرأت الكلمات التالية : -
« جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد
قلاون عز نصره بالاشارة الغالية الشريفة تنكير الناصري سنة ٧٣١ هـ » - ١٣٣٠ م .
وفي واجهة المسجد الأمامية فوق الأروقة الاربعة الواح حجرية^(١) نقشت على احدها من الغرب
هذه الكلمات : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الجامع المستجد والأبواب المستجدة في أيام مولانا
السلطان العادل العامل الملك الناصر سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين مولانا السلطان
الشهيد محمد قلاون الصالحى تغمده الله بالرحمة بنظر العدل الفقير الى الله تعالى بالبلا الصابري ناظر
الحرمين الشريفين بتاريخ شهر رجب الفرد سنة أربعين وسبعماية . « - ٧٤٠ هـ - ١٣٣٩ م .
وفي زمن أولاده السلطان شعبان والسلطان حسن جددت أبواب المسجد الاقصى الخشبية
(٧٧٨ هـ - ١٣٧٦ م) . فان احد الألواح الأربعة المتقدم ذكرها ، وهو الذي الى الشرق ، نقشت
عليه الكلمات التالية : -

« جدد هذا الجناح المبارك في أيام للملك السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين حسن
ابن السلطان الملك الناصر محمد قلاون خلد الله ملكه . «
قال هاملتون ان هناك دلائل تشير الى ان السلطان حسن انشأ جناحاً جديداً ، وهو الجناح
الشرقي الشمالي . وكان ملاصقاً للبناء الذي هدم أثناء التعميرات الأخيرة .
وفي زمن الملك الأشرف اينال عمر المسجد الاقصى^(٢) على يد ناظر الحرمين الأمير عبدالعزيز
العراقي المشهور بابن المعلق . وقد جرى ذلك سنة ٨٦٥ هـ - ١٤٦٠ م .
وفي زمن الملك الأشرف قايتباي جرى تعمير آخر . ولكننا لا نعلم عن هذا التعمير شيئاً
سوى ما قرأناه على واجهة المسجد الشمالية فوق الرواق الأوسط الى اليمين : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشريف . . واطراف . . اللطيف في أيام مولانا
السلطان الملك الأشرف ابو النصر قايتباي امده الله بنصره العبد الفقير الى الله تعالى محمد ناظر الحرم
الشريف غفر الله له في الخامس عشر من محرم شهر الله المعظم سنة ٨٩٤ هـ » - ١٤٨٨ م .

(١) اثنان منها وهما فوق الرواق الأوسط وضعا في زمن الملك المعظم عيسى والملك الأشرف قايتباي .
وقد ذكرناهما في موضع آخر من هذا الكتاب .
(٢) لم يذكر مجير الدين الذي نقلنا عنه هذا الخبر (ج ٢ ص ٤٤٥) نوع التعمير الذي جرى ؛ ولا
ذكر موضعه .

قد يكون هذا هو الرصاص الذي جده الملك الأشرف قايتباي والذي ذكره مجير الدين فقال :
« جدد عمل الرصاص على ظاهر المسجد الأقصى وفك الرصاص القديم ثم ركب . ولم يكن
كلاول في حسن الصناعة والاتقان . وكان الصانع له من اهل الروم » .
ولكن التاريخ الذي تم فيه هذا العمل ، حسب قول مجير الدين ، ٨٨٤ هـ - ١٤٧٩ م .
وهناك تعمیر آخر جرى أيام الملك قانصو الغوري . فانا نقرأ على العضاضة الكائنة بين الباب
الثالث من اليمن والباب الكبير الكلمات التالية : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . جدد عمارة
المسجد الأقصى صلاح العارفين ظاهره وتقيه (. . .) الشريفة واصلاح (. . .) في أيام مولانا
الملك سلطان المالك قانصو الغوري بعون نصره المظفر ناظر الحرمين الشريفين ابو النصر . »

المسجد الأقصى في زمن الأتراك العثمانيين :

اهتم الأتراك العثمانيون بالمسجد الأقصى . فمن سلاطينهم الذين تولوا ترميم هذا المسجد :
السلطان سليمان القانوني (٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م) والسلطان محمود الثاني (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م)
والسلطان عبد الحميد (١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠ م) والسلطان عبد العزيز (١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م)
والسلطان عبد الحميد الثاني (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م) .

هنالك فوق رقبة القبة وتحت الشبايك غير النافذة كتابة كتبت بالحط الثلث ، تقول : -
« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد ترميم هذه القبة الشريفة مولانا سلطان البرين وخاقان
البحرين وخادم الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين المجاهد في سبيل الله تعالى
المخفوف بعناية الله المعبود مولانا السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان خلد الله ملكه
مدى الزمان . وذلك عن يد الوزير صاحب الخيرات والتدير سعادة الحاج سليمان باشا والي ايالة
صيدا وطرابلس الشام أدام الله دولته واجلاله . وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف من
هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم . بقلم الضعيف مصطفى علي أفندي الأمور من جانب
الدستور . »

ومثل هذه الكتابة يراها المرء على يساره ، اذا ما دخل المسجد من بابه الكبير الأوسط .
أما السلطان عبد العزيز فاليه يعزى الفضل في بعض الزجاج الملون الموجود في عدد من
الشبايك

وأما السلطان عبد الحميد الثاني فهو الذي بعث بالشرط الأكبر من السجاد العجمي المفروش
في أرض المسجد والذي يصلي عليه المصلون .

المسجد الأقصى والمجلس الإسلامي الأعلى :

طراً على المسجد الأقصى، مع طول العهد وتقدم الزمن، وهن اكتشفه المجلس الإسلامي الأعلى^(١) الذي يرأسه المفتي الحاج أمين الحسيني؛ فراح يفكر بالقيام بمشروع واسع النطاق من أجل ترميمه. فاستدعى المجلس المعمار التركي الكبير الاستاذ جمال الدين ليستشيره في الأمر. فلبى الرجل الدعوة (١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م). وضم إليه عدداً من المهندسين هم المعمار نهاد والمهندس جمال الدين والمعمار حسني. واستعان هؤلاء أيضاً بالمهندس المقدسي رشدي الامام الحسيني، وراح هؤلاء المهندسون يفكرون في انجع الوسائل لتعمير المسجد ترميماً يناسب قدسيته وجلال قدره ومزاياه الدينية والتاريخية.

واليك وصف الوهن الذي اكتشفوه. وكان هذا، على حد قولهم، ناشئاً عن اسباب عديدة منها وأهمها :

ضعف الاسس؛ اذ ان الاعمدة الشرقية للرواق الاوسط في الطبقة العليا (المسجد الأقصى الحالي) لم تكن مرتكزة على اعمدة الطبقة السفلى (الأقصى القديمة) بل كانت مبنية على الاقواس نفسها. وهذا خطأ فني، لا ندري كيف اقترفه الاسلاف؟

وهناك اسباب اخرى حدثت مع تقدم العهد وطول الزمن، نذكر منها: انتحات الشدادات الخشبية التي تربط الاعمدة، ونخرها المستمر؛ الامر الذي ادى الى تكبس بعض الاعمدة والجدران، حتى انحرف بعضها عن موضعه الاصلي بمقدار ١٢ سانتراً.

ويبدو ان كل ما فعله المتأخرون من اجل تلافي الخطر هو انهم كانوا يضيفون الى البناء دعائم سائدة، وقيمون حول الاقسام المتصدعة ركباً من الحجارة. وقد انشأوا في بعض الحالات تحت الاقواس القديمة اقواساً جديدة، الامر الذي شوه جمال للمسجد تشويهاً واضحاً، ولم يوصلهم الى الغاية المتوخاة؛ فتصدعت مع الزمن تيجان الاعمدة وقواعدها، ومال بعض الاعمدة عن وضعه العمودي - حتى لم يعد باستطاعتها ان تحمل ثقل البناء القائم عليها. وقدمت الشدادات (الاوراق) الخشبية فائدتها، بسبب نخرها وتفتتها، فاصبح المسجد على وشك الانهيار. اضف الى ذلك ان قسماً كبيراً من الفسيفساء والنوافذ المصنوعة من الجص الملون سقط، واصبح المسجد في شكل مشوه.

(١) انتخب هذا المجلس من قبل الامة الاسلامية بفلسطين سنة ١٩٢٢ وكان اول عمل قام به الشروع في عمارة الحرم وصونه من الخطر.



إذا لا بد من الشروع فوراً في التعمير (١).

ولما كان هذا يحتاج الى مبالغ جسيمة ، وكان المجلس الاسلامي القائم بالامر لا يستطيع الانفاق عليه من موارده المحدودة ؛ فقد اوفد الى الحجاز (٢) ومصر (٣) والهند (٤) والعراق (٥) والخليج العربي والاساتنة (٦) وفوداً . وكتب الى عدد من ملوك المسلمين وأمراءهم الذين توسم فيهم حب الخير . وانه ليؤسفي أن اقول أن الانكليز من جهة ، وخصوم المجلس الاسلامي من سكان فلسطين من جهة أخرى ، قاوموا هذه الوفود مقاومة شديدة . فأثر الانكليز على أمراء الهند بوساطة مستشاريهم هناك ، فلم تبرع الهند بأكثر من ثلاثة وعشرين الف جنيه . وكان بإمكانها أن تبرع بأكثر من ذلك . وكتب اخصام المجلس الى هؤلاء الأمراء والى الكثيرين من زعماء البلاد العربية والاسلامية يحذرونهم من الدفع بقائلين ان رجال المجلس سوف يستعملون الاعانات التي يجمعونها من أجل اغتيال خصومهم السياسيين ، لا من أجل تعمير الحرم ! ومع ذلك فقد تمكنت الوفود التي أرسلها المجلس الاسلامي من جمع المبالغ التالية :

| | جنيه مصري | مليم |
|--------------------------------------|-----------|------|
| من الملك حسين بن علي وسكان الحجاز | ٣٨٧٦١ | ٧٣٣ |
| من الملك فيصل بن الحسين وسكان العراق | ٦٢٠٦ | ٣٢٢ |
| من سكان البحرين | ٢٦٨١ | ٧٨٠ |
| من سكان الكويت | ١٣٦٢ | ٥٢٠ |

- (١) اقتصرنا هنا على ذكر ما ورد في التقرير عن المسجد الاقصى . وقد ذكرنا في مواضع اخرى من الكتاب ما قامت به الهيئة الفنية من تعديرات في اقسام الحرم الاخرى .
- (٢) وفد الحجاز الاول (١٩٢٣) تألف من الشيخ محمد مراد عضو المجلس الاسلامي . الشيخ محمد سعيد الحسيني مفتي غزة . الشيخ ابراهيم الانصاري . وجمع هذا الوفد ثلاثة عشر الف جنيه مصري . والوفد الثاني (١٩٣٤) الحاج سعيد الشوا عضو المجلس الاسلامي . الشيخ محمد تفاحة مفتي نابلس . الشيخ عبد الرحمن العلمي . فتبرع الملك حسين من ماله الخاص بخمسة وعشرين الف جنيه مصري .
- (٣) وفد مصر تألف من الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي . الحاج سعيد الشوا عضو المجلس . المهندس كمال الدين . عادل جبر .
- (٤) وفد الهند (١٩٢٣) تألف من الشيخ محمد مراد . الشيخ ابراهيم الانصاري . جمال الحسيني . وبلغ مجموع ما تبرعت به الهند في هذه المرة ثلاثة وعشرين الف جنيه مصري .
- (٥) وفد العراق والخليج العربي (١٩٢٤) تألف من الحاج امين الحسيني . امين التميمي عضو المجلس الاسلامي . رشيد الحاج ابراهيم . بلغ ما تبرع به العراق يومئذ ٨٥٠٠٠ جنيه مصري . هذا عدا ما تبرع به الملك فيصل الاول .
- (٦) وفد الآستانة تألف من عبد اللطيف صلاح عضو المجلس الاسلامي . كمال الدين .

| مليم | جنيه مصري | |
|------|-----------|---|
| ٠٠٠ | ٦٧٧١ | من نظام حيدر آباد |
| ٣٤٠ | ٧٨١١ | من المهراجا طاهر سيف الدين بالهند |
| ١٩٣ | ٩٢٠٦ | من باقي سكات الهند |
| ٣٧٥ | ٤٢٣١ | من اهل فلسطين |
| ٦٣٥ | ٦١٢ | من اهل المحمرة |
| ٧٠٠ | ٣٣٨ | من اهل سورية |
| ٨٦٠ | ٣٠٦ | من اهل مصر |
| ٩٢٠ | ١٦٣ | من العرب المهاجرين الى الولايات المتحدة الأمريكية |
| ٤٤٠ | ١٩ | من الأتراك |
| ٢٤٨ | ١٦٩٧٨ | من الوقف الذي يشرف عليه المجلس الاسلامي الأعلى |
| ٠٦٦ | ٩٤٩٥٢ | |

ولما فكرت الهيئة الفنية في وضع التصاميم اللازمة لتقوية المسجد الأقصى ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٩٢٣ م ، رأت أنه يوجد ثمة طريقان للخروج من الأذى . ولما لم تستطع أن تجزم في أي الطريقين أفضل ، رفعت تقريرها الى المجلس الاسلامي . فوجه هذا دعوة الى الحكومة المصرية . ولبت هذه الدعوة ، فانتدبت كلاً من محمود أحمد من مهندسي وزارة الأوقاف ومن أعضاء لجنة الآثار المصرية ، ومصطفى حمدي القطان من مهندسي وزارة الأشغال ومن أعضاء جمعية المهندسين الملكية . وانتدبت حكومة فلسطين المهندس ريشموند مساعد السكرتير العام ، وغاي مهندس دائرة الآثار ، وهاريسون رئيس المهندسين المعماريين بحكومة فلسطين ، وجورج أنطونيوس .

عقد هؤلاء الخبراء بالاشتراك مع كمال الدين ومساعديه مؤتمراً فنياً في دار المحكمة الشرعية الكائنة بباب السلسلة ، وكان ذلك في شهر فبراير (شباط) ١٩٢٤ . ويظهر أنهم اختلفوا في الرأي . إذ قال فريق مهم (وهم الأتراك) بضرورة هدم القبة المتصدعة كلها وتشيدها من جديد . وقال آخرون (وهم المصريون) بوجوب تقوية القبة مع المحافظة عليها وعلى البناء بوجه عام . واقترح هؤلاء (أي المصريون) أن تحمل القبة التي قدروها بنحو ألف طن مع الرقبة والأقواس التي تحتمل على حمالات خشبية (صقالات) ثم ترفع الأعمدة القديمة المتصدعة بتيجانها وقواعدها وأسسها البالية ، وتستبدل بغيرها .

(ولما كان الاقتراح الاول (اي الاقتراح التركي) يفقد المسجد قيمته التاريخية والاثريّة ، فقد قرر

المؤتمرون قبول الاقتراح الثاني (اي المصري) رغم ما فيه من خطر . واليك القرار الذي اصدروه بالاجماع : -

« بعد الفحص والتدقيق في حالة قبة المسجد الاقصى والجزء السفلي منه والمشاريع الثلاثة التي قدمها كمال الدين بك والتقارير الذي قدمه المندوبان المصريان مصطفى حمدي بك القطان ومحمود افندي احمد ، وبعد البحث الوافي ؛ قررت اللجنة بالاجماع قبول المشروع الثاني وأساسه تقوية البناء مع المحافظة عليه جهد المستطاع . اما تفاصيل المشروع فهي كما يلي : -

« صلب المجموع ، تقوية الاسس ، تقوية الاعمدة ، تجديد الاوتار (الشدادات) الخشبية ، حفظ العقود والمقرنصات ورقبة القبة (الكرس) . وبقدر المستطاع حفظ القبة نفسها . وبالاجمال كل ترميم او تجديد يجده كمال الدين بك ضرورياً ومستطاعاً فيما عدا ما ذكر .

« وتزيد الهيئة على ذلك انه وان كان المشروع الاول المتعلق بالتجديد والذي اختاره كمال الدين بك ذو نتيجة اقوى وأجمل ، الا أنها تؤثر بالاجماع المشروع الثاني المذكور اعلاه الموافق لتقرير المندوبين المصريين لاعتبارات اثرية ودينية واجتماعية . وبهذه المناسبة ترى الهيئة انه يستحسن ان يمنح كمال الدين بك الحرية التامة في اختيار الوسائل التي ستتخذ لتنفيذ الأعمال المقررة في المشروع المذكور اعلاه وانها على احسن وجه .

« وترى الهيئة ان هذا العمل ضروري ودقيق . وانه لا بد من اعطاء كمال الدين بك الذي سينفذه ، الحرية في ان يختار كل ما يحتاج اليه من العمال الفنيين ، وأن يتخذ كل التدابير الاحتياطية الخاصة التي يقتضي اتخاذها في مشروع دقيق كهذا . ثم تود الهيئة ان تبدي ارتياحها لما رأته من الدقة والمهارة اللتين اظهرهما الاستاذ المعمار كمال الدين بك وهيئته الفنية في درس المسألة ، والمشاريع التي هيأها ؛ وأن تظهر ثقتها ايضاً بمجعة بذلك التحضير الدقيق المحكم . ومنه تبدو بجلاء تام الأهمية الكبرى التي تشتمل عليها هذه القضية الدقيقة وتفصيلها وفروعها . وطى هذا وضعت هيئة المؤتمر هذا القرار النهائي بكل ثقة في ٢٣ شباط ١٩٢٤ م . »

وقد عملت الهيئة الفنية المؤلفة من كمال الدين وصحبه الأتراك والفلسطينيين على تنفيذ المشروع وفقاً للقرار المتقدم ذكره . فاستحضرت الأعمدة والحجارة والمواد اللازمة للبناء . وقامت بالتعميرات اللازمة (١٩٢٥) . واليك ما عملته بوجه الإيجاز : -

١ - قوت الأقواس (العقود) والأعمدة الثلاثة الضعيفة الكائنة في الناحية القبليّة من الطبقة السفلى (الاقصى القديمة) بدعائم من الحراسانة المسلحة .

٢ - استبدلت الأعمدة القديمة البالية التي تقوم عليها القبة بأعمدة جديدة (عددها ثمانية) .





الأعمدة والأقواس التي أنشأها المجلس الإسلامي الأعلى
١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

واقامت الأعمدة الجديدة على أسس متينة من الخرسانة المسلحة. والأعمدة الجديدة استحضرتها من حجر الصليب الكائن جنوبي القدس ، بينها وبين بيت جالا .

٣ - انشأت تحت الأقواس القديمة التي ترتكز عليها القبة اقواساً جديدة من الحجارة الضخمة (اتت بها من محاجر بيت صفاقا) . وتركت بين الأقواس القديمة والجديدة فراغاً لقوس حامل صنعه من الخرسانة المسلحة .

إن الأعمال المتقدم ذكرها جرت بصورة صانت القبة من خطر الانهيار ، على يد عمال وصناع عرب من أهل القدس والمدن الفلسطينية المجاورة ، تحت اشراف المعماري التركي كمال الدين وصحبه المهندسين ؛ ومنهم رشدي الأمام الحسيني . وقد استقال بعدئذ كمال الدين ورفاقه الأتراك نزولاً عند

رغبة المجلس الإسلامي الأعلى الذي اخذ برغبة الشعب في التوفير والاقتصاد . فتولى التعميرات الباقية رشدي الأمام ، والفنيون الآخرون من سكان فلسطين .

واليك التعميرات التي تمت على يدهم : -

٤ - استبدلت أربعة من الأعمدة وستة من الأقواس الحجرية القديمة الكائنة في الجناح الذي يحيط بمنطقة القبة من الغرب بأعمدة واقواس جديدة .

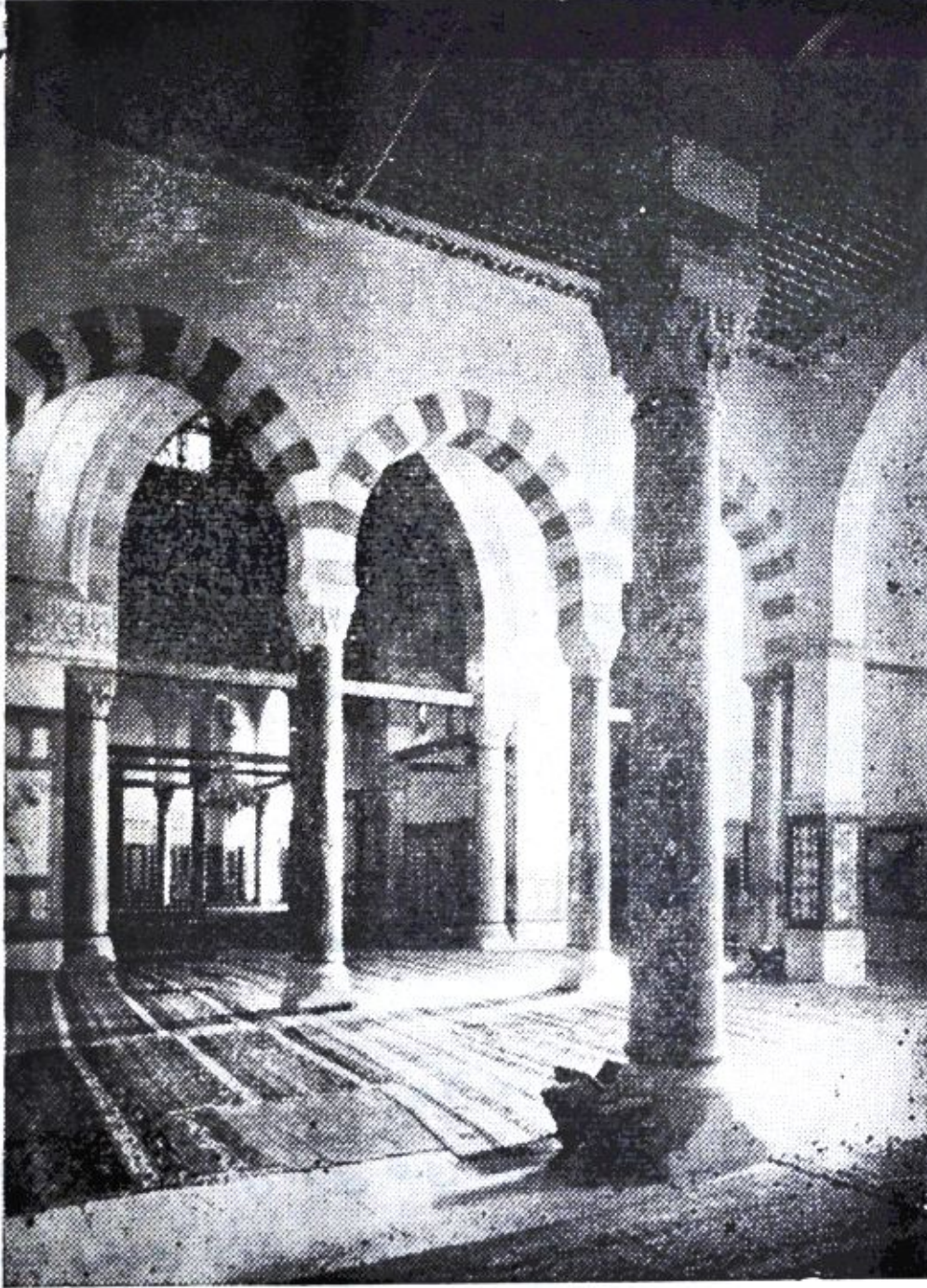
٥ - هدم السقف الذي كان على وشك الانهيار في الجناح الغربي المتقدم ذكره ، واستبدل بسقف آخر صنع من الخرسانة المسلحة .

٦ - هدم القسم الغربي من الحائط القبلي ، وأعيد بناؤه بالحجارة ، تدعمها من خلفها خراسانة مسلحة . وفتحت في هذا القسم من الحائط نوافذ كبيرة .

٧ - عمر السقف الحشي لجناح القبة الشرقي .

٨ - زخرفت واجهة المحراب وأقواس القبة الشرقية والغربية والقبليّة بأشكال بديعة من الجص البارز ، وبألوان ذهبية جذابة .

٩ - أزيلت القصارّة التي كانت على واجهة الأوس الشماليّة للقبة ، ورسعت هذه بالفسيفساء البديعة على النسق القديم .



عندما أزيلت هذه القصارّة وجد تحتها بعض الرسوم المبعثرة والأجزاء المصنوعة من الفسيفساء . وفوق ذلك وجدوا كتابة بالحظ الكوفي تدل على أنها من صنع الملك الظاهر لاعزاز دين الله ٤١٧ هـ - ١٠٢٦ م . وقد نقلنا الكلمات التي اكتشفت يومئذ بحذافيرها في موضع آخر من هذا الفصل ، عند ذكرنا للتعديرات التي جرت في العهد الفاطمي . ويبدو أن هذه القصارّة وضعت هناك بعد الصليبيين . إذ أن الهروي الذي زار المسجد في زمن الصليبيين قال أنه رأى الكتابة وقرأ اسم الظاهر لاعزاز دين الله .

١٠ - صفحت شدادات الخراسان بالنحاس ، ونقشت بنقوش بارزة ، وطرق النحاس بأشكال هندسية عربية ، ثم أحرق بالنار ليكون لونه كاملاً . والذي صنعه عبد الرحمن الغضبان .

١١ - رصع الحائطان القبلي والغربي بالفسيفساء الملونة وبأشكال هندسية بديعة .

١٢ - صنعت ثلاثون نافذة من الجص المزخرف بأنواع الزجاج الملون ؛ ووضعت هذه في رقبة القبة ، وفي الحائط القبلي فوق المحراب ، وفي الحائط الغربي .



منظر للاعمدة والأقواس الجديدة التي انشأها المجلس الاسلامي الاعلى

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

في الجزء العلوي من الواجهة كتابة تشير الى عمارة الظاهر لاعزاز دين الله ١٠٢٦ م

١٣- نقش تاريخ هذه العمارة بالخط الكوفي . وانك لتجده بحذاء الشدادات ، وقد زخرف بالنقوش العربية زخرفة تمثل اوراق النبات ، وكسي بورق الذهب . وعلى اركان القبة . وفوق هذه الكتابة التي تعلو التيجان نقشت بعض الآيات القرآنية بالخط الثلث . اما الخط الكوفي فقد رسمه المهندس رشدي الامام . وكتبه الخطاط المقدسي عبد القادر اسحق الشهابي .

وان الواقف امام محراب الاقصى ليرى ، فوق المحراب ، بين القبة والجدار القبلي ، وبعبارة افصح بين المحراب والسقف ، الكلمات التالية : -

«بسم الله الرحمن الرحيم . جدد قبة هذا المسجد الاقصى المبارك ، وازال ما طرأ عليها من خطري نقوشها ونوافذها وزخارفها المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى ، في ذي الحجة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م»
ما كاد هذا التعمير يتم حتى حدث زلزال (سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م) تضرر المسجد بسببه . ولكن هذا لم يظهر إلا في سنة ١٩٣٦ م يوم اكتشف القائمون على الأمر خللاً في الجهتين الشرقية والغربية من المسجد . واما القبة نفسها فلم تصب بضرر . وانه لمن حسن حظ المسلمين ان تعمير القبة كان قد تم قبل الزلزال ببرهة قصيرة . فطلب المجلس الاسلامي من وزارة الأوقاف المصرية انتداب من تختاره من مهندسيها للكشف . وفيما كانت المخبرات تجري حدثت (١٩٣٧ م) هزة ارضية خفيفة . لكن تأثيرها على المسجد كان عظيماً . فقام المجلس الاسلامي الأعلى على أثر ذلك باصلاحات واسعة المدى . وساعد المجلس الاسلامي في عمله هذا ، من الناحية الفنية ، مدير ادارة حفظ الآثار العربية بمصر محمود احمد باشا (هو محمود افندي الذي ذكرناه في السطور السابقة) والاستاذان محمد بك نافع وكيل الادارة السابق وعبدالفتاح بك حلمي مفتش هندسة الآثار العربية اذ ذلك . وبغلت تكاليف المشروع خمسة وخمسين الف جنيه ، دفعها المجلس الاسلامي من واردات الاوقاف العامة . ولقد تبرع لهذه العمارة ولي عهد المملكة المصرية ، الأمير محمد علي ، عندما زار القدس سنة ١٩٤٠ ، بالف جنيه ؛ كما تبرع للبناءية نفسها وبهذا القدر من المال نواب حاكم بهادلبور بالهند .

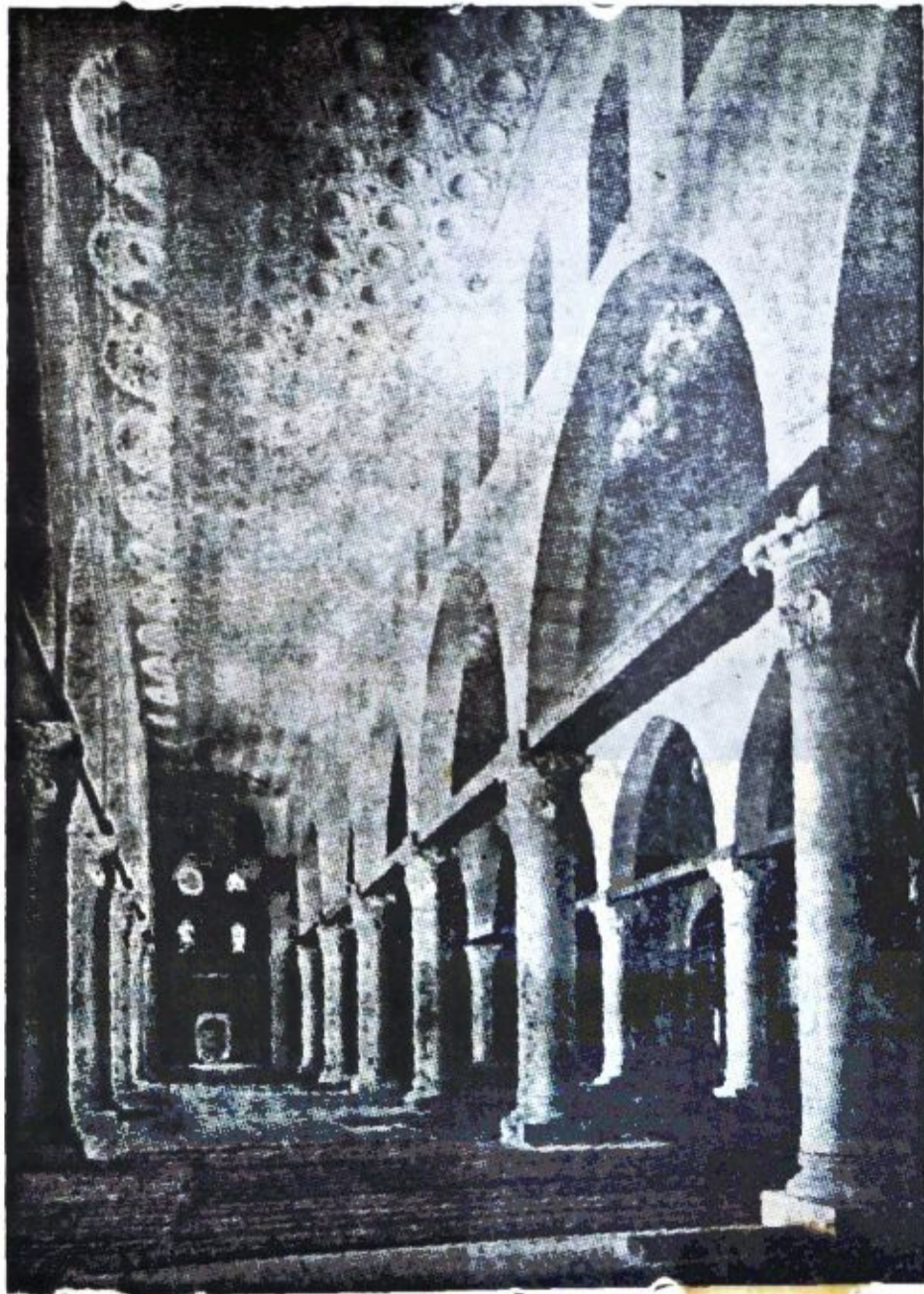
عندما قام المجلس الاسلامي الاعلى باعمال الترميم والتعمير التي اشرنا اليها في السطور المتقدمة عثر المهندسون على آثار المسجد الذي بني في العهد الأموي (١) . عثروا تحت ارض المسجد الحالي بثمانين سانتراً ، على قطعة من الأرض مرصوفة بالرخام ، وذلك عندما حفروا خندقاً في صحن المسجد بين الأعمدة القائمة في شمال القبة . ولقد تتبع المهندسون القسم المرصوف ، فوجدوا انه لا

(١) من محاضرة للمستتر هملتون ، مدير دائرة الآثار بحكومة فلسطين ، القاها على رهنط من علماء الآثار في البلاد العربية ، يوم زاروا القدس عام ١٩٤٧



يتمدد الى الرواق الشرقي فحسب . بل الى مكان في خارج المسجد من الشرق أيضاً . وعثروا أيضاً في الموضوع نفسه على قواعد لعدد من الأعمدة القديمة . ولما وسع المهندسون اعمال الحفر والتنقيب في امكنة اخرى شمالي المسجد ، عثروا على قطعة اخرى من الأرض مرصوفة بالبلاط المعتاد . ولقد تتبعوا الرصف في هذه الناحية ، فوجدوا انه يمتد حتى نقطة تقرب من الجدار الشمالي للمسجد بمقدار ١٩ متراً . ثم حفروا خندقاً آخر بين الصف الثاني والثالث من الأعمدة الكائنة في الجناح الشرقي ، فظهرت لهم قواعد بعض الأعمدة القديمة ، وآثار جدار قوي البنيان عرضه متر ، وفيه عتبة باب كبير . وقد استنتج المهندسون من اعمال الحفر والتنقيب التي قاموا بها يومئذ (١٩٤٣) ان بعض الأعمدة القائمة في الجناح الكائن شرقي القبلة يرجع تاريخها الى العهد الأموي ، وأن المسجد الأقصى كان في ذلك العهد اوسع مما هو عليه الآن من الناحية الشرقية واضيق من الناحية الشمالية .

* * *



ابتدأت التعميرات التي تولاها المجلس الاسلامي سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م وانتهت سنة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م . وتتلخص الأعمال التي انجزت خلال هذه المدة في هدم الرواق الشرقي . هدموه مكرهين . ذلك لأنه كان متصدعاً تصدعاً خطيراً بفعل الزلازل القديمة والحديثة ، ومؤونة البناء التي انحلت ، والرصاص والأتربة التي تراكت مع الزمن فوق الأقبية المصلبة . وما كان في استطاعتهم أن يرموه دون الالتجاء الى هدمه كما فعلوا بالقبلة .

اجل . انهم هدموا الرواق الشرقي ، وأعادوا بناءه من جديد . اعادوه طبقاً لتخطيطه الأصلي في العهدين العباسي والفاطمي : في صفوف من العقود محمولة على اعمدة اسطوانية تسير من الجنوب

الرواق الشرقي الجديد بناه المجلس الاسلامي الاعلى

١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م

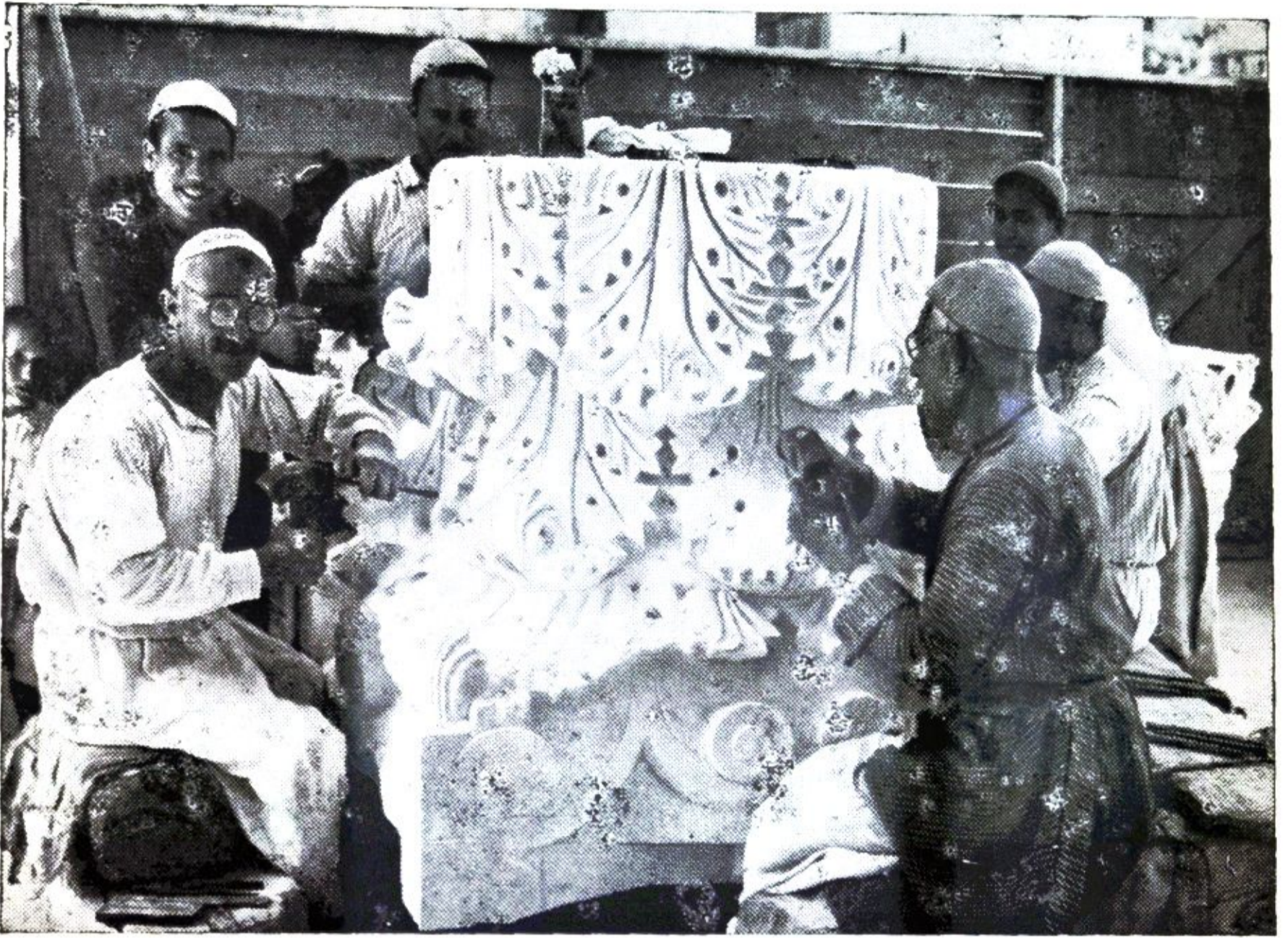
الى الشمال موازية للرواق الأوسط . بنوا السقف من الأسمت المسلح بالحديد ، المعروف بـ (الحراسانة) . وعندما هدموا الرواق الشرقي ، هدموا معه البناء الذي كان قائماً في طرفه الأخير من الشمال . فقد كان هناك مكان كبير مرتفع يصعد اليه في درج . وكان هذا المكان يدعى فيما مضى : (سوق المعرفة) . وكان مستعملاً فيما مضى مصلى للجنابلة . افرده لهم الملك العظيم عيسى . ولقد هدم ، ولم يبق له اثر (١٩٤٣ م) . وكذلك فعلوا بالرواق الأوسط (١) الذي كان لا يزال قائماً منذ التجديد الفاطمي . فقد هدموه ، وأعادوا بناءه كما هو ؛ الا الجملون الحشي الذي كان يستره ، فقد ابدلوه بآخر من الحديد الصلب .

ولاجل القيام بهذه الأعمال استعملوا الكثير من الحجارة القديمة التي هدمت . استعملوها في الأسس واستعملوا الأخشاب الصالحة في عمل الجمونات ، كما اعدوا الرصاص القديم في تغطية هذه الجمونات بعد ان سيحوه وأعادوا مكبه . واستعاضوا عن الأعمدة الحجرية القديمة بأعمدة من الرخام اتوا بها من ايطاليا ، ونحتوا تيجانها وقواعدها بالقدس طبقاً لأشكالها القديمة . واستبدلت الأوتار الحشبية (الشدادات) التي كانت تربط العقود بعضها ببعض ، باخرى حديدية مصفحة بالحشب . والحجارة التي استعملت في البناء وفي تبليط ارض المسجد ، استخرجت من محاجر فلسطين ، وهي من النوع المعروف بـ (المزى الحلو) . وقام بهذه الأعمال كلها عمال عرب من ابناء بيت المقدس (انظر الى الصورة في الصفحة ١٧٩) .

كان الناظر وهو واقف في المسجد يصلي ، يرى الجمون الحشي فوق الرواق الاوسط ، اذا ما كان يحجبه من الداخل سقف اقصي . ولما استبدل هذا الجمون الحشي بآخر من الحديد الصلب ، وضعوا من تحته سقفاً اقصياً من الحشب ، زخرف بنفس الطريقة (انظر الى الصورة في صفحة ١٨٠) التي كانت تصنع بها الزخارف الفاطمية . ان هذا السقف الحشي وزخارفه كلف عشرة الاف جنيه ، تبرعت بها الحكومة المصرية ، واشترك في عمله صناع مصريون وآخرون فلسطينيون ، باشراف مهندس مصلحة الآثار العربية بمصر . واستخدم في نقشه وتذهيبه اوراق الذهب من عيار عشرين قيراط ، استحضرت من انكلترا . وقد تم ذلك سنة ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م . وأنتك لترى عندما تدنو من المسجد بين مدخله الرئيسي والباب الكائن غريه بلاطة من المرمر نقشت عليها السطور التالية بماء الذهب :

« جدد المجلس الاسلامي الاعلى القسم الشرقي والرواق الأوسط وواجهة الرواق الشمالي للمسجد الاقصى المبارك باشراف ادارة الآثار العربية بمصر . وكان بدء العمل في سنة ١٣٥٧ هـ

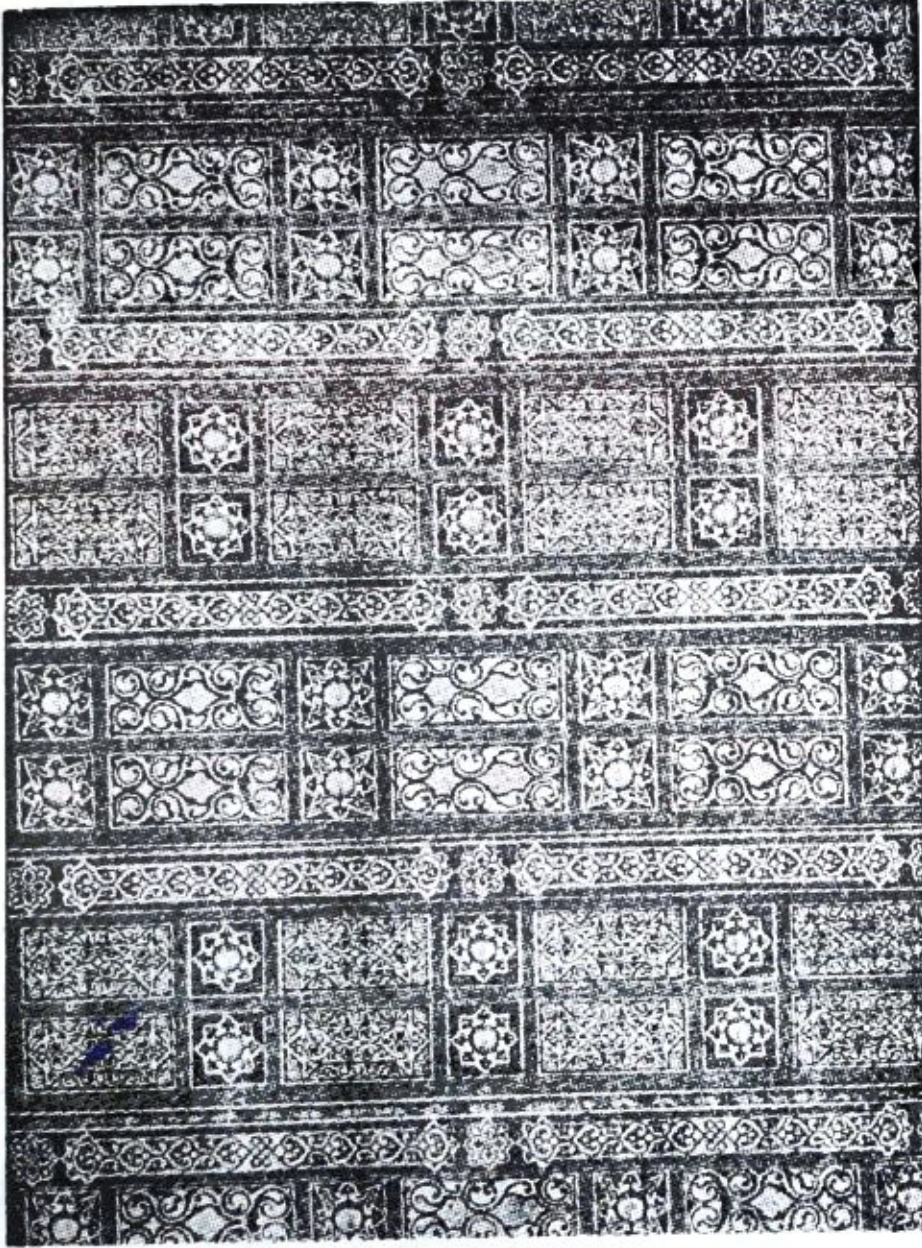
(١) انهم لم يتمكنوا من تعبير الرواق الغربي بسبب غلاء مواد البناء وقلة مواردهم المالية . مع ان المهندسين قالوا : ان هذا الرواق ايضاً في حاجة الى التجديد على نمط الرواق الشرقي ، وان هذا من الضرورة بمكان ، اذا ما اريد اعادة المسجد الى ما كان عليه في القرن الثامن الهجري على الأقل .



عمال عرب من أبناء بيت المقدس ينقشون الأعمدة وتيجانها

والفراغ منه في سنة ١٣٦٢ هـ. وقامت الحكومة المصرية بتجديد السقف الحشي للرواق الأوسط في عهد جلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله وأيد ملكه في سنة ١٣٦٣ هـ للهجرة ١٩٤٣ م. « ويرى المرء في منطقة القبة أيضاً من الداخل وفوق الأعمدة على التمام الكلمات التالية مكتوبة بالخط العريض المعروف بالثلث وبالذهب على ارضية من الرخام الأبيض عرضها خمسون سانتراً :- « بسم الله الرحمن الرحيم . وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينها . فان بغت احداها على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي ، حتى تفي الى امر الله . فان فاءتا ، فاصلحوا بينها بالعدل ، واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين . اما المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين اخويكم . واتقوا الله لعلكم ترحمون . » والكلمات نفسها يقرؤها المرء على ثمانية اجزاء ، كل جزء منها فوق عمود من الأعمدة الثمانية التي تقوم عليها القبة .

وتحت هذه الكلمات كتبت أسماء الاشخاص الذين تبرعوا لعمارة الحرم (١٩٤٣ م) .



السقف الجديد المذهب في الرواق الأوسط
١٣٦٣ هـ - ١٩٤٣ م

وقد كتبت تلك الاسماء بالخط الكوفي المذهب وباحرف اصغر من التي تقدم ذكرها وعلى ارضية عرضها عشرون سانتراً .

عندما تمت تعميرات المسجد على الشكل المتقدم ذكره اُضيء بالكهرباء . وكان ذلك في مساء يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من محرم الحرام سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٩ كانون الثاني ١٩٤٥ م . وكان الى ذلك الحين يضاء بالزيت والشموع .

ولكن هذا العمل (اي اضاءة المسجد بالكهرباء) لم يدم اكثر من بضعة اسابيع . اذ عاد القوم الى اضاءته بالزيت والشموع خشية

ان تتسرب شرارة من الكهرباء الى خشب المسجد ، فتحرقه . ثم عاد القوم لاستعمال الكهرباء في المواضع غير المعرضة للخطر ، والزيت والشمع في المواضع الاخرى . وأما الآن (١٩٥٨) فان الكهرباء وحدها هي التي تستعمل في إنارة المسجد .

المسجد الاقصى في حرب فلسطين (١٩٤٨)

لم يسلم المسجد الاقصى من أذى اليهود في الحرب الفلسطينية التي قامت بينهم وبين العرب اثر قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) . اذ كان اليهود عن قصد يصوبون نيران مدافعهم الى هذا المسجد . وكثيراً ما سقطت قنابل الهاون والمورتر من عيار بوصتين وثلاث بوصات على سطحه وفي جنباته .

من ذلك ما جرى في ١٦ تموز ١٩٤٨ يوم أغار اليهود على الحرم . فبدأوا يقصفونه في الساعة الثامنة والدقيقة العشرين من مساء ذلك اليوم . وانتهوا من قصفه في الساعة الرابعة من صباح اليوم

التالي. وقد سقط في أرض الحرم، في تلك الليلة، عدد كبير من القنابل أصابت إحداها المسجد الأقصى.
ولقد أعاد اليهود الكرة في ٢٢ آب وفي ٢٣ و ٣٠ منه. ثم في ٢٣ ايلول وفي ٢٦ و ٢٧
منه. ثم في ٣ تشرين أول وفي ١٠ و ١٦ منه. ثم في ٨ تشرين الثاني وفي ١٣ منه. ثم في ٣٠
كانون أول ١٩٤٨ (١).

فأصابت إحدى القنابل التي القيت في ٢٢ آب ظهر المسجد. وفي ١٦ تشرين أول أصيب جدار
المسجد من الغرب مقابل باب المغاربة. ففتحت فيه ثغرة ضئيلة. ولكن في اليوم نفسه قتل بفعل
القنابل ثلاثة من المصلين وجرح اثنان بين الكأس والمسجد. بعضهم وهم يصلون، والبعض الآخر
وهم يتوضأون. أما القتلى فهم: الحاج حبيب المغربي، ويحيى الاسمر، وغازي مصطفى صلاح.
وفي مساء اليوم نفسه أعاد اليهود الكرة، فألقوا على الحرم عشرين قنبلة من قنابل الموتر من
عيار ست بوصات. وقع معظمها في ساحة المسجد الأقصى، فأصابت الكأس وجامع النساء.
وفي ١٣ تشرين الثاني سقطت قنبلة على مقربة من المسجد الأقصى، بينه وبين السور من الشرق.



أثر القنبلة التي سقطت على سطح المسجد الأقصى في ٢٢ آب ١٩٤٨

عمران عبد الرحيم مني يفحص موضع العطب

وبينما كان العمال والمهندسون (٢) يعملون في تعمیر سطح المسجد الأقصى في اليوم الثلاثين من

(١) انتبست هذه التواريخ من سجلات دائرة الشرطة المكلفة بحراسة الحرم (١٩٤٨ م)

(٢) المهندس عارف الحسيني ورفيقاه يونس الشهابي وداود العفون.

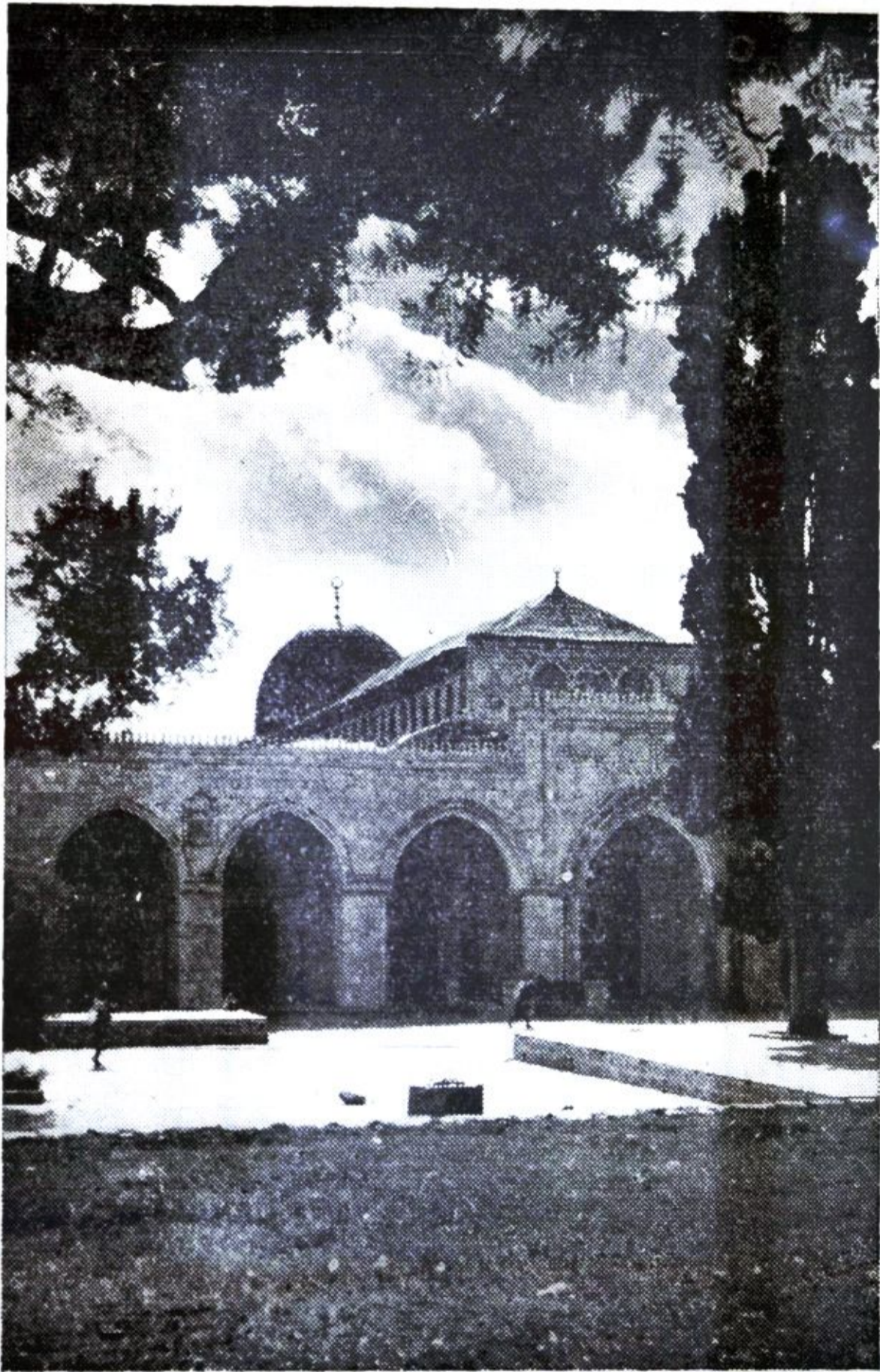
شهر كانون الأول ١٩٤٨ أطلق اليهود عليهم الرصاص من برج الكنيسة المعروفة بـ (كنيسة نياحة العذراء) في حي النبي داود، وكانوا قد احتلوها مع الحي في ١٨ ايار؛ فمنعوا عن مواصلة العمل. والغريب في الأمر أن اليهود قاموا بهـذا العمل بعد أن وقعوا اتفاقية مع الجيش العربي بوقف اطلاق النار.

ومع ذلك فقد كانت اصابات المسجد الأقصى أقل من اصابات مسجد الصخرة. فاني لم أر في هذا المسجد (أي الأقصى) سوى بعض الحدوش البسيطة في سقف الرواق الأوسط من الناحية القبلية الغربية من القبة. وبعض العطب في النوافذ المصنوعة من الزجاج المذهب. نافذتان: واحدة الى يمين المحراب، والثانية الى يساره؛ وثلاث نوافذ في الجدار القبلي، وخمس في الجدار الغربي. ولقد رأيت على سطح المسجد الأقصى من الخارج اثر القنبلة التي سقطت في ٢٢ آب. وعلى القبة من الداخل أثر رصاص البنادق. وحدثني القائمون على شؤون هذا المسجد أنهم رأوا على سطح القبة من الخارج أثر ماينوف عن ألف طلقة من رصاص البنادق والمدافع الرشاشة.

ولما وقف القتال في بيت المقدس، وسيطر الجيش العربي الأردني على المنطقة التي يقع فيها الحرم القدسي؛ امر الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية، بتجديد شباكين من شبايك المسجد الأقصى في جداره القبلي، تلك الشبايك التي اعطبت اثناء القتال. فجددا (١٩٤٩). كما أمر بصنع باب لمحراب زكريا، حيث كان يأتي لصلاة الجمعة. فصنع الباب (١٩٥١). ويعتبر هذا الباب من التحف الفنية. وضع تصميمه يوسف النجار واوجين شهوان. وقام بصنعه وزخرفته مصطفى قاسم الترمي واخوانه. وقد صنعه في دار الايتام الاسلامية بالقدس. وهو من خشب الزان. في وسطه تاج ملكي، وهو مزخرف ابداع زخرفة.

وفي تاريخ ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٢ استحضرت مصلحة الوقف ١٣٠ صفيحة من الرصاص البلجيكي، وصهرت في معامل دمشق ٢٠٦ صفايح. فاستبدلت بجزء منها ١٦٠ صفيحة من الصفايح القديمة البالية، ووضعتها على قبة المسجد الأقصى وفوق مقام الاربعين ومحراب زكريا وفوق السطح بين الرواقين الغربي والأوسط. وأما باقي الصفايح فقد وضعتها فوق قبة الصخرة، كما ذكرنا ذلك في فصل الصخرة. والذي تولى العمل هو عابدين بن الحاج سليم الارناؤوط من موظفي الحرم.

المسجد الاقصى المبارك في القدس الشريف

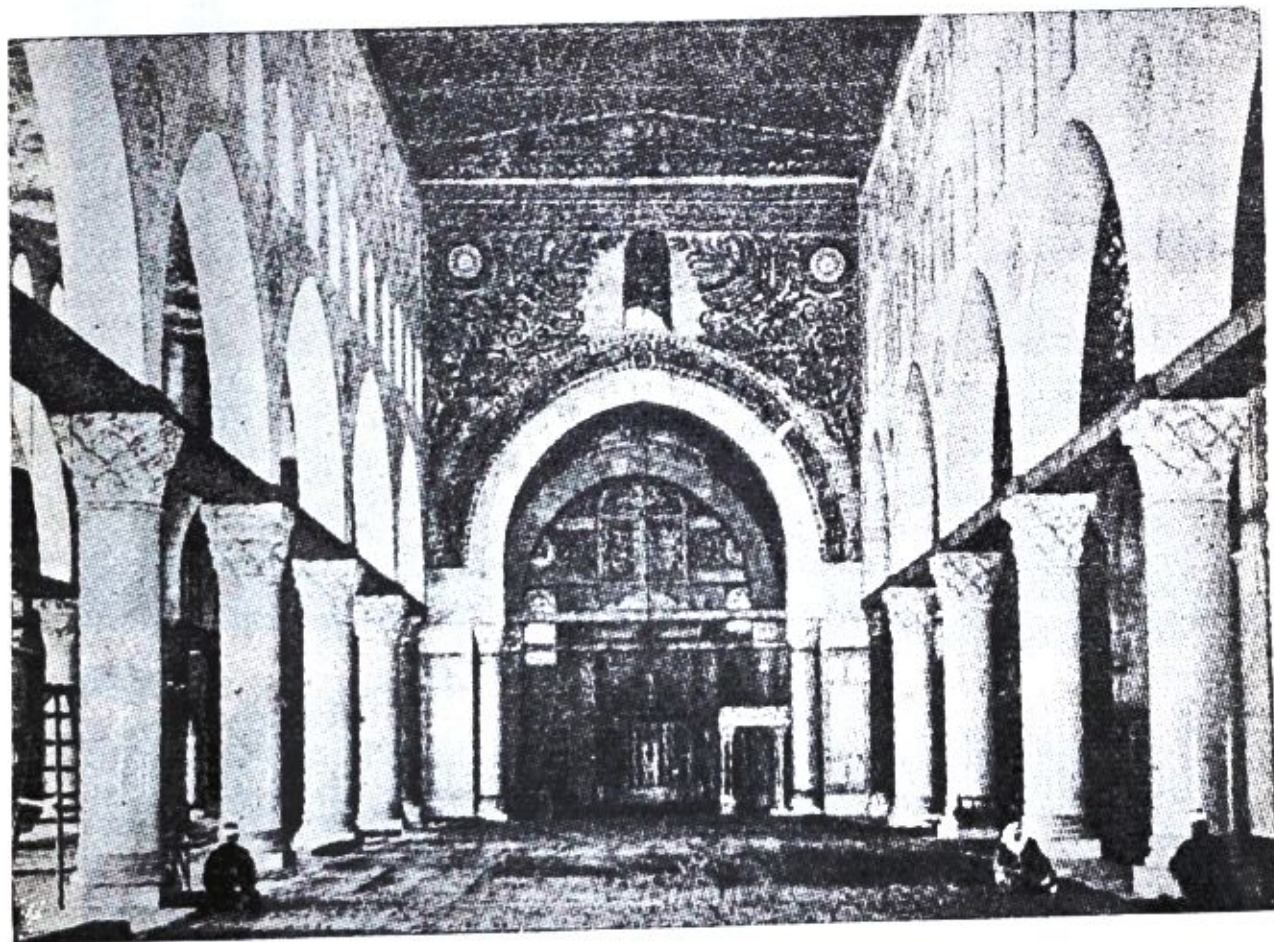


المسجد الاقصى المبارك

هذا المسجد المبارك هو من اقدس المساجد في العالم...
تمت في القدس الشريف في سنة ١٩٧٧ م

المسجد الاقصى كما رأيت في عام ١٩٥٨

طوله من الداخل ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً (١). وهو ممتد من القبلة الى الشمال ، في سبعة اكوار مرفوعة على ٥٣ عموداً من الرخام (٢) : ١٤ منها في الرواق الأوسط و ١٢ في الأروقة الثلاثة الشرقية و ٨ تحت القبلة و ١١ في جناح القبلة من الشرق و ٧ في جناحها من الغرب وواحد في مقام الأربعين . و ٤٩ سارية من الحجارة (٣) : ٤ منها تحت القبلة و ١٢ في الرواق الغربي و ٤ في الرواق الشرقي و ٣ في جناح القبلة من الغرب والباقيات متفرقات هنا وهناك . وهذه السواري ضخمة ومربعة الشكل . وأما الأعمدة فانها مصنوعة من الرخام المختلف الألوان . ارتفاع الأعمدة خمسة أمتار . وقطرها في قسمها الأعلى ٤٣ س م ، والأسفل ٥٢ س م . ويتراوح ارتفاع قواعدها وتيجانها بين ٥٥ و ٦٥ س م . والأعمدة معرقة تعريقاً جميلاً للغاية .
فوق الأعمدة أقواس حجرية تتراوح فتحاتها بين ٨٩ و ١٧٩ متراً . وارتفاعها من



الرواق الأوسط وعلى جانبيه الأعمدة الرخامية ومن فوقها الأقواس الحجرية

- (١) عندما وصفه مجير الدين في كتابه « الأنس الجليل » ج ٢ ص ٣٦٧ قال ان طوله مائة ذراع وعرضه ستة وسبعون ذراعاً بذراع العمل « ١٤٩٤ م » .
- (٢) قال مجير الدين ان الأعمدة خمسة واربعون : منها ٣٣ من الرخام و ١٢ من الحجارة الاعتيادية ، وهي التي تحت الجملون .
- (٣) قال مجير الدين ان السواري اربعون . وهذا ما قاله الأستاذ محمد كرد علي في « خطط الشام » ص ٢٧١ طبع سنة ١٩٢٦ م . وأما أنا فقد أحصيتها ووجدتها تسماً وأربعين .

أعلى الشدادات ٢٦ ر ٦ متراً . والشدادات التي تشد الأعمدة بعضها الى بعض مصنوعة من النحاس المطلي بالذهب .

والمسجد عبارة عن سبعة أروقة : ثلاثة من الشرق ، وأخرى مثلها من الغرب ، وواحد بينها في الوسط . والرواق الأوسط واسع ومرتفع . سقفه من الخشب ، ركب بشكل أفقي ، وزخرف بأوراق الذهب من عيار ٢٠ قيراط ، هو الذي قلنا أن الحكومة المصرية تولت تجديده سنة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٣ م .

فوق هذا السقف الخشي جسر من حديد . وفوق الحديد خشب تكسوه صفائح الرصاص . وفي الصدر قبة مصنوعة من الخشب . وهي في الحقيقة مكونة من قشرتين : الأولى من الداخل . وهي مزينة بالفصوص الذهبية الملونة (الفسيفساء) . وفيها النقوش والرسوم والكتابات العربية الجميلة التي نقلتها في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

والمسافة بين أرض المسجد وأعلى نقطة في القبة من الداخل ، عبارة عن سبعة عشر متراً وسبعين سانتراً . وللتأكد من صحة ذلك علينا أن نذكر أن ارتفاع العمود خمسة أمتار ، وارتفاع قاعدة العمود وتواجه متر واحد و ٤٤ س م ، وارتفاع القوس من الشدادات الى الجزء الأعلى منه ستة أمتار و ٢٦ س م ، وارتفاع القبة نفسها ٥ أمتار .

وأما القشرة الخارجية للقبة فانها عبارة عن الواح خشبية مصفحة من الخارج بالرصاص . والمسافة بين قشرتي القبة الداخلية والخارجية تتراوح بين ٧٥ س م عند الرقبة ، ومتران ونصف المتر في الوسط ، وثلاثة أمتار في القمة عند الهلال .

وهناك رقبة القبة ، وهي القسم الاسطواناني القائم بين القبة نفسها والاقواس التي ترتكز عليها . إنها مكسوة من الداخل بالفسيفساء .

وفوق الرقبة تقوم القبة . وهي قائمة على أربعة اقواس . يرتكز كل ركن من أركانها الأربعة على عمودين من رخام ، واسطوانة مربعة مكسوة ايضاً بالرخام . وهذه الأعمدة الثمانية والاسطوانات الاربع حديثة العهد ؛ هي التي وضعها المجلس الاسلامي الاعلى سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م .

وهناك تحت القبة وفي اقصى المسجد من القبلة ، محراب كبير ، هو الذي كانوا فيما مضى يسمونه : (محراب داود) . وصاروا بعدئذ يسمونه : (محراب عمر) . انه هو الذي جدد بناءه صلاح الدين . وقد ذكرت ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

وهناك الى يمين المحراب ، المنبر الجميل المصنوع من الخشب المنقور والمرصع بالعاج والابنوس ؛ هو الذي صنعه نور الدين محمود زنكي (١١٦٨ م) واتى به صلاح الدين من حلب يوم الفتح (١١٨٧ م) .

وحول المحراب كتبت الآيتان التاليتان من سورة الاسراء : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير . وآتيننا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبني إسرائيل ، ألا يتخذوا من دوني وكيلًا . »

كتبنا بالحط الكوفي الأسود على أرض نقشت بالفيسفساء المذهبة . ولم يستطع أحد القول بشيء من الجزم فيما اذا كانت هذه الكتابة من زمن صلاح الدين ، أو أنها ترجع الى العهد الأموي . وهناك في جدار المسجد من القبلة ، فوق المنبر والمحراب ، كتابة بالأحرف المعروفة بالثلث ، تشير الى التجديد الذي اجراه المجلس الإسلامي سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م . وقد ذكرناه في موضعه . ويقابل المنبر (دكة المؤذنين) ارتفاعها ثلاثة أمتار . وهي قائمة على اربعة عشر عموداً من الأعمدة الرفيعة من الرخام . تراها في الصورة التي اثبتها في الصفحة ١٧٥ .

وفي صدر المسجد ، من الغرب ، وفي داخل المقصورة المصنوعة من الحديد المشبك محراب آخر يسمونه : (محراب معاوية) .

وفي داخل المسجد ، عند زاويته القبلية الشرقية ، جامع متصل به ، يسمونه : (جامع عمر) . وهو مستطيل الشكل . إنه هو الذي قال مجير الدين عنه انه من بقية البناء الذي اقامه عمر يوم الفتح . انه جامع معقود بالحجارة والكلس . طوله ٣٠ متراً وعرضه ٨ أمتار . وفيه محراب صغير . وحول المحراب اربعة اعمدة صغيرة : اثنان منها ملتويان .

والى الشمال من جامع عمر ايوان كبير يسمونه : (مقام عزيز) . ويسمونه ايضاً : (مقام الأربعين) . (١) فيه محراب . وعلى حائطه « سورة الاسراء » من اولها الى قوله تعالى : « وجعلناكم اكثر نفيراً . » طول هذا المقام ٩ أمتار ، وعرضه ٨ ، وجدرانه مكسوة بالرخام .

والى الشمال من مقام عزيز ايوان صغير وجميل . فيه (محراب زكريا) . انظر الى الصورة في الصفحة ١٨٧ . طوله ستة أمتار وعرضه خمسة . وقد كتبت على جداره الآيات التالية :

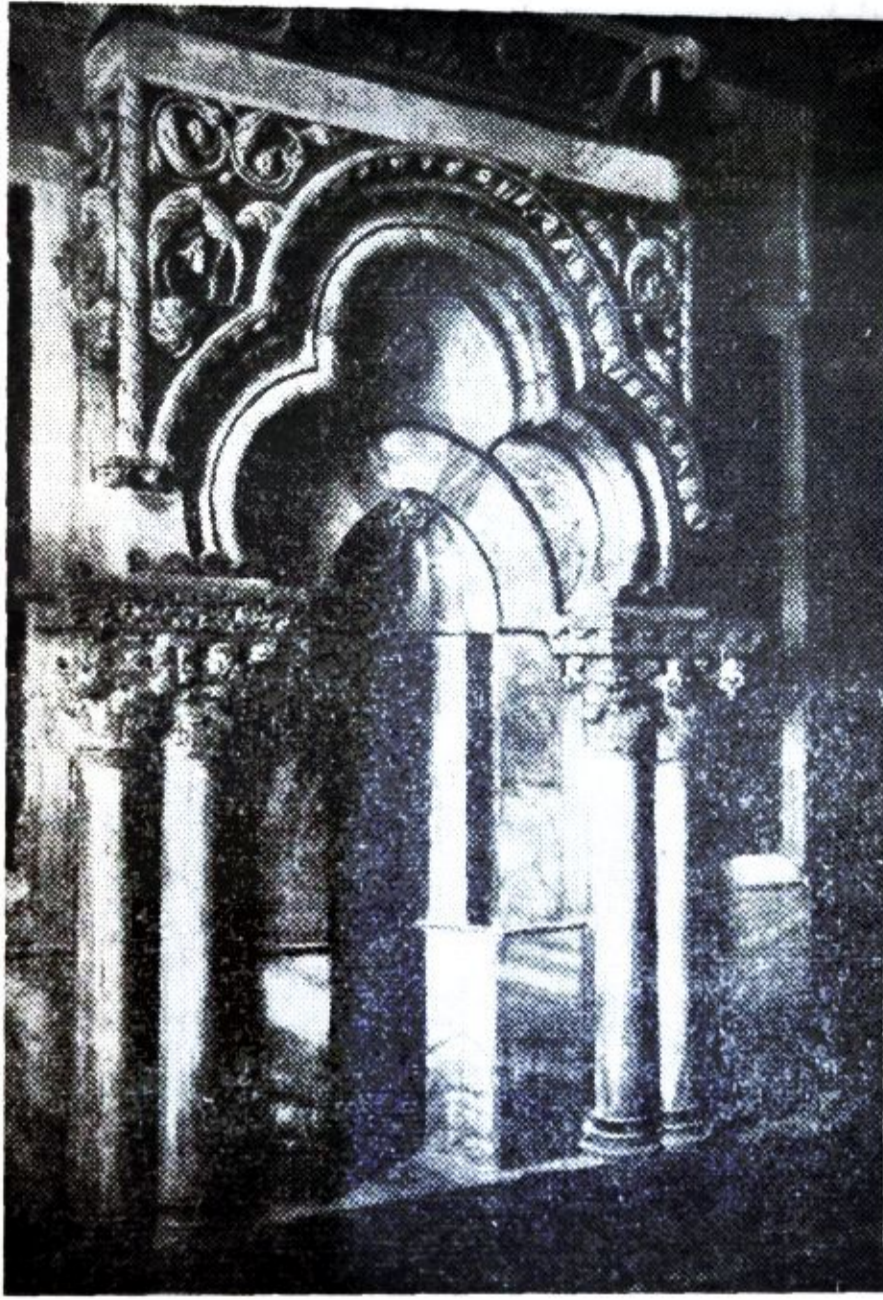
« بسم الله الرحمن الرحيم . كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . اذ نادى ربه نداء خفياً . رب اني وهن العظم مني ، واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً . واني خفت الموالي من ورائي ، وكانت امرأتي عاقراً ، فهب لي من لدنك ولياً . »

وهناك ، في الجانب الغربي الى القبلة ، جامع آخر يسمونه : (جامع النساء) . قال عنه غاي لوسترينج في كتابه (٢) انه من آثار الصليبيين . وأما مجير الدين (٣) فيقول أنه من بقايا الفاطميين . إنه عبارة

(١) السجل ٧٣ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس . ص ٣١٢ تاريخ ٩٩٩ هـ - ١٥٩٠ م

(٢) Palestine Under the Moslems by Guy Le Strange, P. III

(٣) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص ٢٦٧



محراب زكريا

عن عشر قناطر قائمة على تسع سوار
في غاية الأحكام .

والمسجد الأقصى في يومنا هذا
احد عشر باباً : سبعة منها الى الشمال
وهي كبيرة . كل واحد منها ينتهي الى
كور (رواق) من أكوار (اروقة)
المسجد السبعة . وباب الى الشرق وهو
الذي ينتهي الى مهد عيسى . وآخر الى
الغرب . وهناك ، من الناحية الغربية
أيضاً ، باب آخر يدخل منه النساء الى
الجامع المسمى باسمهن : (جامع النساء) .
وفي الجدار القبلي ، الى جانب المقصورة
الكائنة غربي المنبر ، باب غير نافذ الا
الى زاوية ذكرناها في (تاريخ القدس) .
وأمام المسجد من الناحية الشمالية
رواق كبير هو الذي أنشأه الملك المعظم

عيسى (٦٤ هـ - ١٢١٧ م) . انظر الى الصورة في الصفحة ١٨٨ . انه رواق واسع وكبير .
وقد جدد من بعده . وهو مؤلف من سبع قناطر مقصورة . كل قنطرة منها تنتهي عند
باب من أبواب المسجد السبعة .

وفي المسجد الأقصى ١٣٧ نافذة : ٧ منها في القبلة . وهي كبيرة صنعت من الزجاج الملون ؛ ينفذ
منها نور ضئيل . و ٤٢ في الرواق الأوسط نصفها تطل على الرواق الشرقي ، والنصف الآخر على
الرواق الغربي ؛ والبور ينفذ منها كلها . ذلك لان الرواق الأوسط أعلى من الرواقين المذكورين .
و ٤٣ في حائط المسجد الشرقي : ٢٤ منها بالزجاج الملون و ١٠ من غير زجاج ينفذ منها النور .
و ١٤ في حائطه الغربي : اثنتان كبيرتان ينفذ منها النور و ١٢ بالزجاج الملون . و ١٦ في الحائط
الشمالي كلها بالزجاج الملون . و ٢٤ في الحائط القبلي : اثنتان منها مفتوحتان ينفذ منها النور و ٢٢
بالزجاج الملون .

المسجد الأقصى مفروش بالسجاد العجمي : معظمه وضع هناك في زمن السلطان عبد الحميد

الثاني . وفي وسط القبة (ثريا) هي التي اهداها السلطان نفسه . وكانت قبلا في مسجد الصخرة ،
ثم نقلوها إلى المسجد الأقصى سنة ١٩٥٠ م



الرواق الذي أنشأه الملك المعظم عيسى ٦١٤ هـ - ١٢١٧ م

الأقصى القديمة :

قبل أن نختتم هذا الفصل، نرى لزماً علينا أن نشير إلى المكان الذي تحت المسجد الأقصى الحالي والذي نسميه نحن أبناء بيت المقدس: (الأقصى القديمة). إنه عبارة عن دهليز واسع وطويل . (أنظر إلى الصورة في الصفحة ١٨٩) . يتألف من سلسلة عقود ترتكز على أعمدة ضخمة . بعضها أسطواناني ، والبعض الآخر مربع الشكل . وهناك إلى جانب هذا الدهليز ، دهليز آخر يسمونه : (اسطبل سليمان) . وهو واقع تحت الجزء المرصوف من أرض الحرم شرقي المسجد الأقصى . وجزء آخر منه يقع تحت المسجد نفسه . والمعتقد أنه كان فيما مضى جزءاً من هيكل سليمان .

ذكره صاحب تاج الدين فقال :

« بناؤه عجيب . وأتفن من المسجد الذي فوقه . وله من داخل الحائقاء الاصلاحية المجاورة لمقصورة الخطابة سليمان : أحدها ٣٦ درجة ، والثاني ٥٤ درجة . والمكان في غاية النور لما عمل له من المناور والطاقت المحكمة . إنه عبارة عن رواقات عقودها محمولة على عمد من الصوان



الأقصى القديمة — تحت الارض

وأركان البناء . عرضه من القبلة الى الشمال يتراوح بين ثمانية أذرع وتسعة وعشرة . وارتفاع عقوده عن الأرض يتراوح بين خمسة عشر ذراعا وعشرين . « انتهى قول تاج الدين . ولقد دخلته في صغري ونزلت إليه من درج عريض ملاصق للرواق الذي بناه الملك المعظم عيسى شمالي المسجد . هذا يؤدي الى الأقصى القديمة . وهناك في أقصى أرض الحرم من الشرق باب ودرج ضيق ملاصق للسور . يؤدي الى الدهليز المعروف باسمطبل سليمان .

العقارات الموقوفة لمسجدي الأقصى والصخرة :

ان لمسجدي الأقصى والصخرة أراض وعقارات موقوفة؛ رصد واقفوها في العهود الغابرة ريعها لمصلحة هذا المقام الاسلامي الجليل . وإنا لندا كرون منها : هذه الدار التي يطبع في مطابعها هذا الكتاب .. دار الأيتام الاسلامية .. وكانت فيما مضى مقراً للحكام والمتصرفين الاتراك؛ والدار المقابلة لها في عقبة السرايا ، وفيها تكية خاصكي سلطان . والحان المعروف بخان السلطان على الطريق المؤدية الى

باب السلسلة من أبواب الحرم . والدار التي كانت فيها المحكمة الشرعية عند باب السلسلة وكانت قبلاً تعرف بالمدرسة التنكزية . والدار القريبة منها عند الباب المذكور المعروفة بدار الشيخ الحلبي . والبناء الكبير المعروف بمدرسة الروضة على درب الآلام ، وكان قبلاً يعرف بالمدرسة الجاولية . والدار المعروفة الآن بالمدرسة البكرية عند باب الملك فيصل ، وكانت قبلاً تعرف بالمدوادية . وحمام الشفا في حارة الواد . وعدد من الدكاكين على مقربة منه في سوق القطانين . والدارين الكبيرتين الواقعتين على مقربة من ضريح علاء الدين البصري عند باب الناظر ، وقد اتخذها الاتراك سجناً ، وتعرفان حتى الآن بـ (حبس الرباط) و (حبس الدم) .

هذه كلها واقعة في البلدة القديمة داخل السور . وهناك داخل السور دور ومخازن وأمكنة أخرى تجدها في أحياء المدينة موقوفة باسم الصخرة والاقصى . وكذلك قل عن الأراضي والعقارات الأخرى خارج السور : مثل كرم سقا وعمرتا في حي الشيخ جراح . وفرن ودكان في حي سعد وسعيد . وأرض الخاتونية . وأرض الناظر في وادي الجوز . وفندق الأوقاف (بالاس أوتيل) تجاه مقبرة مأمّن الله . وغيرها كثير .

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

بدرية

الباب الرابع

الحرم القدسي : امس واليوم



منظر عام لمنطقة الحرم القدسي

الحرم القدسي :

ان جميع الأماكن المتقدم ذكرها ، مسجد الصخرة والمسجد الأقصى وما بينها من مبان ومنشآت حتى الأسوار ، هي التي نسميها في يومنا هذا : (الحرم القدسي) و (الحرم الشريف) . مساحته بوجه الاجمال ٢٦٠٠٠٠ متر مربعاً . وأما بوجه التفصيل : فمن الناحية الشرقية ١٥٣٠ قدماً (٤٧٤ متراً) . ومن الناحية الغربية ١٦٠١ قدم (٤٩٠ متراً) . ومن الشمال ١٠٤٢ قدماً (٣٢١ متراً) . ومن الجنوب ٩٢٢ قدماً (٢٨٣ متراً) .

موضوع من الناحية الطبوغرافية :

قال صفي الدين بن عبد الحق (١) :

« ان المسجد الأقصى واقع في طرف المدينة القبلي من شريقها . بني على سفح الجبل . فمذاه قطعة كان الجبل عالياً عليها ، فوطئت . والقطعة القبليّة مستقلة ؛ فأقيمت عليها اعمدة وسقف عليها حتى اعتدلت بأرضه . وفي وسط المسجد جبل صغير اعلاه الصخرة المشهورة التي كان بنو اسرائيل يقربون عليها قربان ، وهي القدس . وقد بني عليها بناء مثل الدكة لها درج من جهاتها الاربع يصعد اليها منها . والصخرة في وسطها بقيت اعلى مما حولها بشيء يسير . . . »

هيكل بني اسرائيل :

كان قائماً فوق سهل مرتفع كان فيما مضى يدعى : (تل المريا) . وسماه بعضهم : (جبل صرية) . وقد ورد ذكره في سفر التكوين يوم أتى ابراهيم بولده اسحق الى هذا المكان ليضحى به . وهو أيضاً المكان الذي كان فيه بيدر (أرنان) اليبوسي . فاشتراه داود الملك بخمسين شاقلاً من الفضة ليقم عليه الهيكل . ولكن داود مات (١٠١٥ ق م) دون أن يبلغ أربه ، أو يبني الهيكل . فجاء من بعده ولده سليمان ، وتولى مشروع أبيه ؛ فبنى الهيكل ، بعد أن مهد له السيل . إذ كانت الأرض التي أختيرت هناك لبناء الهيكل معوجة ومرتفعة ؛ فمهدا سليمان وسواها ، ثم أنشأ عليها هيكلًا (١٠٠٥ ق م) .

ظل هيكل سليمان قائماً الى أن احتل ملك بابل نبوخذ نصر اورشليم ؛ فسي سكانها اليهود ، وأرسلهم الى بابل ؛ ثم أحرق الهيكل (٥٨٦ ق م) .

ولما تبوأ كورش عرش الفرس ، أذن لمن شاء من اليهود بالعودة الى القدس . فعاد فريق منهم (٥٣٨ ق م) ليعيدوا بناء الهيكل ، وبنوا السور من جديد .

(١) اقرأ كتابه (مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع) وهو موجز لمعجم البلدان لياقوت . نشر في لندن سنة ١٨٥٠ م .

وتحدثنا أسفار العهد القديم^(١) أن اليهود ذاقوا الأمرين من جراء مقاومة العرب والعمونيين والأشدوديين والخورونيين لهم في ذلك الحين ، وأن هؤلاء عملوا يداً واحدة على منع اليهود من بناء السور ؛ وانهم ، في بادئ الأمر ، رفعوا شكواهم الى ملك الفرس ارتخشستا طالبين عدم السماح لليهود بالبناء ؛ وإلا فقد هددوه بالعصيان وقطع الصلات الودية ، اذا هو لم يمثل لنصائحهم ؛ وانهم - بعد ذلك التهديد - أوقفوا اليهود عن العمل بذراع وقوة .

بيد أن هذه الأسفار نفسها تعود في موضع آخر ، فتحدثنا ان اليهود تمكنوا بعدئذ من اقناع دارا ملك الفرس ؛ فاذن لهم هذا ببناء السور ، فبنوه . ثم بنوا الهيكل . وقد تم ذلك على يد نحاميا (٤٤٥ ق م) .

ويبدو أن هذا الهيكل ، وهو المعروف بالهيكل الثاني ، قد آل الى الخراب اثناء الحروب التي اوقد نارها المكابيون (١٦٧ - ٣٧ ق م) .

ولما استتب الأمر للرومان في هذه البلاد (٦٥ ق م) ، وراح هيرودس الملك بعدئذ يدير البلاد باسمهم ، رمم هذا بناء الهيكل (١٨ ق م) . ليرضي قومه اليهود^(٢) . وهذا ما يسمونه بالهيكل الثالث .

أحرق هذا الهيكل في عهد تيطس (٧٠ م) بعد أن ذاقت القدس الأمرين بسبب الحصار الذي فرضه هذا القائد الروماني على اليهود . وعندما تم له فتحها ، هدم قدس الأقداس . وازال كل ما في منطقة الهيكل من عمارات . وفي قول إن الهيكل احرق يومئذ عمداً (١٠ آب ٧٠ م) وإن الذي أحرقه جندي من جنود تيطس السوريين .

ولما اعتلى عرش الرومان الامبراطور هدریان (ادريانوس) ١١٧ م أتى على ما تبقى من الهيكل . وهدم أورشليم . فجعل عاليها سافلها (١٣١ م) . وبعد مضي اربع سنوات على خرابها أقام على أنقاضها (١٣٥ م) مدينة جديدة أسماها (ايليا كابيتولينا)^(٣) . وأنشأ ادريانوس في المكان الذي كان يقوم عليه هيكل بني اسرائيل صنما يمثله هو (أي ادريانوس) وآخر يمثل المشتري (Zupiter) . وطرده اليهود من أورشليم ، وحرّم عليهم الرجوع اليها . وبعد حين سمح لهم أن يزوروا منطقة الهيكل ، فيشاهدوا أطلاله مرة واحدة فقط في كل سنة (٩ آب) .

(١) اقرأ الاصحاحين الثاني والثالث من سفر (نحاميا) .

(٢) كان هيرودس آدومي الأصل ، يهودي المذهب ، روماني الجنسية . وكان اليهود يكرهونه كرها شديداً .

(٣) ان هذا الاسم مأخوذ من اسم اسرته (ايلوس) واسم النصب (جويتر كابيتولين) الذي نصبه فوق الجلجلة اي المكان الذي يقال إن السيد المسيح صلب فيه .

منطقة الهيكل في العهد المسيحي :

ظلت منطقة الهيكل مهجورة خمسة قرون صحاح أي طيلة العهد المسيحي . فالمسيحيون لم يبنوا في تلك المنطقة أي بناء . ليس هذا فحسب . فقد هدموا النصبين^(١) اللذين أقامها أدريانوس في تلك المنطقة .

بلى وربك . فقد كره المسيحيون منطقة الهيكل . أو لم يقل السيد المسيح الى تلاميذه عندما أروه أبنية الهيكل : « الحق أقول لكم . إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض . . . »^(٢) .
قد أشار الى هذا القول ابن البطريق وقال : « ان الروم لم يعظموا الموضع الذي كان يقوم عليه هيكل بني اسرائيل . ولم يبنوا عليه كنيسة . »

منطقة الهيكل بعد الفتح الاسلامي :

ظل موضع الهيكل خراباً حتى الفتح العمري . ولما فتح الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مدينة القدس (١٥ هـ - ٦٣٦ م) وكانت يومئذ تدعى (ايليا)^(٣)؛ زار ، أول ما زار ، كنيسة القيامة . وبعد أن أعطى نصارى ايلياء وبطركهم صفرونيوس عهده المعروف بـ (العهد العمري) ؛ طلب الى البطريك أن يريه مكان الهيكل . وفي قول - وهذا هو الأصح - إن عمر طلب الى البطريك أن يدلّه على مكان يبني فيه مسجداً للمسلمين ، فدله البطريك على منطقة الهيكل .
وذهب الاثنان معاً الى منطقة الهيكل ، يرافقها عدد من الصحابة والقسس وقادة الجيش . وكان المكان مهجوراً بالمرّة ، ينشق فوقه بوم الخراب . ولم يكن فيه سوى الطلل الباقي من عهد الرومان . ولم يكن على الصخرة اي نوع من انواع البناء . لا بل كانت الصخرة مغطاة بالزبل والاقذار . اذ كان سكان المدينة قد اتخذوها مزبلة .

فدهش عمر . وراح ينضح التراب بكفيه ، وينقله بثوبه . وتبعه الصحابة ، فراحوا يرفعون عن الصخرة التراب ، الى ان بدت للناظرين ، فأمر عمر ببناء مسجد في ذلك المكان .
ذكر المؤرخون هذه الحقيقة . وهي ان عمر رضي الله عنه قد بنى مسجده في المنطقة التي كان

-
- (١) كان آخر من رآها هناك The Bordeaux Pilgrim وكان ذلك عام ٣٣٣ م . ثم جيروم . وكان ذلك في الربع الاخير من القرن الرابع .
(٢) انجيل متى . الاصحاح الرابع والعشرون - العدد ٢ .
وانجيل لوقا . الاصحاح التاسع عشر - العدد ٤٤ .
(٣) تضاربت آراء المؤرخين في تعيين السنة التي فتح فيها عمر ايلياء : فمنهم من قال إن ذلك تم سنة ١٥ هـ . ومن قال في ١٦ وفي ١٧ هـ . وقد بينا وجه الخلاف في كتابنا (تاريخ القدس) . وقد اعتمدنا السنة الخامسة عشرة للهجرة .

يقوم فيها الهيكل . وقال بعضهم (١) انه رأى المسجد بميئته ، وأنه كان من خشب ، وانه يتسع لثلاثة الاف من المصلين . ولكن احداً من هؤلاء وأولئك لم يذكر لنا : أين كان ذلك المسجد بوجه التحديد ؟ فمنهم من قال انه كان عند الصخرة التي نظفها عمر بيده ، ومنهم من قال انه كان في الموضع نفسه الذي يقوم عليه البناء الحالي للمسجد الأقصى (٢) .

عناية المسلمين بالحرم :

وصفنا لك في السطور المتقدمة عناية المسلمين بمسجدي الصخرة والأقصى في العهود الاسلامية الغابرة . وفيما يلي نبذ أخرى تدلك على مبلغ عنايتهم بالحرم كله ، وبجميع أطرافه . فنقول : سواء بنى عمر رضي الله عنه مسجده في هذا الموضع ، أو ذاك ؛ على الصخرة ، أو الى جانبها ، أو بعيداً عنها ؛ فإنه مما لا شك فيه أن موضع الحرم الحالي بوجه الاجمال مقدس في نظر المسلمين . إنه أولى القبلتين . فقد صلى المسلمون عليه في بادىء الأمر نحو سبعة عشر شهراً (٣) قبل أن يتخذوا الكعبة قبلتهم (٤) .

وهو ثالث الحرمين اللذين خصها الله بالشرف والتعظيم (٥) .

روي عن النبي (صلعم) أنه قال : « إن الصلاة في المسجد الأقصى أفضل من الصلاة في غيره بخمسة مرة . » ولهذا أمر المسلمين بأن يحرموا للحج من بيت المقدس . وفي ذلك قال : « من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة . »

وذكر السيوطي في (الجامع الصغير) : « إن من أحرم بحج أو عمرة من المسجد الأقصى كان كيوم ولدته أمه . »

روى الحافظ بن عساكر بسنده الى أبي المعالي المقدسي (٦) عندما ذكر بناء عبد الملك فقال : - « كان فيه في ذلك الوقت من الخشب المسقف ستة آلاف خشبة . وفيه من الأبواب خمسون باباً . ومن العمدة ستماية عمود رخام . وفيه من المحاريب سبعة . ومن السلاسل أربعماية سلسلة إلا خمس

(١) من هؤلاء السامع المعروف اركولف الذي زار القدس حوالي سنة ٦٧٠ للميلاد .

(٢) اقرأ ما كتبناه عن مسجد عمر في موضع آخر من هذا الكتاب .

(٣) مثير الغرام . ص ١٣٧

(٤) وفي ذلك نزلت الآية الكريمة : « قد نرى تقاب وجهك في السماء ، فنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره . »

(٥) الأول المسجد الحرام بمكة . والثاني مسجد الرسول بالمدينة . والثالث هو هذا (أي المسجد الأقصى) . وقد جاء في الحديث : « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى . »

(٦) A Brief Guide to Al-Haram Al-Sharif, by the Moslem Supreme Council, 1924, p. 3

عشرة : مائتان وثلاثون سلسلة في المسجد ، والباقي في قبة الصخرة . وذرع السلاسل أربعة آلاف ذراع . ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل شامي . وفيه من القناديل ألفا قنديل . وكان يسرج مع القناديل ألفا شمعة في ليالي الحير ، وفي النصف من رجب وشعبان وفي ليلتي العيد . وفيه خمس عشرة قبة خلا قبة الصخرة . وسطح المسجد ملبس بالرخام .

وصف ابن الفقيه (١) الحرم القدسي سنة ٩٠٣ للميلاد ، فقال :

« إن طول المسجد (مسجد بيت المقدس) ألف ذراع وعرضه سبع مائة ذراع . وفيه أربعة آلاف خشبة ، وسبعماية عمود ، وخمس مائة سلسلة نحاس . ويسرج فيه كل ليلة ألف وستائة قنديل . وله من الحصر في كل سنة ثمان مائة ألف ذراع . وفيه خمسة وعشرون ألف (؟) جب للماء . وفيه ستة عشر تابوتاً للمصاحف المسبلة وفيها مصاحف لا يستقلها الرجل . وفيه أربعة منابر للمطوعة وواحد للمرتزقة . وله أربعة مياض . وطى سطوح المسجد مكان الطين خمسة وأربعون الف صحيفة رصاص . وداخل المسجد ثلاثة مقاصير للبناء . طول كل مقصورة سبعون ذراعاً . وفيه خمسون (؟) باباً داخلاً وخارجاً . ووسط المسجد دكان طوله ثلاثمائة ذراع في خمسين ومائة ذراع . وارتفاعه تسعة اذرع . وله ست درجات الى الصخرة . والصخرة وسط هذا الدكان (٢) . وفيه من الخدم مائة وأربعون خادماً .

وصف ابن عبد ربه الأندلسي (٣) الحرم في كتابه (العقد الفريد (٤)) بعد ابن الفقيه بمئتين سنين (٩١٣ م) فقال : « ان طول الحرم سبعمائة واربعه وثمانون ذراعاً ، وعرضه اربعمائة وخمسة وخمسون من النوع المعروف بذراع الامام (٥) . وان فيه ستة آلاف وتسعمائة دعامة خشبية ، وستمئة واربعمئة وثمانون عموداً ، وستمئة سلسلة لتعليق القناديل . وكانت يسرج فيه يومئذ الف وخمسمئة قنديل . وفي الحرم عشرة محاريب ، وخمس عشرة قبة ، واربع وعشرون بئراً ، واربع مآذن . وله خمسون باباً . وجميع أسطحه المنازل والقباب والمآذن مغطاة بالصفائح الذهبية . وعدد خدمه مع عائلاتهم مئتان وثلاثون مملوكاً . يتقاضون ارزاقهم من الخزانة العامة . ويستعمل في إنارة الحرم الف رطل من الزيت . وفيه ثمانية آلاف حصيرة .

(١) ابوبكر أحمد بن محمد الهمداني الملقب بابن الفقيه . وقد نقلنا روايته هذه عن النسخة المطبوعة (١٣٠٢) من كتابه (مختصر كتاب البلدان) ص ١٠٠ . وعنه أخذ السيوطي معظم معلوماته عن الحرم القدسي . كما أخذ مجير الدين معظم أخباره عن الحرم عن السيوطي .

(٢) المقصود من الدكان هنا هو صحن الصخرة وفنائها . وهي كلمة فارسية استعملها نصري خسرو الرحالة الفارسي في كتابه (سفرنامه) . واما المقدسي فقد عبر عنها بقوله : الفكة .

(٣) الامام شهاب الدين احمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي .

(٤) اقتبسنا هذا الوصف عن الطبعة الثانية للعقد الفريد ، وهي التي طبعت في المطبعة الأزهرية بمصر عام

١٩٢٨ م . الجزء ٣ الصفحة ٢٦١

(٥) يظهر ان الامام علي احدث بعض التغييرات في المقاييس التي كانت معروفة في صدر الاسلام .



وقد خصص للحرم ثلاثة وثلاثون ديناراً في السنة لقران المصاييح، وخمسة عشر ديناراً للعمال الذين يعمرون الأسطحة، واثني عشر ديناراً لشراء القطن تصنع منه فتايل المصاييح . . . »
ويفهم مما قاله العمري (١) : انه كان بين السور الشرقي وصحن الصخرة مئة شجرة من اشجار اليمس والتوت والتين والزيتون . وان الناس يستظلون بظل هذه الأشجار ، ويصلون تحتها .
شغل العمري بالقياسات اكثر من أي شغل آخر . انه لم يذكر إلا النزر اليسير عن الأشخاص الذين بنوا هذا الجزء أو ذاك من اجزاء الحرم . ولكنه ذكر الشيء الكثير عن المساحات والقياسات وما الى ذلك . وقد اخذ العمري وصفه للمسجد عن كتيب اسمه (سلسلة المسجد في صفة الصخرة والمسجد) لمؤلفه صاحب تاج الدين ابو الفضائل احمد بن امين الملك .

وعلى قول المقدسي (٩٨٥ م) إن طول الحرم الف ذراع من الذراع المعروف بالملكي الهاشمي ، وعرضه سبعمئة ذراع . وفي سقوفه أربعة آلاف لوح من الخشب يحملها سبعمئة عمود من الرخام . والأسطحة مغطاة بصفائح من الرصاص عددها خمس واربعون الفاً . وينفق في إضاءته مئة وخمسون رطلاً . ويفرش في السنة ثمانمئة الف ذراع من الحصير . ولقد أقام عبد الملك بن مروان على خدمة الحرم اناساً ينتقون من حصة الملك (وهي الخمس) من الأسرى الذين يأسرهم المسلمون في حروبهم . ويسمونهم (الأحماس) .

ورأى نصري خسرو الحرم عندما هبط بيت المقدس سنة ١٠٤٧ م . فوصفه في كتابه (سفرنامه) . ومما قاله (٢) : -

« رأيت عند الجانب الشمالي ، بجوار قبة يعقوب عليه السلام ، طاقاً مكتوباً على حجر منه ان طول هذا المسجد اربع وخمسون وسبعمائة ذراع ، وعرضه خمس وخمسون واربعمئة ذراع ؛ وذلك بذراع الملك المسمى في خراسان « كزشايبكان » . وهو اقل قليلاً من ذراع ونصف . . . »

* * *

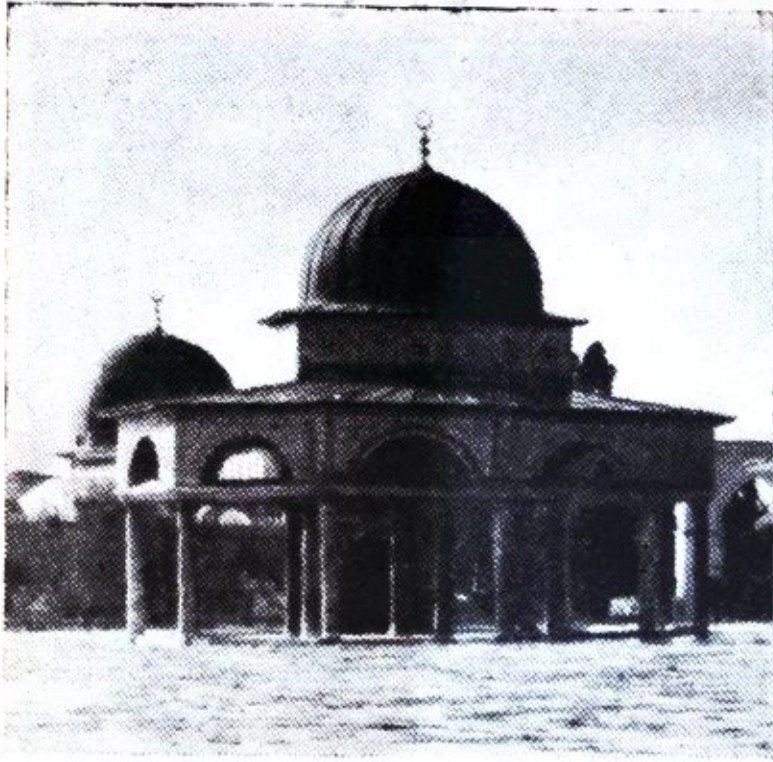
الآن وقد انتهيت من اعطائك هذه المعومات التاريخية عن الحرم بوجه عام ؛ اري لزاماً على ان احدثك في الصفحات التالية عما اعرفه عن المنشآت الاخرى الكائنة في جنباته ، وعن قبابه ، وماذنه ، وأروقته ، وآباره ومياهه ؛ وعن ابوابه ، ومنشئاته الاخرى ؛ وعن سدته وخدامه وسائر موظفيه ؛ وعن الاسلوب المتبع في استخدام هؤلاء الموظفين ، وفي استبدالهم ، وعزلهم ؛ وما الى ذلك من الامور .

وساتبع ذلك كله بفصل عن المعتقدات والاساطير التي حامت حوله من اليوم الذي بني فيه الى يومنا هذا .

١ مسالك الأبصار ص ١٥٥

٢ الترجمة العربية للدكتور يحيى الخشاب .

القباب :



قبة السلسلة

(قبة السلسلة) شرقي الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من بابها المعروف باب داود . وتسمى أيضاً : (محكمة داود) . فيها صفان من الأعمدة : - صف من الخارج فيه أحد عشر عموداً . وآخر من الداخل فيه ستة أعمدة . ولما ذكرها ابن الفقيه قال إنها قائمة على عشرين عموداً من الرخام وإنها ملبسة بصفايح الرصاص . ذكرها مجير الدين في الصفحتين ٣٧٢ و ٢٤١ من كتابه الانس الجليل فقال :

إن الذي بناها هو عبد الملك بن مروان ، وإنها بنيت سنة ٥٧٢ هـ - ٦٩١ م .

وقد أجمع المؤرخون أن بناها هو عبد الملك . ومن هؤلاء المقدسي وأبو الفداء والسيوطي وغيرهم كثيرون . فمن قائل أنها بنيت لتكون نموذجاً يسير عليه البناءون في بناء مسجد الصخرة . ومن قائل أنها بنيت لتكون (بيتاً للعال) الذي تخصص لبناء ذلك المسجد . ولهذا يسميها البعض (قبة الحزنة) . فإذا صح أنها بنيت لتكون نموذجاً لمسجد الصخرة ، فإنها تكون قد بنيت سنة ٦٦ هـ - ٦٨٥ م أي في السنة التي شرع فيها ببناء مسجد الصخرة ، أو قبل ذلك بقليل . كان سليمان بن عبد الملك يعقد فيها مجالسه الإدارية . جدها وزخرفها الملك الظاهر بيبرس (٦٦١ هـ - ١٢٦٢ م) .

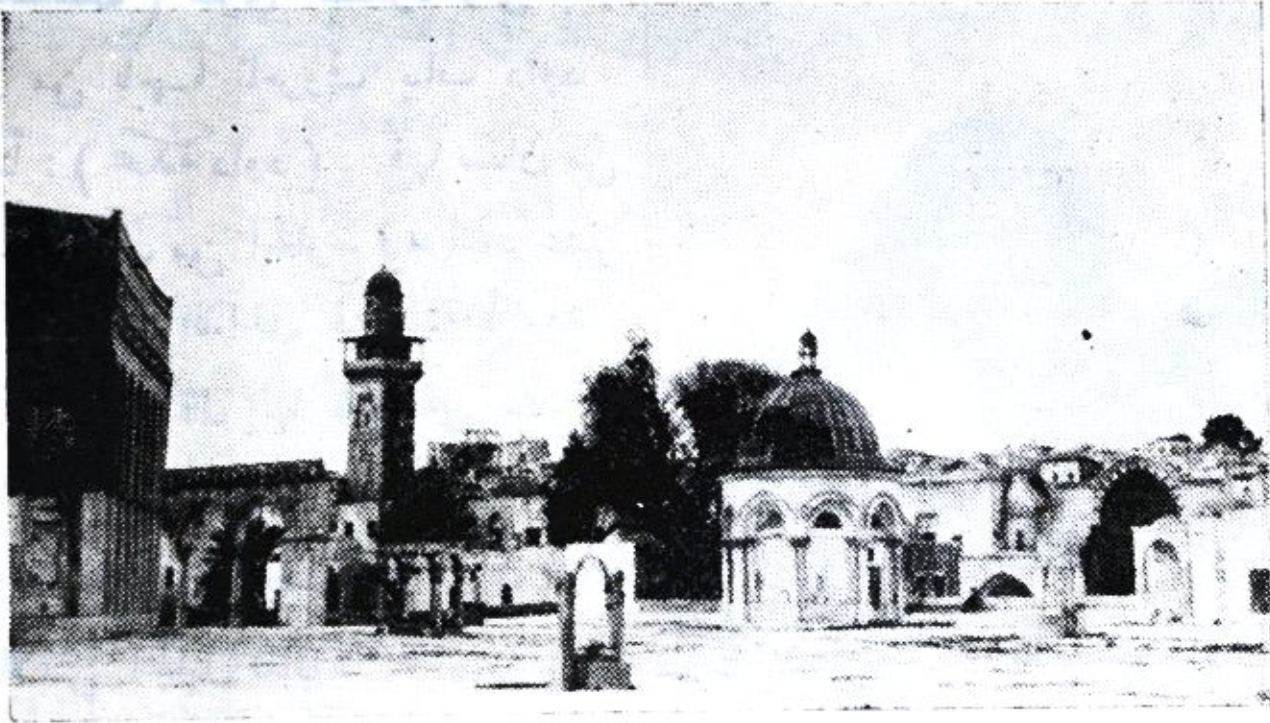
فيها محراب نقشت فوقه هذه الكلمات : -

« يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، هذا هو السطر الأول . أما السطر الثاني فهو : « أمر بتجديد هذا القاشاني (١) المقام الشريف السلطاني مولانا السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد خان خلد الله ملكه وأيد دولته إلى يوم اليعاد سنة ٩٦٩ هـ » - ١٥٦١ م .

(قبة المعراج) غربي مسجد الصخرة الى الشمال . بنيت في بادئ الأمر تذكراً لعروج النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء . ولا نعلم بالضبط متى بنيت لأول مرة ؟ ومن الذي بناها ؟ ولكننا نعلم أن

(١) نوع من البلاط يصنع في (قاشان) من بلاد العجم . وقد ذكرناه بالتفصيل في موضع آخر .

الذي أعاد بناءها بشكلها الحالي هو الأمير الاسفهمسار عز الدين سعيد السعداء ابو عمر عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي متولي القدس . وكان ذلك في سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م .



قبة المعراج

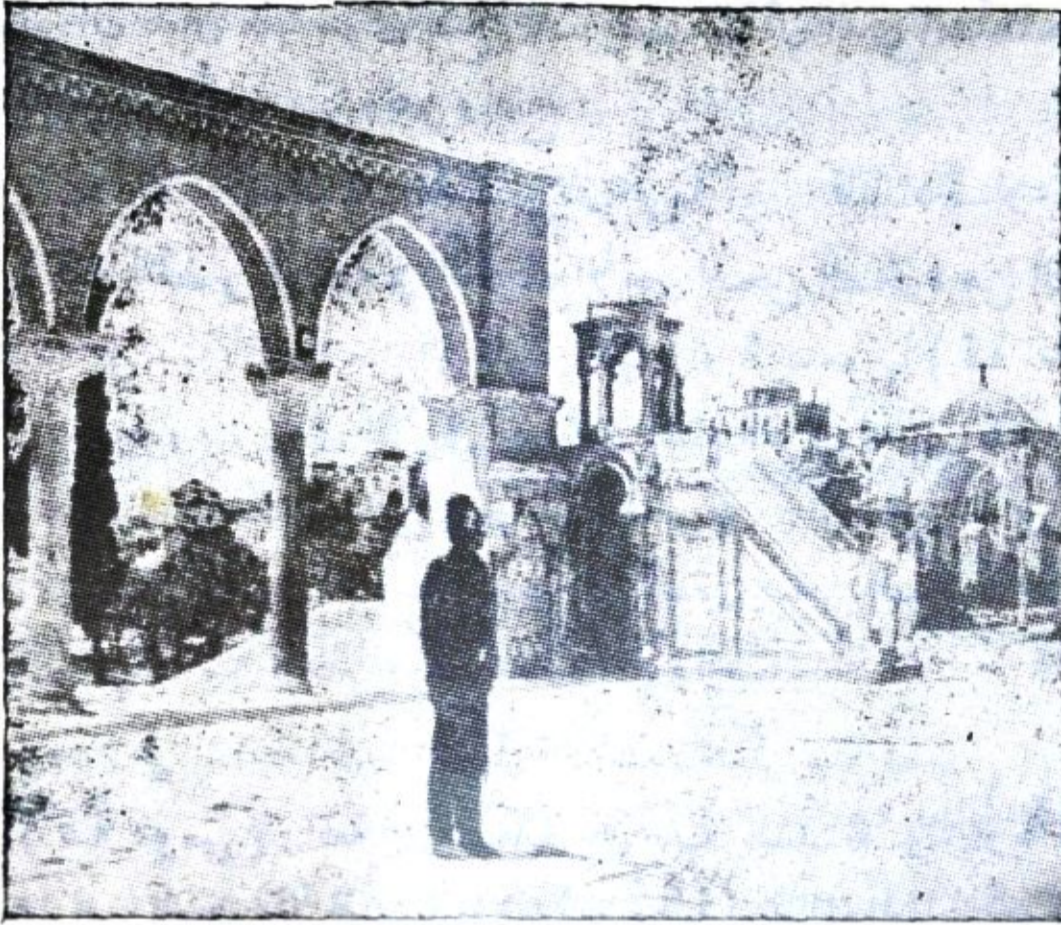
هذا ثابت بالكتابة المنقوشة على باب القبة من الشمال وهي تقول : —
« بناها الاسفهمسار عز الدين أبو عمر عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي متولى القدس سنة ٥٩٧ هـ . » ويقول مجير الدين (١) عند ذكره هذه القبة إنه كان هناك ، قبل ذلك التاريخ ، قبة قديمة ثم اندثرت . ويظهر أنها عمرت مرة أخرى سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م . فوق محرابها الآية الاولى من سورة الأسراء . وتاريخ وقفها ١٦٩٥ م . وهي مشعنة الأضلاع قائمة على ستة عشر عموداً من الرخام .

(محراب النبي) غربي الصخرة الى الشمال ، بينها وبين قبة المعراج . عليه من الخارج بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات : — « انشأ هذا المحراب المبارك مولانا الأمير الكبير محمد بك صاحب لواء غزة وقدس شريف زيد قدرها بتاريخ سنة ٩٤٥ هـ » - ١٥٣٨ م .
عندما ذكر السيوطي هذا المحراب قال : — « والمقام الذي صلى النبي فيه بالأنبياء والملائكة فانه يقال كان بجانب قبة المعراج في سطح الصخرة قبة لطيفة . فلما بلط سطح الصخرة أزيلت تلك القبة ، وجعل مكانها محراب لطيف في الأرض مخطوط بالرخام الأحمر في دائرة على سمت بلاط سطح الصخرة . إن موضع ذلك المحراب موضع صلاة النبي بالأنبياء والملائكة . »

وفوق المحراب قبة مفتحة الجوانب . وعلى جانبها القبلي بلاطة نقشت عليها هذه الكلمات :
« شفاعت يا رسول الله . ميرالاي عساكر شاهانه السيد محمد شاكر ١٢٦١ هـ » - ١٨٤٥ م .

(١) الانس الجليل ج ٢ ص ٣٧٣

(قبة يوسف) جنوبي الصخرة بين النحوية من الغرب ومنبر برهان الدين من الشرق . وهي



منبر برهان الدين

عبارة عن مصلى صغير . كل ضلع من أضلاعه الأربعة متران . كلها مفتوحة إلا الجانب الجنوبي فإنه مسدود . وعلى الجانب المسدود بلاطة كبيرة نقشت عليها - هذه الكلمات : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . وصلواته على محمد النبي وآله . أمر بعمارتها وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين خادم

الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونصر أعلامه في أيام الأمير الاسفهلار الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله سنة سبع وثمانين وخمسمائة للهجرة النبوية . » - ١١٩١ م .

هناك ، على جانب القبة ، بلاطة وضعت بعدئذ وقد كتب عليها باللغة التركية اسم علي آغا بن يوسف آغا بتاريخ ١٠٩٢ هـ - ١٦٨١ م .

وهناك قبة بهذا الأسم بين المسجد الأقصى وجامع المغاربة . وهي أيضاً من المنشآت التي قامت في الحرم في التاريخ نفسه .

(القبة النحوية) جنوبي صحن الصخرة إلى الغرب وعند الدرج الكائن تجاه باب السلسلة . تولى عمارتها متولي القدس الشريف الأمير حسام الدين أبو سعيد عثمان بن عبد الله المعظم . وذلك بأمر من الملك المعظم عيسى سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م .

مكتوب على هذه القبة : - « أنشأها المعظم شرف الدين أبو المنصور عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب علي يد الأمير حسام الدين أبي سعد قبهاز الوالي بالبيت الشريف سنة ٦٠٤ هـ » - ١٢٠٧ م .

(قبة الشيخ الخليلي) في صحن الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من قبة المعراج إلى الشمال الغربي . قيل إن الذي أنشأها هو الشيخ الخليلي . وكان قد أخذها لقراءة الورود والاعتكاف . وقف عليها

اوقافاً يستفيد من ريعها أفراد أسرته . حتى إذا انقرضت هذه الأسرة صرف الريع كله على القبة . في داخلها كهف ينزل إليه في درج . وعلى بابها من الناحية الشرقية نقشت بعض أبيات من الشعر لم نستطع أن نتبين منها سوى بضع كلمات يفهم منها أن الذي انشأها هو حاكم القدس محمد (.....) واليك البيت الأخير منها وهو واضح : -

محمد له الهنا تاريخها قلنا ادخلوها بسلام آمين

(قبة الخضر) واقعة في الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربي . وهي قبة صغيرة مرفوعة على ستة أعمدة من الرخام . تحتها زاوية يسمونها (قبة الخضر) . كانت فيما مضى عامرة . والآن مهجورة . روى المشرقي ان تحت المقام الغربي مما يلي قبة الصخرة صخرة صغيرة تسمى (بنج بنج) وعليها مكان يدعى (موضع الخضر) . ذكره مجير الدين فقال إنه كان يومئذ مهملاً . وكان مستعملاً كمخزن للمسجد . وهو في أسفل صحن الصخرة تجاه الباب الحديد . وعلى ظهر هذا المكان محراب من رخام يعرف بمغارة الأرواح .

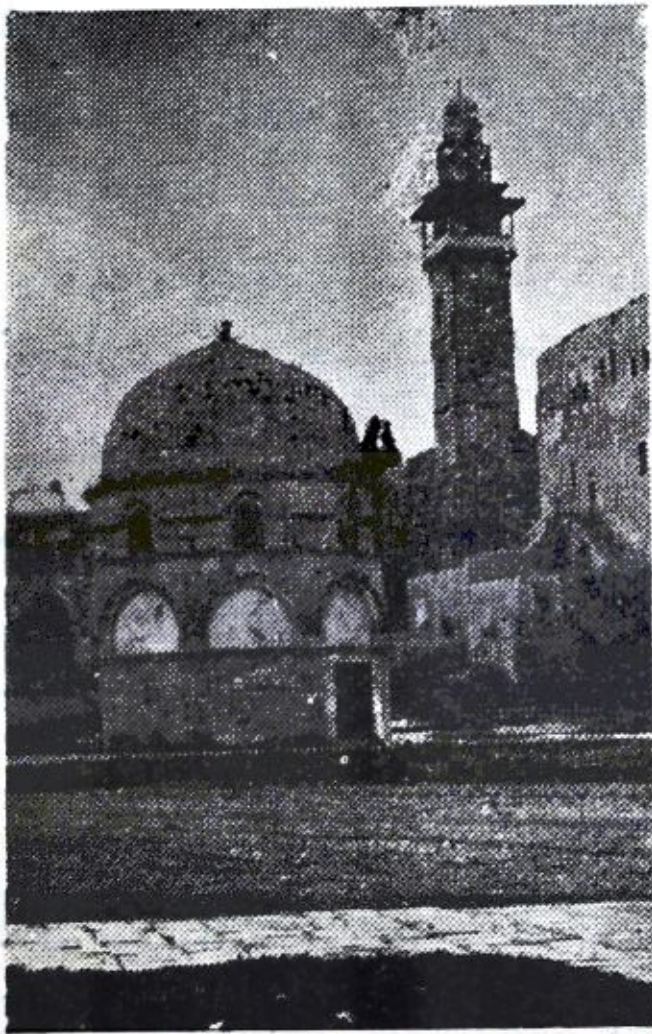
وهناك في ساحة الحرم التحتانية قباب ، نذكر منها : -

(قبة موسى) واقعة على مسطبة بين باب السلسلة والزاوية الجنوبية الغربية من الحرم . ذكرها مجير الدين ^(١) فقال انها انشئت من قبل الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل سنة ٦٤٩ هـ - ١٢٥١ م وكانت تدعى على عهده : (قبة الشجرة) . واما التاريخ المدون على جدارها الشمالي فوق الباب فقد جاء فيه : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بعمارة هذا المكان مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدنيا والدين الملك الكامل في شهور سنة سبع واربعين وستماية . »
- ١٢٤٩ م

(قبة سليمان) محكمة البناء وفي داخلها صخرة ثابتة . وهي واقعة إلى الجنوب الغربي من باب الدويدارية شمالي الحرم . قيل ان سليمان الملك كان يقف في هذا المكان لمناظرة اعمال بناء الهيكل . ويقول مجير الدين ان البناء الذي عليها من منشآت بني امية . وهذا هو المعقول .

ذكرها العمري في الصفحة ١٦٥ من كتابه (مسالك الأبصار) فقال إنها امام السلم الذي يصعد منه إلى الحانقاه الاسعدية والمدرسة السيفية آل مالك . لها باب يفتح من الشمال . تجدد فيه عمودين من رخام



قبة سليمان

(١) الانس الجليل ، ج ٢ ص ٣٧٥ .

ومسطبتين من اليمين واليسار . وبجانب الباب المذكور شبا كان مطلقان على هاتين المسطبتين .
القبّة مثمّنة . والتمّينات مسدودة . فيها أربعة وعشرون عموداً من الرخام . طول كل عمود
- خلا القواعد - ذراعان ونصف ذراع . في كل تمّينة أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في
عقد القناطر . وفي نهاية العمود - عند نهاية كرسي القبّة - طاقات زجاج بدائرها . وعلى يمنة
المصلي في المحراب صخرة صغيرة : طولها ذراعان وربّع ، وعرضها ذراع ، يدعو الزائر عندها .
ويقال انها من آثار سليمان .

مساطب الحرم :

وهناك في فناء الصخرة وفي ساحة الحرم القدسي عدد كبير من المساطب اعدت للصلاة
والتدريس في فصل الصيف ، نذكر منها : -

(مسطبة الكرك) في الزاوية الشرقية الجنوبية من فناء الصخرة . أنشئت يوم تم
تبليط الفناء .

(مسطبة علاء الدين البصري) إلى الشرق من باب الناظر وعلى بعد بضعة أمتار منه .
أنشأها سيف الدين جرّكس الناصري حوالي سنة ٨٠٠ للهجرة - ١٣٩٧ م . ويسمونها أيضاً
(محراب جرّكس) .

وبالقرب من هذه المسطبة مسطبة أخرى عليها شجرة ميس محددة . عمرها الأمير بلوي الظاهري ناظر
الحرمين الشريفين ونائب السلطنة بالقدس ، وكان ذلك بتاريخ ٥٧٩٥ هـ - ١٣٩٢ م وهو الذي عمر
المحراب الذي على هذه المسطبة .

(مسطبة العشاق) إلى الجنوب الشرقي من الباب العمّ شمالي قبّة سليمان بالضبط . انها مسطبة
مفتوحة للصلاة . وعليها محراب . وفوق المحراب بلاطة من الرخام نقشت عليها الكلمات الآتية بالنسخ
العثماني : -

« جدد هذا المحراب الشريف في ايام مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم خان ايد الله ملكه . »
والمظنون ان ذلك تم في نفس الوقت الذي انشيء فيه السبيل الذي بالقرب منها . أي في شعبان
من سنة ٥٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م .

ومن الذين تولوا عمارتها في العهود الأخيرة متولي الوقف قرّة يقلي (١) محمد درويش .
ما زلنا الحرم :

للحرم القدسي ، في يومنا هذا ، اربع مآذن ؛ هي : -

- ١ - مئذنة باب المغاربة ، أو (المنارة الفخرية)
- ٢ - مئذنة باب السلسلة ، أو (منارة المحكمة)

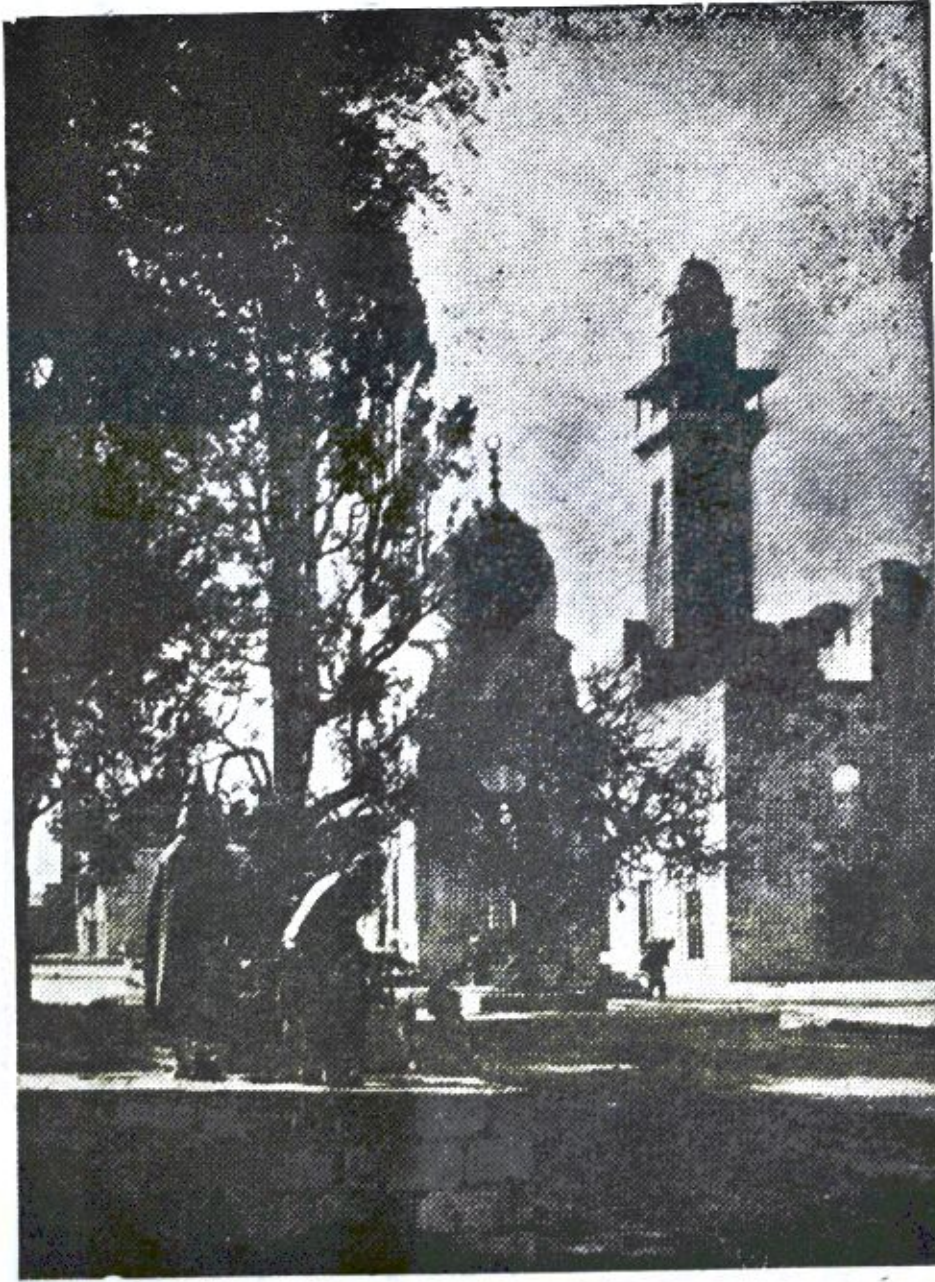
(١) ذو الشارب الاسود .

٣ - مئذنة باب الغواعة ، أو (منارة السرايا)

٤ - مئذنة باب الأسباط ، أو (منارة اسرائيل)

إن لكل مئذنة مؤذناً . والمسؤول عن جميع المؤذنين هو شيخ الحرم، ويسمونه في يومنا هذا رئيس السدنة . وهذا وغيره من موظفي الحرم تابعون لمصلحة الوقف .

أما (مئذنة باب المغاربة) فانها واقعة في الزاوية الغربية القبليّة من زوايا الحرم ، على مقربة من باب المغاربة . ويسمونها ايضاً : (المنارة الفخرية) . ذكرها مجير الدين فقال لملها بناء صاحب الفخرية القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير نخر الدين الخليلي ناظر أوقاف الحرمين الشريفين بمكة والمدينة وحرمي القدس الشريف والخليل (سنة ٦٧٧ هـ - ١٢٧٨ م) . هدم المجلس الإسلامي الأعلى النصف الأعلى لهذه المئذنة (١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م) وكان متصدعاً، واعد بناءه على طراز عربي انيق .



مئذنة باب السلسلة

وأما (مئذنة باب السلسلة) فانها واقعة غربي الحرم فوق باب السكينة على بعد بضعة امتار من باب السلسلة . بناها الأمير سيف الدين تنكز الناصري نائب الشام (٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م) عندما بنى مدرسته المعروفة بالمدرسة التنكزية . وقد سميت بعدئذ (منارة المحكمة) . وذلك عندما اتخذ القوم تلك المدرسة محكمة . وظلت هذه مقراً للمحكمة حتى انتهاء الحكم العثماني (١٩١٧) . وقد جدد المجلس الاسلامي الأعلى قبة هذه المئذنة وزخرفها . وكانت ذلك حوالي سنة ١٩٢٢ للميلاد .

واما (مئذنة باب الغوامة) فانها واقعة في الزاوية الشمالية الغربية من زوايا الحرم ، فوق الباب المعروف باب الغوامة . ويسمونها : (منارة قلاون) . انشأها القاضي شرف الدين عبدالرحمن بن صاحب الوزير نجر الدين الحلبي الذي تقدم ذكره . وكان ذلك بأمر من الملك المنصور حسام الدين لأجين سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م



مئذنة باب الغوامة

وقد جدها الأمير تنكز في زمن الملك الناصر محمد ٧٣٠ هـ - ١٣٢٩ م . وهناك على حائطها وعلى حجر كلبي كتابة بالنسخ المملوكي تقول : -
« بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمارة هذه المنارة المباركة في ايام مولانا السلطان الملك الناصر . . في سنة ثلاثين وسبعمائة . » وقد سميت يومئذ : (منارة السرايا) .
بنت هذه المئذنة ، على رأي بعض مؤرخي الفرنجة من حجارة هي في الأصل من بقايا الاماكن والابنية التي أنشئت في العهود الصليبية والتي دكها الفرس . وكان هناك بعض الاصنام الحجرية منقوشة على جوانب المئذنة حطمها المسلمون فيما بعد .
جدد المجلس الاسلامي الاعلى ، سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م ، قسم الشرفة والرفراف وما فوقه من هذه المئذنة .
وأما (مئذنة باب الاسباط) فانها واقعة شمالي الحرم الى الشرق ، بين باب حطة وباب الاسباط . ويسمونها ايضاً : (منارة اسرائيل) . أنشئت سنة ٨٦٩ هـ - ١٣٦٧ م . وهناك على بابها بلاطة نقش عليها بالنسخ المملوكي الكلمات التالية : -



مئذنة باب الأسباط

« انشأ هذه المنارة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه الأمير سيف الدين المقر الأشرفي السيفي قتلوبغا ناظر الحرمين الشريفين اعز الله نصره في تاريخ سنة تسع وستين وسبعمائة . « - ١٣٦٧ م . تصدع القسم العلوي لهذه المئذنة بسبب الزلزال الذي حدث سنة ١٣٤٦ هـ ، فهدمه المجلس الاسلامي الاعلى ، واعاد بناءه على نمط جميل .

هذا ما نعرفه عن المآذن في ساحة الحرم . وهناك عدد كبير آخر من المآذن في مختلف أنحاء المدينة وخارج الحرم . وقيمة المئذنة تقدر بارتفاعها . إذ ان الغاية من بنائها دعوة الناس الى الصلاة وكان

على المؤذن ان يصعد الى شرفها كي يسمع صوته الى اكبر عدد من الناس . فيهرعون الى الصلاة من كل حدب وصوب . ولكن أهمية المآذن تضاءلت في أواسط القرون العشرين . يوم شرعت مصلحة الوقف في استعمال الكهرباء ومكبرات الصوت . وقد تم تركيب اول مكبر للصوت على مآذن الحرم في اليوم الواحد والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٧٢ للهجرة (٧ آذار ١٩٥٢) . يوم ركبت مصلحة الاوقاف الاسلامية مكبرات الصوت الكهربائية . وقد ركبت هذه في مواضع عديدة داخل الحرم ؛ فراح المؤذنون يستعملون تلك المكبرات دون الصعود الى اعلى المئذنة . واستعملت المكبرات ايضاً لاسماع الناس آي الذكر الحكيم وخطب الجمعة ودروس الواعظين .

أروقة الحرم :

هناك في الطرفين الأخيرين من أطراف الحرم ، من الشمال والغرب ، أروقة محكمة البناء . معظمها (لا سيما الغربية) من بناء المماليك ، وبعضها (لا سيما الشمالية) من بناء الأيوبيين . أما (الأروقة الشمالية) وهي التي تمتد من باب الأسباط في شرق الحرم الى باب حطة في شماله ، فقد بنيت في سلطنة الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٩ هـ - ١٣٦٧ م .

والرواق الممتد من باب حطة الى باب شرف الأنبياء (باب فيصل) فالظاهر أن الذي عمره هو الملك الأوحى .

والرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء ، بني في زمن قديم لا نعرفه ؛ وإن كنا نعرف أن الذي جده هو الملك المعظم عيسى سنة ٦١٠ هـ - ١٢١٣ م . ويقوم فوقه مدرستان هما : المدرسة الأمينية والمدرسة الفارسية . وإنك لتقرأ على جدران باب شرف الأنبياء الكلمات الآتية : « جدهذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خلد الله ملكه سنة ٦١٠ هـ والحمد لله وحده في ولاية الأمير الأجد عز الدين بن عمر بن يعقوب . »

وباقى الرواق من الغرب ، وهو الذي في أسفل المدارس الثلاثة الآتية ذكرها : الملكية (١) ، والأسعدية (٢) ، والصيبية (٣) ؛ فكل مدرسة بنى معها ما تحتها منه .

وأما الرواقان السفليان المذان تحت دار النيابة شمال الحرم من الغرب ، فإنها عمرا مع منارة الغوانمة . وقد كتب عليها تاريخ عمارتها (٧١٣ هـ - ١٣١٣ م) . أي أن الذي جدها هو الأمير تنكز في زمن الملك الناصر محمد بن قلاون . وهناك فوق هذين الرواقين رواقان ذكرها مجير الدين ، فقال إنها مستجدان ، وقد أنشأ بعدها بدهر .

ولنأت الآن الى (الأروقة الغربية) وهي التي تمتد من نقطة قريبة من باب الغوانمة الى باب المغاربة ؛ فإنها أنشئت على عهد الملك الناصر محمد بن قلاون . وقد تم ذلك في تواريخ مختلفة . فالرواق الممتد من باب الغوانمة الى باب الناظر عمر سنة ٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م ، وقد كتب على الحائط القبلي لباب الناظر هذه الكلمات : « أنشئ هذا الرواق المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون أعز الله أنصاره بنظر العبد الفقير الى الله بلفاق بن جفان الخوارزمي تقبل الله منه وذلك في سنة سبع وسبعماية . »

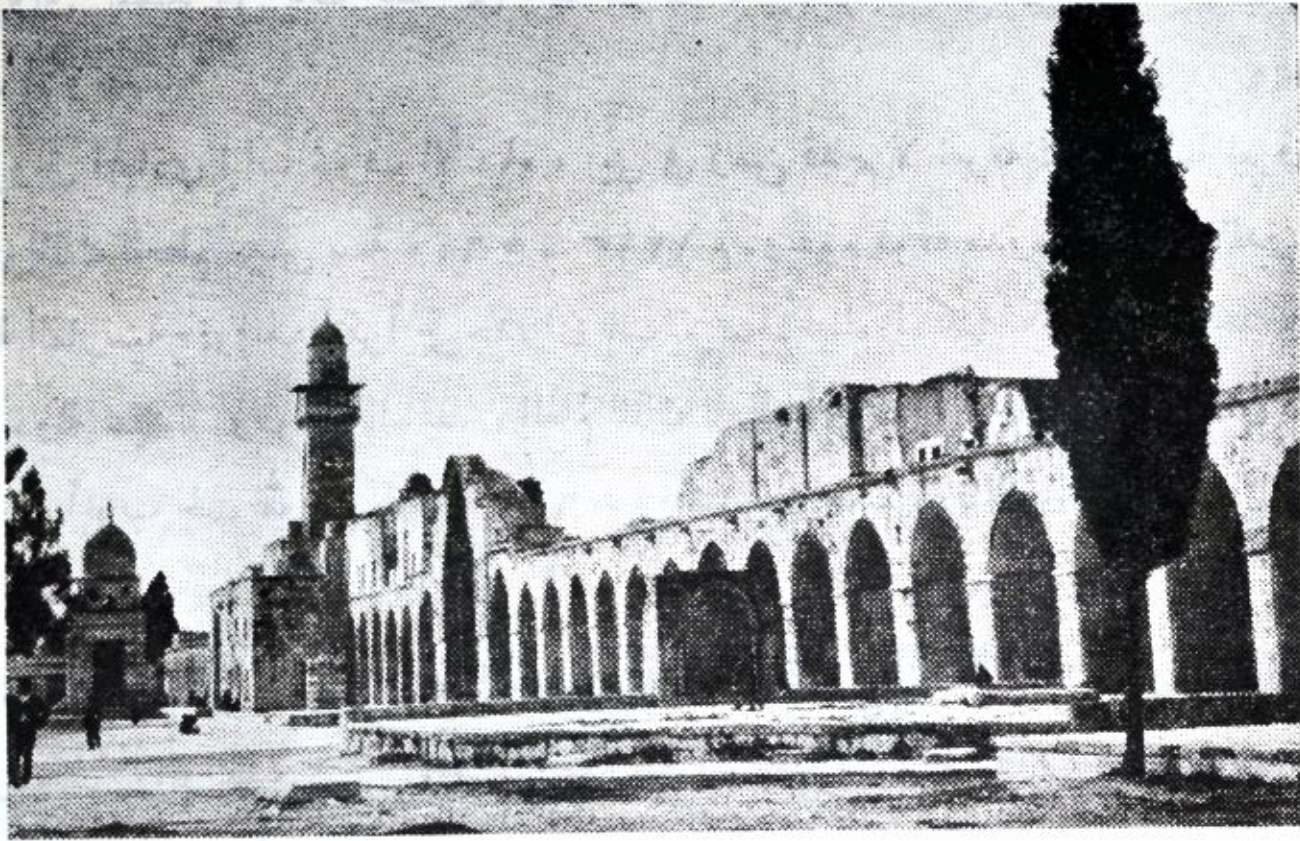
والرواق الممتد من باب الناظر الى باب القطنين ، أنشئ سنة ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦ م . هنا ، الى جانب هذا الرواق من الغرب ، غرفتان : دفن في احدهما زعيم هندي هو مولانا محمد علي . وفي الثانية ضريح الملك حسين بن علي الذي أعلن الثورة في الحجاز ضد الاتراك العثمانيين . وكذلك قل عن الرواق الممتد من باب القطنين الى باب السلسلة .

وأما الرواق الممتد من باب السلسلة الى باب المغاربة فقد عمر سنة ٧١٣ هـ - ١٣١٣ م .

(١) في عهد الملك الناصر محمد بن قلاون (٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م)

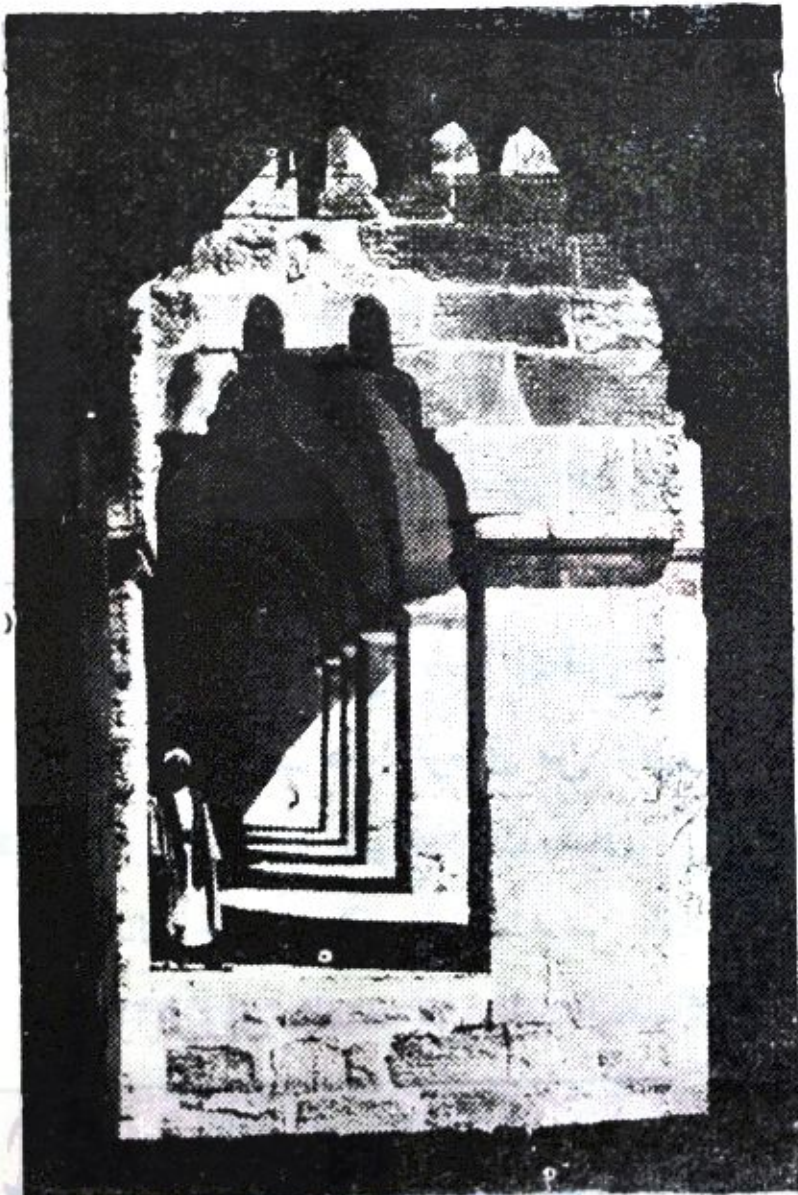
(٢) في عهد الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد قلاون (٧٦٠ هـ - ١٣٥٨ م)

(٣) في عهد الملك الناصر فرج بن برقوق (٨٠٩ هـ - ١٤٠٦ م)



الأروقة الممتدة من باب الناظر الى باب القطاين ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦ م

وإنك لو اجد الكلمات التالية منقوشة بالنسخ المملوكي على بلاطة من رخام وضعت فوق النافذة



منظر جانبي للأروقة خلال عهد محمد علي

الشمالية الشرقية من نوافذ المدرسة التنكزية
جنوبي باب السلسلة : « بسم الله الرحمن
الرحيم . أنشئ هذا الرواق في أيام مولانا
السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين
محمد بن السلطان الملك المنصور سيف
الدنيا والدين قلاون أعز الله أنصاره بنظر
الأمير شرف الدين موسى بن حسن
الهدباني في سنة ثلاث عشرة وسبعماية . »
سد الأتراك معظم هذه الأروقة ،
واتخذوها مساكن لإيواء المهاجرين
والفقراء من سكان بيت المقدس . وظلت
هذه مسدودة ، الى أن تولى شؤون
المسلمين المجلس الاسلامي الأعلى (١٩٢٢)
فأزال الجدران الخارجية ، وأرجع
الأروقة الى ما كانت عليه في زمن المماليك .

الأجزاء منها وهو الكائن بين باب السلسلة وباب المغاربة فقد أبقاه مسدوداً من أطرافه الأربعة واتخذ حوضاً تتجمع فيه المياه . وبقي على تلك الحال الى يومنا هذا .

مياه الحرم :

لا بد من وجود الماء في أرض الحرم ليتوضأ المسلمون الذين يفدون اليه من كل حدب وصوب من اجل الصلاة والعبادة . والوضوء — كما هو معلوم — شرط أساسي من شروط الصلاة في الاسلام . ولهذا درست مسألة المياه ، وأحصيت الآبار الكائنة في مختلف أرجاء الحرم . فوجدت أن عدد هذه الآبار (١) (١٩٤٧) سبعة وعشرون (٢) : خمس وعشرون منها عامرة ، واثنان في حالة خراب . وفيما يلي مواضع الآبار العامرة : —

ثماني آبار في صحن الصخرة : — اثنان في شمال الصخرة بالتمام : احدهما (بئر باب الجنة) مساحتها ٢٥ × ٢٠ متراً . واثنان الى الشمال الغربي : احدهما (بئر الشيخ الحلبي) مساحتها ٣٣ × ٢٠ متراً . واثنان غربي الصخرة بالتمام : احدهما (بئر الصخرة) . وهناك بئر شرقي الصخرة من ناحية الشمال يسمونها (بئر العصافير) . والثامنة قبلي المسجد بالتمام (بئر الرمانة) ١٧ × ٧٥ . ولهذه البئر بابان : احدهما في صحن الصخرة ، والثاني بين الصحن والسور الشرقي .

وإلى الغرب من ساحة الحرم ست آبار هي من الشمال إلى الجنوب : (بئر باب الفوانيم) أمام دار الصلاحي . و (بئر باب المجلس) ويسمونها (بئر السبيل) ٣٠ × ١٨ عند الباب المعروف بباب علاء الدين البصري . عليها قبة ، ولها بابان . و (بئر سبيل شمالان) ٢٥ × ٢٠ بين باب علاء الدين والدرج المؤدي الى صحن الصخرة . و (بئر الخلوة) تجاه باب القطانين . و (بئر قايتباي) بين باب القطانين ودرج الصخرة من الغرب . و (بئر القبة) تجاه باب المغاربة . والى الجنوب من ساحة الحرم على مقربة من المسجد الأقصى سبع آبار هي :

(بئر ابي السعود) ٣٥ × ٢٧ بين باب المغاربة والمسجد الأقصى . و (بئر السروات) شرقي الكأس . و (البئر الأسود) ٤٥ × ٤٢ الى الشرق من باب الأقصى وهي من أكبر آبار الحرم ، ولها أربعة أبواب . و (بئر البحيرة) ٢٠ × ٢٨ شرقي البئر الأسود . و (بئر الخضر) ٣٠ × ٣٠ بين المسجد الأقصى من الشرق والسور ، ولها بابان . و (بئر البلاط) ٤٠ × ١٥ قبلي بئر الخضر ، وهي ملاصقة للسور القبلي . و (بئر الورقة) ١٩ × ١٧ شمال الأقصى . ولهذه البئر

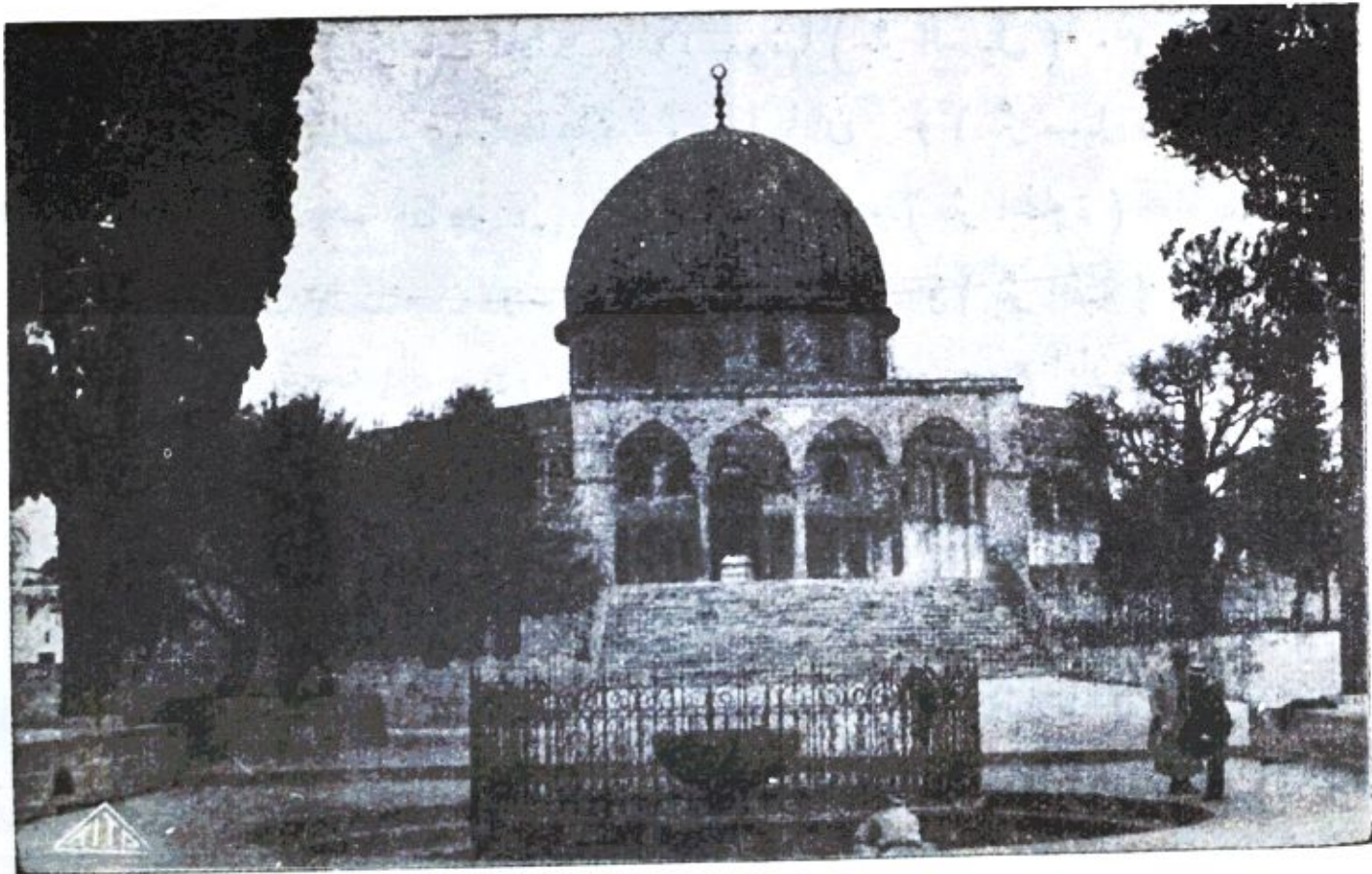
(١) (البئر) كلمة تؤنث ولا تذكر . والقصد منها هنا (البئر) التي تتجمع فيها مياه الامطار وهو ما نسميه

بـ (الصهريج) . وجمعه (صهاريج) . انه دخيل معرب . ومعناه الحوض الذي يتجمع فيه الماء .

(٢) قال العمري في الصفحة ١٥٠ من كتابه (مسالك الابصار) أن عدد الآبار في الحرم خمسة وعشرون : ٢٢ منها عامرة والباقي خاربة . وقال مجير الدين انه كان في الحرم على عهده : اربع وثلاثون بئراً . وجاء في البيان الذي نشره المجلس الاسلامي سنة ١٩٤٧ ان في الحرم احدى وثلاثين بئراً .

بابان : أحدهما داخل المسجد (سد في السنوات الأخيرة) ، والثاني خارجه .
وفي شرق الحرم ثلاث آبار هي : (بئر سليمان) ٢٠×١٥ عند باب التوبة . و (بئر الزيتونة)
 ٢٠×٢٠ عند غرفة الغزالي . و (بئر الصوانة) ١٥×٥ الى الغرب من بئر الزيتونة .
وفي شمال الحرم بئر كبيرة عامرة ، يسمونها (بئر الست اكرامية) ٤٠×٢٥ تقع بين باب
الأسباط وباب حطة .

ان هذه الآبار ، على كثرتها ووفرة مياهها ^(١) ، قصرت مع الزمن عن حاجة سكان المدينة الذين
كانوا يردونها ، لا من اجل صلواتهم فحسب ، بل من اجل الشرب وقضاء حاجاتهم المنزلية ايضاً -
لا سيما في اعوام الجذب - ففكر المسؤولون بالأمر ، وأنشأوا المكان المعروف بـ (السقاية)
او (المتوضأ) وهو واقع غربي الحرم . واتوا اليه بالماء من العروب وبرك سليمان على طريق الخليل .
وفي قول ان هذا المشروع قد تم سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م وعلى عهد الملك العادل ابي بكر ^(٢) .
ولسكنا لا نعلم إلا النزر اليسير عن الطريقة التي تم بها جر الماء الى هذا المكان . وكل مانعلمه ان
القناة التي كانت تسيل فيها مياه العروب وبرك سليمان الى القدس كانت تسمى : (قناة السبيل) .
ويظهر ان هذه القناة أصابها عطب مع الزمن ^(٣) ، فعمرها الأمير تنكز الناصري . كما عمر البركة
المصنوعة من الرخام ، بين مسجدي الصخرة والأقصى . وكان ذلك سنة ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م



الكأس : أنشأها الأمير تنكز الناصري ٧٢٨ هـ - ١٣٢٧ م

- (١) قدر الخبراء كمية المياه التي تستوعبها آبار الحرم بعشرة ملايين جالون .
- (٢) (الانس الجليل) لمجير الدين . الصفحة ٣٠٣
- (٣) اقرأ ما كتبناه عن هذه القناة وعن مياه القدس بوجه عام في كتابنا : (تاريخ القدس) .

وتعرف هذه البركة في يومنا هذا بـ (الكأس) (١) .

وقد عمرت هذه القناة مرة اخرى في زمن السلطان قايتباي ، فاصبحت المياه تصل بسهولة الى القدس . وهو الذي عمر السبيل الكائن امام المتوضأ والمعروف بـ (سبيل قايتباي) . كما عمر الكأس الذي تقدم ذكرها .

وعندما تممرت قناة السبيل ، وتحسنت حالة المياه في الحرم ، أنشئت في جوانبه سبل عديدة ، الغاية منها تسهيل الحصول على الماء للناس . وانا لنداكرون من هذه السبل اكبرها . وهي :

(سبيل قايتباي) واقع في الساحة الكائنة بين باب السلسلة وباب القطنين ، على بعد خمسين متراً من جدار الحرم الغربي . اذا نزلت الدرج الكائن غربي مسجد الصخرة واتجهت نحو باب المطهرة وجدته على يسارك .



سبيل قايتباي

انشأه الملك الاشرف اينال (٨٦١ هـ - ١٤٥٥ م) . ثم جدده الملك الاشرف قايتباي (٨٨٧ هـ - ١٤٨٢ م) . ثم جدده السلطان عبد الحميد الثاني (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م) .

مبني فوق مسطبة واسعة مساحتها ١٥ × ١٥ متراً . وله قبة جميلة . تحته بئر كبيرة عامرة . وهناك في طرفها العلوى افريز يحيط بجدران السبيل الاربعة . نقشت عليه السطور التالية بالخط الجميل : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . انشأ هذا السبيل المبارك مولانا الملك الاشرف اينال . ثم جدده سلطان الاسلام والمسلمين قانع الكفرة والمشركين ناصر العدل في العالمين السلطان الملك الاشرف ابو النصر قايتباي

(١) انهاحوض واسع ومدور ، مبني من الرخام . يجري اليه الماء في سواق مغطاة بالحجارة من برك المرجيم (برك سليمان) الثلاث . وفي وسط هذا الحوض نوفرة مستديرة في شكل كأس يخرج منها الماء ويسقط في البحيرة . ثم يسيل في مجرى حوله الى صهريج كبير في ارض المسجد .

اعز الله انصاره في شهر شوال المبارك سنة سبع وثمانين وثمانماية . ثم جدده الخليفة الاعظم
والسلطان المفخم السلطان الغازي عبد الحميد خان بن السلطان الغازي عبد المجيد خان من آل عثمان .
اعز الله ملكه في شهر رجب الفرد سنة ثلاثماية والف . «
الماء يأتي لهذا السبيل من المطر ، ومن (رأس العين) و (عين فارة) في انايب مدت
حوالي سنة ١٩٢٢ م .

(سبيل شعلان) في أسفل الدرج المؤدي الى صحن الصخرة من زاويته الغربية الشمالية . أنشأه
الملك المعظم عيسى «٥٦١٣ - ١٢١٦ م» . وجدده الملك الأشرف برسبائي «٥٨٣٢ - ١٢٢٩ م» .
وجدد عمارته السلطان مراد الرابع «١٠٣٧ هـ - ١٦٢٧ م» .
هناك على واجهته الغربية ثلاث بلاطات من رخام .

نقشت على اليسرى منها وهي الى الشمال بالنسخ الأيوبي وبأحرف صغيرة هذه الكلمات:
« بسم الله الرحمن الرحيم . تطوع بعمل هذا الصهرج والمصنع المبارك لوجه الله تعالى العبد
الفقير الى رحمة الله تعالى محمد بن عمرو بن سيار الموصلى رحمه الله ورضى عنه من نعمة مولانا
السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب غفر
الله لهما . وذلك في شهر سنة ثلث عشر وستماية ، وصلى الله على محمد وآله . »
ونقشت على اليمنى هذه الكلمات : « جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب العبد الفقير الى الله
تعالى شاهين ناظر الحرمين الشريفين في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسبائي خلد الله
ملكه بتاريخ شهر رمضان للعظم سنة ٨٣٢ هـ . »
ونقشت على البلاطة الوسطى هذه الكلمات :

« أمر بعمارة هذا السبيل المبارك بعد خرابه وتعطيله صاحب الخيرات والمبرات الوزير المكرم
والمشير المعظم حضرة بايرام باشا المحافظ بمصر المحروسة . فعمر بمباشرة ملك الأمراء الكرام حضرة
محمد باشا المحافظ بالقدس في ذي الحجة سنة ١٠٣٧ هـ . »

وهو الآن (١٩٤٧) عامر . يسقون بمائه الأشجار التي غرسها المجلس الإسلامي على مقربة منه .
(سبيل باب الحبس) ويسمونه (سبيل علاء الدين البصري) على قيد بضعة أمتار من باب
الناظر ومنه الى الشمال الشرقي . انه عامر . وفيه بئر غزيرة الماء . عندما ذكرها فان برشام قال :
« انها بئر قديمة . جددها قايتبائي . وان ذلك جرى سنة ٧٨٣ هـ - ١٣٨١ م . ولما قرأت
هذه السطور ايقنت ان في الأمر لسراً . اذ ان بين هذا التاريخ وبين السلطان قايتبائي جيلا
كاملا . تولى السلطنة خلاله ما لا يقل عن عشرة من المالك . فاما أن يكون التاريخ مضبوطاً ،
يعني ان البئر حفرت فيه ومن لدن سلطان غير قايتبائي ، ولما جاء قايتبائي جددها ، وحفر اسمه

عليها ، دون أن يفتن الى تغيير التاريخ . أو أن تكون البئر من أعمال قايتباي نفسه . ولكن التاريخ مغلوط . فوضع الحفارون سهواً ٧٨٣ ، بدلا من ٨٨٣ هـ .

ورغبة مني في جلاء هذه النقطة زرت الحرم في اليوم العشرين من شهر فبراير ١٩٤٧ وقضيت بعض الوقت عند السبيل المذكور ، فوجدت في أعلى واجهته من القبلة بلاطتين : احدهما من الشرق والاخرى من الغرب . وقد تمكنت من قراءة الكلمات الآتية منقوشة عليها : -

« بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا البئر في أيام مولانا السلطان الملك الاشرف برسباي ، وذلك بنظر المقر الحسامي قبجا نائب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين الشريفين اعز الله انصاره . وسعي في عمارته العبد الفقير الى الله تعالى الحاج ابراهيم الرومي غفر الله له ولجميع المسلمين واشترط الاستسقا منه للفقير بتاريخ جمادى الآخرة سنة ٨٣٩ هـ . » - ١٤٢٥ م

(سبيل البديوي) على قيد امتار من باب الناظر الى القبلة ، بين الباب المذكور وسبيل شعلان . انه سبيل صغير وجميل . طوله متران وعرضه متران وارتفاعه اربعة امتار . يحيط به من جهاته الثلاث حاجز حديدي مشبك . إلا الجهة الشرقية فان بها بلاطة نقشت عليها الايات الآتية : -

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| عمره من حاز كل سوؤد | وفضله قد فاض فيما يهب |
| عين المكارم والأماجد مصطفى | قائمقام القدس نال المطلب |
| كالسبيل ماؤه يشفي الصدا | عذب فرات سائغ منه الشرب |
| برسم من حاز الفخار والعلی | عثمان بك للغفاري ينسب |
| يبغي به الجزاء يوم محشر | في زمرة الأخيار غدا يحسب |
| كلاهما من حوض طه يرتوي | يا حبهذاك مطلب ومأرب |
| كلاهما البشري له تاريخه | في قدح من الرحيق يشرب |

والمعتقد أن ذلك تم في زمن السلطان محمود الأول سنة ١١٥٣ هـ - ١٧٤٠ م . وهو اليوم مهجور ، لا ماء فيه . وبنيانه قائم كأن الزمن لم يقو على تقويضه .

(سبيل قاسم باشا) وهو الكائن على حافة بركة الررنج^(١) الى الغرب من ساحة الحرم وعلى بعد بضعة امتار من باب السلسلة من الشمال الشرقي . فقد أنشأه متولي القدس في ذلك الحين قاسم باشا . وإنك لتقرأ على جداره الغربي بالخط النسخي المملوكي هذه الكلمات :

« أنشأ هذا السبيل المبارك ابتغاء لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته في أيام مولانا السلطان الأعظم ثاني سليمان في ملك العالم السلطان سليمان بن السلطان سليم خان أمير أمراء العرب والعجم ،

١ - ويقولون لها (بركة الفاغنج) . ولنا ندرى لهاتين التسميتين سبباً .

مولانا قاسم باشا يسر الله له ما يشاء ، على يد العبد الفقير الى الله عبد ربه مصطفى في العشر الأخير من شعبان المعظم سنة ٩٣٣ هـ « - ١٥٢٧ م .

ماؤه من برك سليمان . وهو الآن عامر . إنه مشتمن الأضلاع . في كل ضلع حفية . وفي شماله بركة مربعة مفروشة بالرخام ، حولها درابزين من حديد . مساحتها ٧ × ٧ أمتار . عمرها المجلس الاسلامي الأعلى (١٩٢٢) .

وهناك سبل اخرى أنشئت في عهد السلطان سليمان القانوني ٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م :
واحد بيباب السلسلة تجاه مدخل الحرم . والثاني بحارة الواد عند ملتقى طريق باب الناظر بعقبة التكية (خاصكي سلطان) . والثالث في الحارة نفسها قريب من باب القطانين . والرابع في ساحة الحرم من الشمال وعلى قيد بضعة أمتار من الباب العتم . والخامس في طريق ستنا مريم على بعد بضعة أمتار من باب الأسباط الى الغرب . ويظهر ان هذا السبل الذي كان على مقربة من باب الأسباط والذي رأته بعيني في صغري ، قد اندثر بفعل المجاورين له من غير المسلمين .

وقد قرأت الكلمات الآتية منقوشة على كل واحد من السبل الخمسة المتقدم ذكرها : -
« أمر بانشاء هذا السبل المبارك مولانا السلطان الملك الأعظم والحقاقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم عز الاسلام والمسلمين ظل الله في العالمين حامي الحرمين الشريفين السلطان سليمان بن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وسلطانه وأدام عدله وإحسانه . في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة . » (١)

* * *

كانت هذه السبل تزود بالماء من برك سليمان والينابيع التي حولها . ثم من (رأس العين) التي وصل ماؤها الى القدس اثناء الاحتلال البريطاني . وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في كتابنا : (تاريخ القدس) . ولما انقطعت مياه رأس العين عن القدس بسبب الحرب بين العرب واليهود (١٩٤٨) راحت تزود بالماء من (عين فارة) الواقعة على بعد عشرة كيلومترات من القدس الى الشمال الشرقي .

أبواب الحرم :

للحرم القدسي ، في يومنا هذا ، عشرة أبواب كبيرة مفتوحة ، وأربعة مغلقة . أما الأبواب المفتوحة فهي : -

١ - باب الأسباط

٢ - باب حطة

(١) جميع هذه السبل أنشئت في سنة واحدة . غير ان الشهور تختلف . فسييل باب السلسلة أنشئ في ٢٢ رجب . وسييل الباب العتم في اوائل شعبان . وسييل باب الناظر في ٢ رمضان . وهكذا دواليك .

- ٣ - باب شرف الأنبياء (ويسمونه باب الدويدارية . الباب العتم . باب فيصل)
٤ - باب الغواصة (ويسمونه باب درج الغواصة . باب الخليل . باب الوليد)
٥ - باب الناظر (ويسمونه باب علاء الدين . باب الحبس . باب المجلس)
٦ - الباب الحديد (ويسمونه باب ارغون)
٧ - باب القطنين
٨ - باب المتوضأ (ويسمونه باب المطهرة)
٩ - باب السلسلة (ويسمونه باب داود)
١٠ - باب المغاربة (ويسمونه باب الني . باب البراق)

وأما الأبواب المغلقة فهي : -

- ١ - باب السكينة (ويسمونه الباب المغلق . باب السحرة)
٢ - باب الرحمة
٣ - باب التوبة
٤ - باب البراق (ويسمونه باب الجنائز)

(باب الاسباط)^(١) واقع شمالي الحرم وفي اقصاه من الشرق . وهو قديم العهد ، وان كان مكتوباً على هذا الباب من ناحيته الشرقية من الداخل : - « امر بانشاء هذا الباب مولانا السلطان سليمان ابن سليم خلد الله ملكه بتاريخ سنة خمس واربعين وتسعمائة هـ » - ١٥٣٨ م وفي ناحية اخرى نقرأ هذه الكلمات مكتوبة باللغة التركية : -

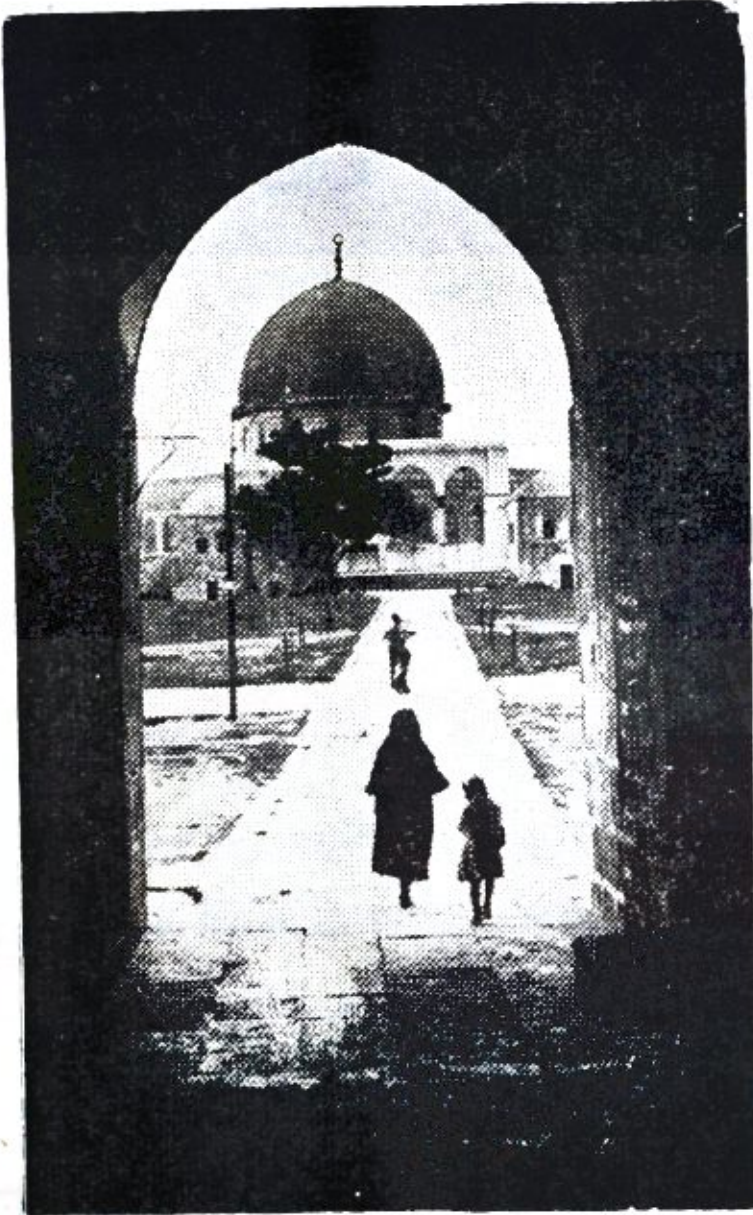
« مرحوم جنت مكان سلطان سليم حضرتلرينك تربتجيسى مرحوم الحاج حسن آغا اشبو باب اسباطي حسبة لله وطلباً لمرضاة الله تعمير ايلدي . » أي أن المرحوم الحاج حسن آغا ، القيم على تربة ساكن الجنان المرحوم السلطان سليمان ، هو الذي عمر باب الأسباط هذا ، وقد عمره حسبة لله وطلباً لمرضاته .

(باب حطة) واقع شمالي الحرم بين باب الاسباط و باب شرف الانبياء . انه من اقدم ابواب الحرم . لا نعرف في أي تاريخ أنشيء ؟ وان كنا نعرف ان عمارته جدت في زمن الملك المعظم شرف الدين عيسى ، وكان ذلك سنة ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م . يدلنا على ذلك كتابة

(١) لسنا ندري من أين أتى الحافظ بهاء الدين بن عساكر بروايته القائلة إنه كان هناك ، حوالي القرن الرابع للهجرة ، خمسون باباً ؟ مع أن القرطبي عندما أشار الى هذه الرواية لم يذكر منها سوى احد عشر باباً . عرفنا بعضها ، ولم نعرف البعض الآخر . ومن هذا البعض باب الحضرة ؟ والباب الهاشمي ؟ كما اننا لم نفهم القصد من قول القرطبي ان أبواب الأسباط ستة ؟

منقوشة على الباب تقول : « جدد هذا الباب في ايام دولة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب . وذلك في رجب من سنة سبع عشر وستماية . »

ذكره مجير الدين في الصفحة ٣٨٢ من كتابه (الانس الجليل) . كما ذكره بالمر وفان برشام وغيرهم كثيرون .



باب شرف الأنبياء

(باب شرف الانبياء) واقع شمالي الحرم

بين باب حطة وباب الغوانمة . يسميه المقدسيون في يومنا هذا : (باب العتم) . وقديماً كان يعرف بباب شرف الانبياء . قال مجير الدين لعله هو الباب الذي دخل منه عمر بن الخطاب يوم الفتح . وفي زمن المماليك كانوا يسمونه : (باب الدويدارية) نسبة الى المدرسة القائمة الى جانبه وكانت تسمى : (المدرسة الدويدارية) . وقد ذكرناها في كتابنا (تاريخ القدس) .

سماه المجلس الاسلامي الأعلى (باب الملك فيصل) نسبة الى الملك فيصل بن الحسين ملك سوريا (١٩٢٠) وملك العراق بعدئذ ، عندما زار هذا الملك القدس ومرّ من هذا الباب (١٩٣٠) في طريقه الى الحرم .

(باب الغوانمة) واقع شمالي الحرم عند

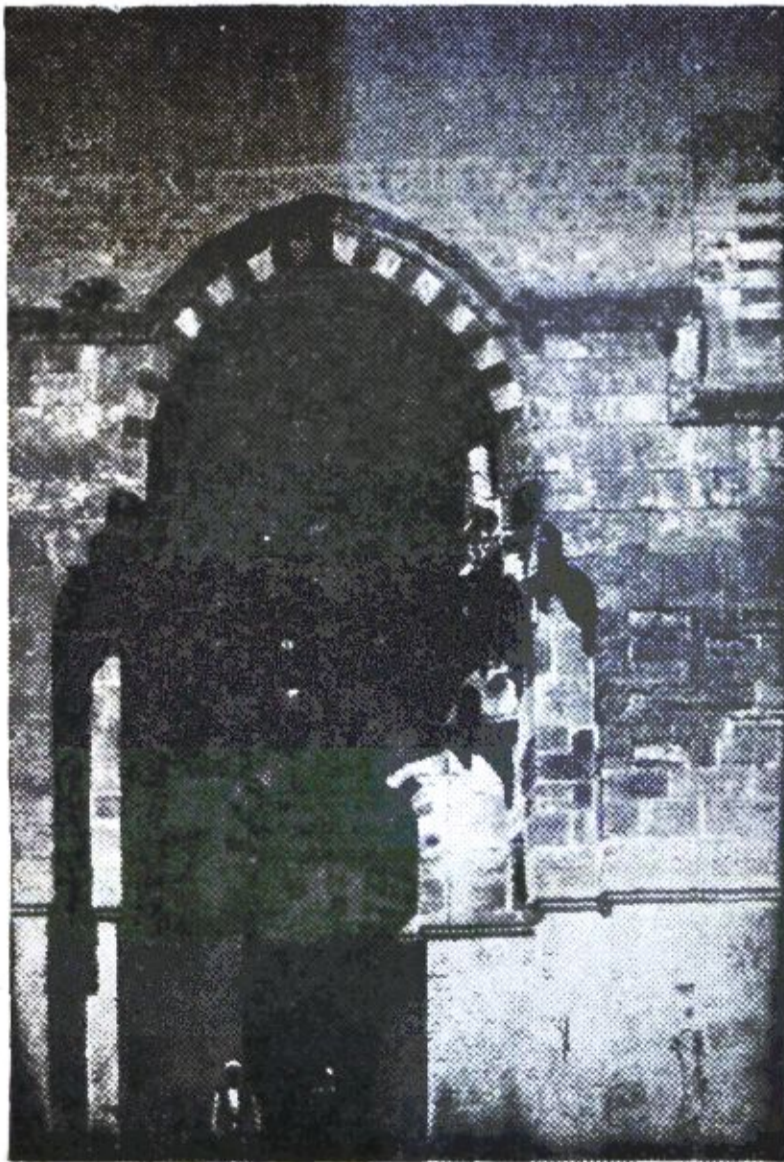
الزاوية الشمالية الغربية من زوايا الحرم . ويسمونه اليوم خطأ (باب الغوارنة) . والحقيقة (باب الغوانمة) . سمي كذلك لانه - على قول مجير الدين - يؤدي الى حارة بني غانم^(١) . وكان يعرف قديماً بباب الخليل . وقال المقدسي انه كان في القرن الرابع للهجرة يدعى : (باب الوليد) .

(باب الناظر) واقع غربي الحرم من الشمال . ويسمونه أيضاً : (باب علاء الدين البصير)

١ بنو غانم ذرية الشيخ القدوة الملك غانم بن علي حسين الانصاري الخزرجي المقدسي . اصله من بورين من اعمال نابلس . وواه صلاح الدين مشيخة الصلاحية بالقدس . وعاش فيها زمناً الى ان توفاه الله بدمشق ودفن فيها ٣٦٢ هـ - ١٢٣٤ م .

او باختصار : (باب البصير) . ومن اسمائه ايضاً (باب الحبس) . لأن الخارج منه يرى السجن الذي كان هناك على عهد الاتراك العثمانيين . ذكره مجير الدين في الصفحة ٣٨٣ من كتابه (الانس الجليل) فقال عنه إنه باب قديم . جدت عمارته في زمن الملك المعظم عيسى (٦٠٠ هـ - ١٢٠٣ م) . وكان قديماً يعرف بباب ميكائيل .

ان جميع ما في داخل هذا الباب من اقبية ومبان وقفه الامير علاء الدين آيدوغدى الركن على الفقراء القادمين لزيارة القدس . وكان ذلك في زمن الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م . (الباب الحديد) واقع غربي الحرم وفي الوسط بين باب الناظر وباب القطانين . انه باب قديم جدد بناءه ارغون السكالي من رجال الملك الكامل شعبان . كان نائب الملك بالشام . وقد توفي سنة ٧٥٨ هـ - ١٣٥٦ م . ويسمونه ايضاً : (باب أرغون)^(١) . نسبة الى مجده أرغون . انه مؤسس المدرسة الارغونية السكالية على بعد بضعة أمتار من الباب المذكور الى الغرب وعلى يسار الخارج من الممر . فيها دفن المغفور له الملك حسين بن علي .



باب القطانين

(باب القطانين) واقع غربي الحرم باتجاه قبة الصخرة، بين الباب الحديد وباب المتوضأ . جدد عمارته الامير تنكز الناصري ٧٣٧ هـ - ١٣٣٦ م . وكان ذلك على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ذكره مجير الدين في كتابه (الانس الجليل) . والعمري في كتابه (مسالك الابصار) . وأبو المحاسن في كتابه (المناهل) . فقالوا إن تنكز هذا عمر بجوار باب القطانين حمامين ورباطين وقياصر (خانات) . والحمامان هما : (حمام الشفا) في داخل السوق من الشرق و(حمام العين) في آخره من الغرب . مخرج السوق متصل بطاحون . وفي داخله

خان يدعى (خان أوتوزبر) . وهو من إنشاء تنكز . ولتنكز هذا منشآت كثيرة اخرى .

(١) كلمة تركية أصلها فارسي . ومعناها الحديد .

هدم المجلس الاسلامي الاعلى ، حوالي سنة ١٩٢٢ ، جميع الابنية الواهية التي أنشئت في الازمنة السابقة على قبة باب القطانين وعلى ما حوله من أروقة . وإلى الغرب من هذا الباب سوق طولها مئة متر ، وعرضها عشرة أمتار . فيها خمسون دكاناً مغلقة ، كانت فيما مضى عامرة ، وأما اليوم (١٩٥٨) فينعق فوقها بوم الخراب . خلا ثلاثة دكاكين في منتهى السوق من الغرب ، فإنها عامرة ، يعمل فيها مبيضو النحاس . وهناك مرحاض عام انشأته البلدية عام ١٩٥٥ .

(باب المتوضأ) واقع على قيد بضع خطوات من باب القطانين الى الجنوب ، ويسمونه باب المطهرة . ذلك لأنه تقوم على مقربة منه المراحيض العامة التي يلجأ إليها المصلون وسكان ذلك المكان من أجل طهارتهم ووضوئهم قبل الصلاة ذكره مجير الدين فقال إنه قديم . وقد جدد عمارته علاء الدين آيدوغدى البصير ، عندما عمر المتوضأ (٦٦٦ هـ - ١٢٦٧ م) .

(باب السلسلة) واقع غربي الحرم تجاه الدرج المؤدي الى فناء الصخرة عند قبة النحوية . هناك في الحقيقة بابان : - الجنوبي منها مفتوح ، وهو هذا الذي نسميه باب السلسلة . والشمالى مغلق ويسمونه باب السكينة أو الباب المغلق وباب السحرة . قيل إنه سمي كذلك (أي باب السكينة) لأن هناك تابوت السكينة الذي ورد ذكره في القرآن والذي حملته الملائكة (١) .

كان باب السلسلة قديماً يعرف بباب داود . ذلك لأن الناس كانوا يخرجون منه الى الشارع الكبير الذي كان يعرف فيما مضى بنحط داود . وهناك سوق كبيرة كانت ولا تزال معروفة بأنها من أعظم أسواق المدينة .

(باب المغاربة) واقع غربي الحرم الى الجنوب . سمي كذلك لأنه مجاور لجامع المغاربة . وينتهي الى الحارة المعروفة بهذا الاسم أيضاً . وكانوا قديماً يسمونه باب النبي وباب البراق . هذه هي الأبواب المفتوحة في الحرم ، وكلها كما ترى في شمال الحرم وغربه . وليس للحرم أبواب تفتح من الشرق ولا من الجنوب . والأبواب التي كانت في هاتين الجهتين أغلقت مع الزمن .

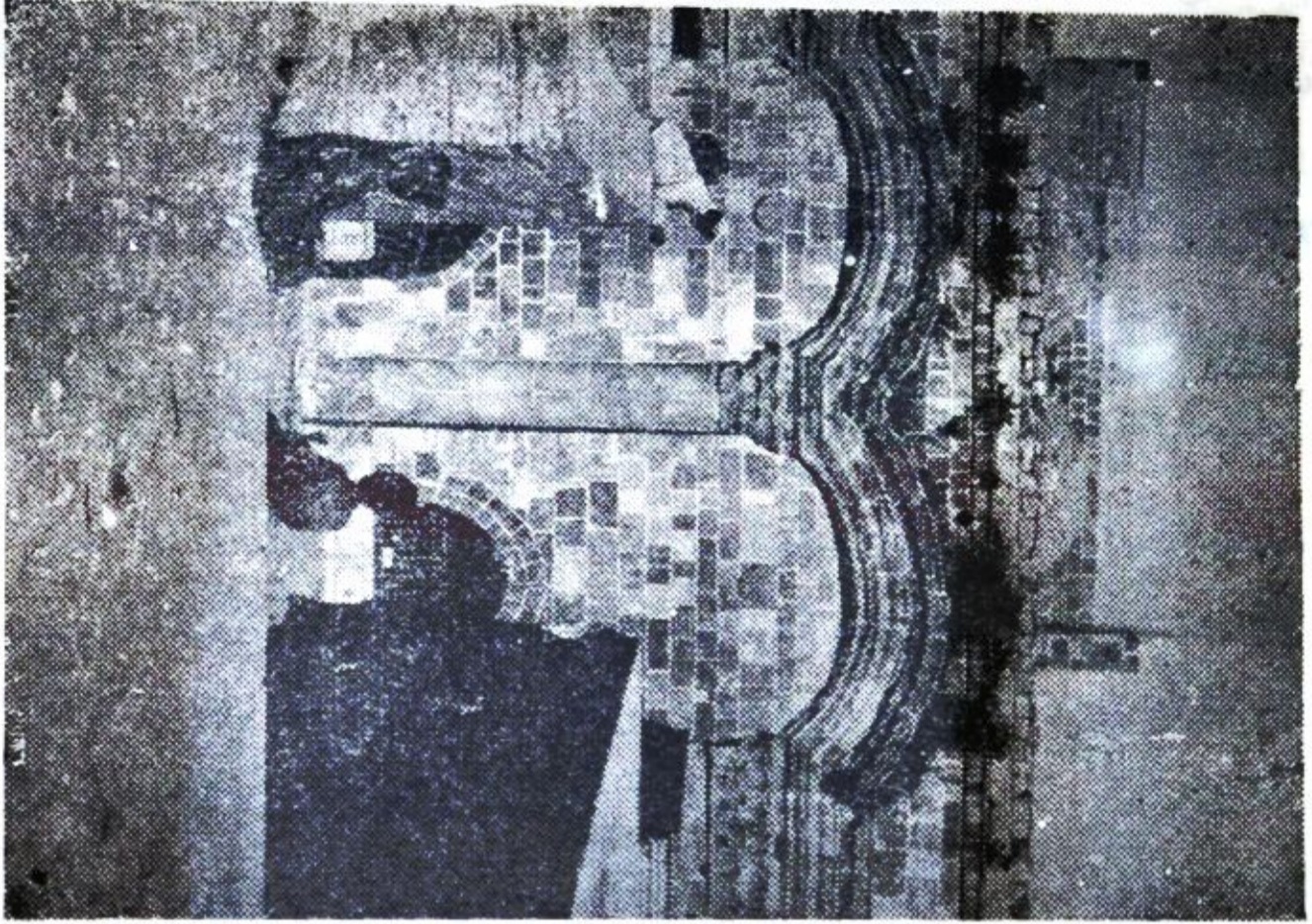
* * *

ومن الأبواب المغلقة بابان متجاوران كبيران مغلقان في السور الشرقي للحرم : أحدهما يدعى (باب الرحمة) والثاني (باب التوبة) . وعليها من داخل المسجد مكان معقود بالبناء السلیماني . هذا ما ذكره مجير الدين . ومما قاله أن (باب الرحمة) هذا هو المذكور في القرآن عند قوله تعالى : « فضرِبَ بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . »

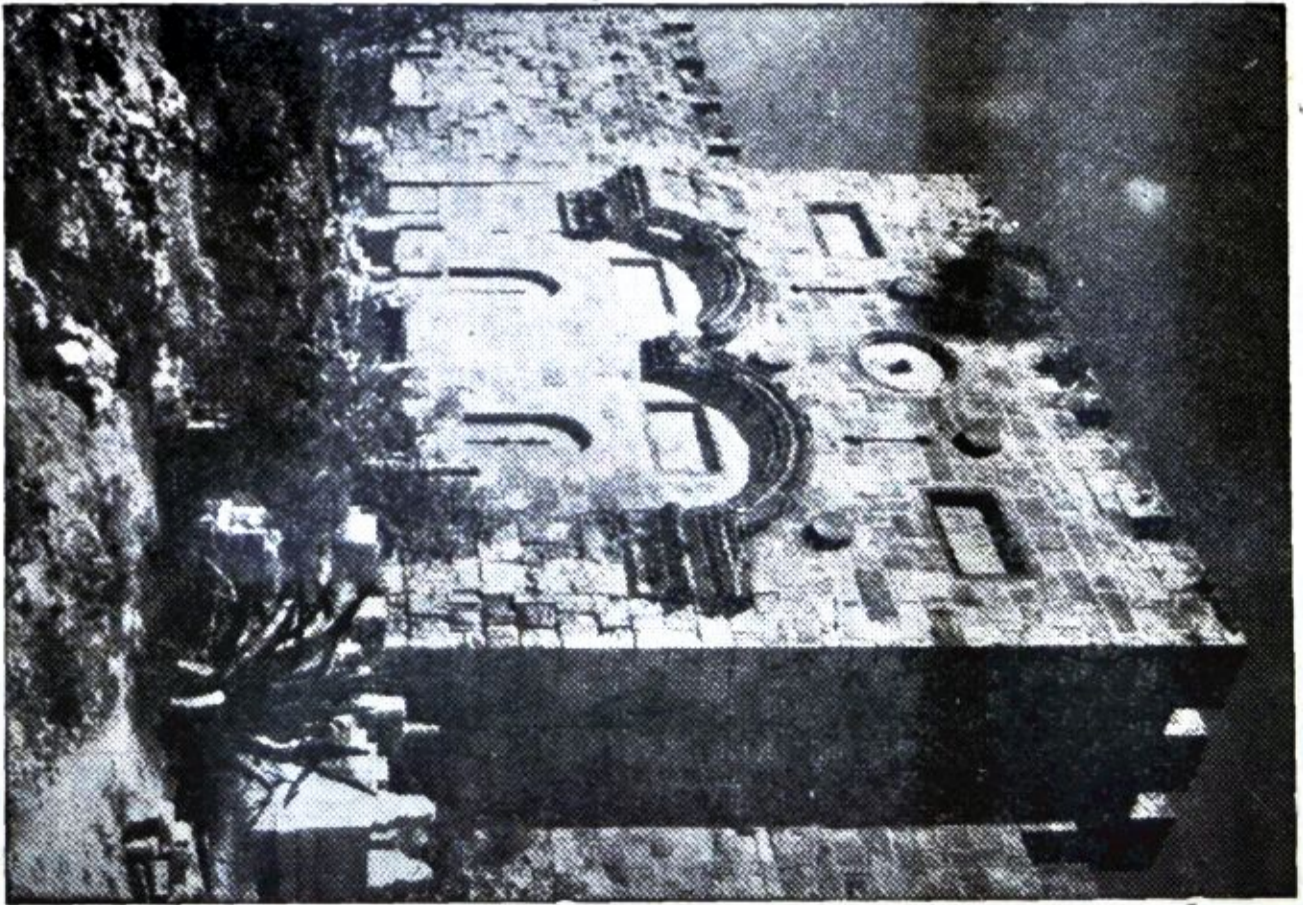
أطلق المسيحيون على هذين البابين المتلاصقين : (الباب الذهبي) . وهم يعتقدون أن السيد

(١) « وقال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل

هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » . سورة البقرة الآية ٢٤٨ .



الباب الذهبي : من داخل السور



الباب الذهبي : من خارج السور

المسيح كان يدخل المدينة من تلك الناحية . وقد دخل منه في أحد الشعانين . وإن هرقل الملك أيضاً دخل المدينة من هذه الناحية ، عندما استرد القدس من الفرس . ومن أسمائه في العهود الأخيرة : (باب توما توما) .

لا نعلم بالضبط متى أغلق هذان البابان ؟ (أنظر الى الصورة في الصفحة ٢١٩) ومن الذي أغلقها ؟ وإن كنا لا نشك في أنها أغلقت أثناء الحروب الصليبية . وهناك فوق هذين البابين (زاوية) أقام بها الامام الغزالي عندما هبط بيت المقدس . وفيها ألف كتابه : (احياء العلوم) .

وكذلك قل عن الباب الكائن بالسور الشرقي وعلى مقربة من البابين المغلقين المتقدم ذكرها الى القبلة ، فقد كان المقدسيون يسمونه : (باب البراق) أو (باب الجنائز) ، إذ كانت الجنائز في العهود الغابرة تخرج منه الى المقبرة الواقعة خلف السور من الشرق ، ولكنه الآن مغلق . ولا ريب عندي في أنه أغلق في الوقت نفسه الذي أغلق فيه الباب الذهبي . وهناك في جدار الحرم من الناحية القبليّة (في الأقصى القديمة) بابان مسدودان . وكذلك قل عن البابين المسدودين الكائنين بين باب السلّة وباب المغاربة .

الإضاءة في الحرم أمس واليوم :

كان في المسجد الأقصى على عهد مجير الدين سبعمئة وخمسون قنديلاً ، وفي قبة الصخرة خمسمئة وأربعون . هذا خلا الأروقة والأماكن الأخرى بداخل الحرم . وأما في ليلة النصف من شعبان وفي السابع والعشرين من رجب وفي ليلة المعراج فكان يوقد ما يزيد على عشرين ألف قنديل . وظل الحرم يضاء بالزيت والشمع حتى أوائل القرن العشرين . وراح القوم يضيئونه بعدئذ بالزيت والشمع في ناحية ، وبالكهرباء في نواح أخرى .

فقد قرأت في كشف للحساب عثرت عليه بين أوراق المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس أنه كان في الحرم (عام ١٩٤٤ م) ثلاثمئة وثلاثون مصباحاً : مئة وثلاثون منها لإضاءة مسجد الصخرة ، ومثان للمسجد الأقصى . وهذان المسجدان يضاءآن بالزيت والشموع . وقد أنفقوا على إضاءتها خلال ستة شهور (من ٢٠ شباط الى ٣١ آب) ١٣٧٩٥٠ درهماً من الزيت . أي ما يعادل ٣٤٤ أوقية و ٧٥٠ درهماً ؛ أو ١٥٣ رطلاً و ٥٢٠ درهماً . ومعنى ذلك أن مجموع ما أنفق من الزيت في تلك السنة ٢٧٥٩٠٠ درهماً (١) .

(١) اليك فيما يلي الأوزان القانونية التي كانت تستعمل يومئذ في أسواق القدس : كي تستطيع تقدير هذه الأرقام :

| | | |
|-----------|------|--------------------|
| الدرهم : | ٣٢٠٥ | غرام |
| الأوقية : | ٤٠٠ | درهم = ١٢٨٢ ر |
| القنطار : | ١٠٠ | رطل = ٢٢٥ اوقية |
| الرطل : | ١٢ | اوقية = ٢٢٥٠ ر |
| | | كيلو غرام = ٢٨٨٤٥٠ |
| | | كيلو غرام = ٢٨٨٤ |

وأما المآذن وباقي المنشآت الأخرى الكائنة في ساحة الحرم ، فإنها تضاء بالكهرباء .
وارتفع عدد القناديل التي تضاء بزيت الزيتون (عام ١٩٤٨) الى أربعمئة ، والمصابيح
الكهربائية الى ٢٠٢ ، والشموع الى ٨٠٠ شمعة اعتيادية . وقد استنفدت عملية الانارة هذه ١٩٩٥ كيلو
غراماً من زيت الزيتون و ٥٤١١ كيلو واطاً من الكهرباء .

وفي سجل آخر عثرت على أرقام تقول : إنه أنفق على إضاءة الحرم في عام ١٩٥٥ ما ينوف عن
الفي كيلو غرام من زيت الزيتون ، وما يقرب من ستة آلاف كيلو واط من الكهرباء إذ أن
بعض المواضع فيه تضاء بالكهرباء ، والبعض الآخر بالزيت والشموع ، كما كان الأمر في العهود السابقة .
وأما في يومنا هذا (١٩٥٨) فلم يبق اثر للزيت والشمع . والحرم كله يضاء بالكهرباء .

سنة الحرم على مر العصور :

قال السائح التركي المشهور أوليا جلي أن موظفي الحرم على عهده (١٦٧١ م) كانوا ثمانمئة : بين
أئمة المذاهب الأربعة ووعاظ ومدرسين وخدم . وإنه كان فيه يومئذ خمسون مؤذناً ومسبجاً ومبلغاً .
وإن هؤلاء كلهم كانوا يعينون بـ (ارادة) من السلطان ، ويتقاضون رواتبهم من خزانة السلطان .
وإن الخازن الخاص للسلطان كان يأتي مرة في كل عام لدفع الرواتب المتقررة .

وقال مجير الدين في الصفحة ٣٨٥ من كتابه (الانس الجليل) ما يلي :

« كان للحرم في بداية عهد إنشائه ثلاثمئة خادم اشترت له من خمس بيت المال . منهم عشرة
يهود ، وعشرة نصارى ، والباقون مسلمون . أما اليهود فمهمتهم كنس أوساخ المسجد وتنظيف
المظاهر التي حوله . وأما النصارى فمهمتهم صنع الحصر التي تستعمل في المسجد ، وتعزيل قناة الماء ،
وتنظيف الصهاريج . ولا تؤخذ من هؤلاء ولا من أولئك الجزية . »

وانحصرت خدمة الحرم في العهد التركي بالمسلمين . فقد كان السواد الأعظم من سكان بيت
المقدس المسلمين ، في ذلك العهد ، يعدون الانخراط في خدمة الحرم شرفاً :

أولاً . لأن هذه الخدمة تلامم معتقدهم الديني ، وميلهم للتمسك بتراث الآباء والأجداد .

ثانياً . لأنها كانت تدر عليهم اسباب العيش . فضلاً عن (الصرة) التي كانت تأتيهم من الآستانة
والتي يرسلها اليهم سلاطين آل عثمان . وفيها المال يوزعونه بوساطة الوكلاء والحكام على خدام
الحرم وسدنته ، كل حسب وظيفته وعمله . فقد كان هؤلاء السدنة والخدام نصيب معين من الخبز واللحم
وسائر انواع المؤن التي كانوا يتناولونها في اوقات معينة . وكانوا يتقاضون مبلغاً معيناً من المال .
وكثيراً ما كانوا يتنازلون لغيرهم عن هذا الحق لقاء مبلغ معين يتسلمونه من ذلك الغير .

ثالثاً . لأن خدام الحرم كانوا ، بحكم النظام والقانون ، يستثنون من الجندية الاجبارية .

رابعاً . لان وظائف الحرم كانت وراثية ، يتناقلها الأبناء عن الآباء ، يأمنون بها وبرواتها غوائل الدهر .

هذه الأسباب مجتمعة او منفردة هي التي كانت تحدو بالكثيرين من ابناء بيت المقدس للانخراط في ناحية من نواحي الخدمة بالحرم القدسي . وكان القوم يسمونها : (الجهات) . وكانت هذه تابعة لقانون يسمونه : (توجيه الجهات) . وهي ذات نوعين : اما (الجهات العلمية) وهي التي يتوقف ايفاؤها على تحصيل العلم - كالتدريس والخطابة والأمامة - فكانت توجه الى اصحابها براءات سلطانية . واما (الجهات البدنية) التي تتصل بالعمل ولا تحتاج الى علم - كالقيم والفراش والبواب والمؤذن - فكان لا بد من الحصول على امر من وزارة الأوقاف من اجل القيام بها . وفي جميع الحالات كان موظفو الحرم يتوارثون هذه الخدمات أباً عن جد ، كما يتوارث الناس المال والبنين او اي حق آخر من الحقوق التي يتوارثونها عن طريق الشرع والقانون . فيقوم الابن بعمل ابيه بعد وفاة ذلك الأب وانتقاله الى رحمة الله . واذا كان الابن قاصراً ، فكان العمل المطلوب منه يدار عنه بالوكالة ، الى ان يبلغ هو سن الرشد . وكثيراً ما كان القاصر يستمر في عمله رغم عدم نضوجه دون ان يجد من يحاسبه عن عمله . او قد لا يكون قاصراً ، بل انه من الغباوة والجهل بحيث لا يستطيع ان يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه ؛ فيصبح مع الزمن مصدر شر ، بدلا من ان يكون مصدر خير . وكثيراً ما ألم بالمسلمين من جراء ذلك ضرر عظيم .

ومن حسن حظ المسلمين ان هذا النظام السقيم (١) عدل في العهد الأردني . عندما نشر نظام جديد (في ٢٧ آذار عام ١٩٥١) . واشترط النظام الجديد الكفاءة في جميع الحالات . وحال دون (توجيه الجهات) الى القاصرين والجاهلين . ومع هذا كله حفظ النظام الجديد للابن حقه في العمل ، ورجحه على غيره من الطالبين ، فيما اذا تساوى معهم في الكفاءة والقدرة على العمل . إن للحرم القدسي في يومنا هذا (١٩٥٥) اثني عشر سادناً . وهم :

الشيخ مصطفى خليل الأنصاري (وهو رئيس السدنة) . الشيخ اسماعيل فائق الأنصاري .
الشيخ خضر امين عمر الأنصاري . الشيخ ابراهيم عبد القادر الأنصاري . الشيخ حسين داود الأنصاري . الشيخ محمود مصطفى الأنصاري . الشيخ خليل بدر الأنصاري . الشيخ خضر محي الدين الأنصاري . الشيخ جودة عبد المعطي الأنصاري . الشيخ شحاده حسن الأنصاري .
عبد المعطي محمد القطب . فريد يوسف النشاشيبي .

(١) وضع النظام القديم المعروف : (نظام توجيه الجهات) في عهد السلطان محمد رشاد الخامس . وكان ذلك بتاريخ ٢ رمضان ١٣٣١ هجري - الموافق ٢٣ تموز ١٣٢٩ مالي (١٩١٢ ميلادي) .

ويقوم هؤلاء على خدمة المسجد الأقصى والصخرة معاً. فيتقاضون رواتبهم من خزانة الأوقاف . وكان للمسجد الأقصى في العهود الغابرة خطباء كثيرون . وكذلك قل عن خطباء مسجد الصخرة . ولكنهم انقرضوا مع الزمن ، فلم يبق في المسجد الأقصى سوى خطيبين هما : الشيخ جميل الخطيب (١٩٥٤) ، والشيخ عبد الغني كاملة (١٩٥٥) .

وهناك أربعة أئمة : اثنان منهم يؤمان المصلين في مسجد الصخرة (١٩٥٥) وهما الشيخ عبد الرزاق الشهابي ، والشيخ جميل الخطيب . واثنان في المسجد الأقصى وهما : الشيخ سعيد سعيد الأمام ، والشيخ محمد القباني .

وهناك سبعة مدرسين هم : الشيخ محمد سعيد الشريف . الشيخ جميل الخطيب . الشيخ حافظ صندوق . الشيخ محمد عادل الشريف . الشيخ يس البكري . الشيخ محمد عبد الرحمن الخطيب . الشيخ صالح الفتاوي .

وللحرم ثمانية مؤذنين هم : عمر ناجي القزاز . حمدي احمد القزاز . شحادة يوسف القزاز . يقين يوسف القزاز . موسى البغدادي . محمود الأرنؤوط . الشيخ ابراهيم الكسواني . محمد الغزاوي . لكل واحد من هؤلاء المؤذنين دوره في الآذان .

كان المؤذنون فيما مضى يبدأون الآذان عندما يأمرهم بذلك (الموقتون) . وكان هؤلاء (اي الموقتون) تابعين لقانون توجيه الجهات . ومن هنا جاء الاسم الذي لقبت به عائلة (الموقت) المعروفة بالقدس (١) .

وهناك تسعة عشر بواباً لأبواب الحرم . ولهؤلاء البوابين رئيس هو الشيخ تاج الدين ابن الشيخ رشيد الخطيب . هذا خلا البوابين المختصين بمسجدي الصخرة ، والأقصى . وهناك ستة حراس مهمتهم حراسة الحرم ، وناطور لتنظيف الأقدار ، وبستاني للعناية بالأشجار (٢) . ومن هذا يفهم ان عدد موظفي الحرم في يومنا هذا (١٩٥٨) من خطباء وأئمة ومدرسين وسدنة وخدام وبوابين وغير ذلك واحد وستون؛ منهم : ١٢ سادناً وخطيبان وأربعة أئمة وسبعة مدرسون وثمانية مؤذنون وتسعة عشر بواباً وستة حراس وزبال وبستاني وناطور .

(١) جد (آل الموقت) هو احمد المحدث . كان مفتي القدس في زمن السلطان محمود الأول بن السلطان مصطفى الثاني (١١٥٨هـ - ١٧٣٧م) . واما نجله المسمى احمد الموقت ، فقد كان تقيماً للاشراف في القدس . وهما ينتميان الى (ابي العزم) المدفون بغزة . وكان بين خدام المسجد عدد من احفادهما .
(٢) هناك في الحرم اشجار قديمة من الميس والزيتون . وقد غرس المجلس الاسلامي بقعتين بالأشجار الحرجية : واحدة الى الغرب من صحن الصخرة تجاه الباب الحديد ، والثانية على مقربة من باب المغاربة (١٩٢٢ - ١٩٢٨م) . وغرس السدنة عدداً كبيراً من الأشجار الحرجية في البقعة الكائنة بين باب فيصل وباب الناظر (١٥ كانون الثاني ١٩٥٥م) . وعادوا فغرسوا عدداً آخر في البقعة الكائنة بين الباب الذهبي وباب الأسباط (١٥ كانون الثاني ١٩٥٦م) .

زيارة الحرم :

كانت زيارة الحرم ، في العهود الغابرة ، مباحة للناس أجمعين : لا فرق بين مسلم ومسيحي ، وطني وأجنبي . ولما أخذت رياح الاستعمار السياسي تهب على هذا الجزء من الشرق ، وكانت رياح الاستعمار الديني قد سبقتها باسم التبشير . وراحت البلاد تغص بالارسلالات الأجنبية المختلفة ؛ خشي أولو الأمر العاقبة ، فحرموا الزيارة على الأجانب كائناً من كانوا ، وأباحوها لمن والاعم من المسيحيين العرب المواطنين . وكان (القتل) عقوبة من يغشاه غيرهم من المسيحيين الأغيار . وأما اليهود فقد حرموا زيارة الحرم من تلقاء أنفسهم ، لاعتقادهم بان (التوراة) مدفونة تحت باب (؟) من أبواب الحرم ، من اليوم الذي كان يقوم في هذا الموضع هيكلهم .

قال السائح الفرنسي هنري موندل Henry Maundrell الذي زار القدس سنة ١٦٩٦ للميلاد ودون مشاهداته في كتاب أسماه A Journey From Aleppo to Jerusalem (١) :

« ان القدس كانت يومئذ تابعة الى طرابلس الشام ، وأنه كان في طرابلس وال يسمونه (اوستان باشا) (٢) ، وانه ورفاقه السياح الآخرين انتظروا ، عندما وصلوا المدينة ، عند باب المدينة الغربي المعروف بباب بيت لحم (٣) مقدار نصف ساعة من الزمن ، الى أن جاءهم الاذن من الباشا بدخول المدينة . إذ كان محرماً على الفرنج ليس دخول المدينة فحسب ، بل والدنو من أسوارها قبل صدور الإذن من الحاكم ؛ وكان على الزائرين أن يترجلوا عند ولوجهم باب المدينة ، وأن يسلموا أسلحتهم الى الجند المرابطين على الأبواب ، إلا إذا أجاز لهم الحاكم أن يدخلوها على غير هذا المنوال . وإنهم عند وصولهم الى كنيسة القيامة رأوا على أبوابها عدداً من الجند المعروفين بالانكشاريين ، ومعهم عدد من الضباط اقيموا هناك ليراقبوا الزائرين ، وليجبوا منهم الضريبة المعروفة بـ (ضريبة الغفر) . وكانت هذه يومئذ عبارة عن أربعة عشر دولاراً عن كل واحد من اللاتين ، ونصف هذا المبلغ عن كل واحد من الرؤساء الروحيين ؛ وانهم بعد الانتهاء من زيارة الأماكن المقدسة في المدينة غادروها ميممين نهر الاردن في قافلة عدد أفرادها الفان من جميع الطوائف والأجناس ؛ وان حاكم المدينة — عملاً بالأصول المتبعة في تلك الأيام — رافقهم في هذه الرحلة ، وكان في ركابه عدد غير قليل من الجند ؛ وان الحكومة تقاضت لقاء هذه المهمة رسماً قدره اثني عشر دولاراً عن كل زائر ، ونصف هذا المبلغ من الرؤساء الروحيين ؛ وانهم بعد

(١) اطلعت على هذا الكتاب المطبوع في لندن سنة ١٨٢٣ (الصفحات ٢٤ — ٨٩) .

(٢) لعله أراد ان يقول : (آرسلان باشا) .

(٣) باب الخليل .

رجوعهم الى القدس وقفوا فوق سطح الدار التي كانت مقرراً للولاية (١) في عهد الرومان ، يسرحون الطرف من بعد في جنبات الحرم ، اذ كان محرماً على غير المسلمين دخوله ، ومن كانت نفسه تمده بالدخول كان يعرض نفسه لخطر الموت . انتهى قول السائح موندول .

ظلت الحال كذلك حتى اواسط القرن العاشر . اي ان دخول الحرم ظل محرماً على المسيحيين الاغيار حتى ذلك التاريخ . اذ حصل (٢) الدوق بارابانت البلجيكي (٣) وعقيلته النمساوية الاصل على اذن من السلطان (٤) بزيارة الحرم . وقد تمت تلك الزيارة في اليوم السابع من شهر نيسان ١٨٥٥ م . ورافق الدوق وعقيلته في زيارتها متصرف القدس في ذلك الحين كامل باشا . وقد اتخذ للتصرف يومئذ من التدابير ما يضمن انتهاء الزيارة دون وقوع حادث جلل . منها انه ابعد التكارنة (٥) الذين كانوا قائمين على حراسة الحرم . ابعدهم بحيلة . هي انه اعتقلهم يوم الزيارة ، واقام على حراسة الحرم بدلا منهم حراساً آخرين . ثم اعادهم الى عملهم بعد ان انتهت الزيارة . وقد انتهت هذه بسرعة البرق الحافظ . اذ كان الزائرون يخشون غضب المسلمين من سكان المدينة ، دع عنك التكارنة حراس الحرم . وكان المتصرف نفسه يشاطرهم هذا الخوف .

ولكن موقف المسلمين تغير بعد ذلك التاريخ . اذ رأوا ، بعد انعام النظر ، انه خير لهم وافضل ان يزور الأجانب هذا الأثر التاريخي الجليل ، فيدركوا مبلغ الرقي الذي وصل اليه العرب والمسلمون من حيث فن البناء والهندسة والتنظيم ، ومن حيث التسامح والرغبة في التعايش السلمي . فاصبحت الزيارة ، في أواخر القرن التاسع عشر ، مباحة للجميع على حد سواء . وان كانت مصلحة الوقف تشتت الآن الحصول على اذن منها ، لتتمكن من تحصيل الرسم المقرر وزيادة واردات الوقف . والرسم المقرر مائتا (٢٠٠) فلس . يضاف اليها عشرون (٢٠) فلساً لقاء (الحنف) الذي يتعله الزائر . ان هذه الرسوم التي تنفق على عمارة الحرم ، تجبي من المسيحيين الفرنجة . وأما المسيحيون العرب فانهم يعاقون منها . وكذلك قل عن المسلمين الذين يؤمون الحرم من مشارق الأرض ومغاربها .

-
- (١) انه (برج انطونيا) الذي ذكرناه في كتابنا : (تاريخ القدس) . وهو المكان الذي كانت تقوم عليه كلية الروضة (١٩٢٠) والذي تقوم عليه الآن (١٩٥٥) المدرسة العمرية ؛ عند باب درج الفوامنة من أبواب الحرم .
- (٢) اقرأ مذكرات المسزفين عقيلة القنصل البريطاني في ذلك الحين .
- (٢) صار فيما بعد ملك البلجيكي . وسمي الملك ليوبولد الثاني .
- (٤) كان السلطان يومئذ ممثلاً لدول الغرب ، سيما تلك الدول التي وقعت الى جانب تركيا في حربها مع الروس . تلك الحرب المعروفة بـ (حرب القرم) .
- (٥) اصلهم من السودان . وقد اشتهروا بالشدة والبطش والتعصب للدين الاسلامي .

والشرط الآخر المفروض على الزائرين غير المسلمين هو أن ينسحبوا من المسجد ، قبل الوقت المحدد للصلاة ينصف ساعة . لئلا ينزعج المصلون اثناء الصلاة (انظر الى الصورة في الصفحة ٢٢٧) .

زار امبراطور الألمان القيصر ويلهلم الثاني الحرم القدسي ، عندما هبط القدس عام ١٨٩٨م وكانت تراققه القيصرة اوغستا فيكتوريا . كما كان يرافقه رئيس وزرائه الغراف ميرباخ ووزير خارجيته دوبولف وعدد كبير من رجال الدولة الالمانية ورجال الكهنوت الالمان ؛ زاروا جميعاً الحرم ، يرافقهم عدد من الوزراء العثمانيين والضباط التابعين لكل الجيشين بيزاتهم الرسمية . ولكي يتمكن الامبراطور من دخول المدينة راكباً ، فتحت له السلطة ثغرة في السور بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني ، هي التي تراها بين باب الخليل والبرج المعروف بـ (برج هيكس) من ابراج السور . فمر الموكب منه . وبعدها زاروا كنيسة القيامة ، زاروا الحرم القدسي . ليس هذا فحسب . فان بلدية القدس قدمت يومئذ للقيصر والقيصرة مجموعة من الصور تبين مناظر القدس في أوضاع مختلفة ، وبين الصور صورتان : احدهما لمسجد الصخرة ، والاخرى للمسجد الاقصى . ووضعت الصور في غلاف من صدف صفحت زواياه بماء الذهب . وهو من صنع بيت المقدس .



- (١) ...
- (٢) ...
- (٣) ...
- (٤) ...
- (٥) ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

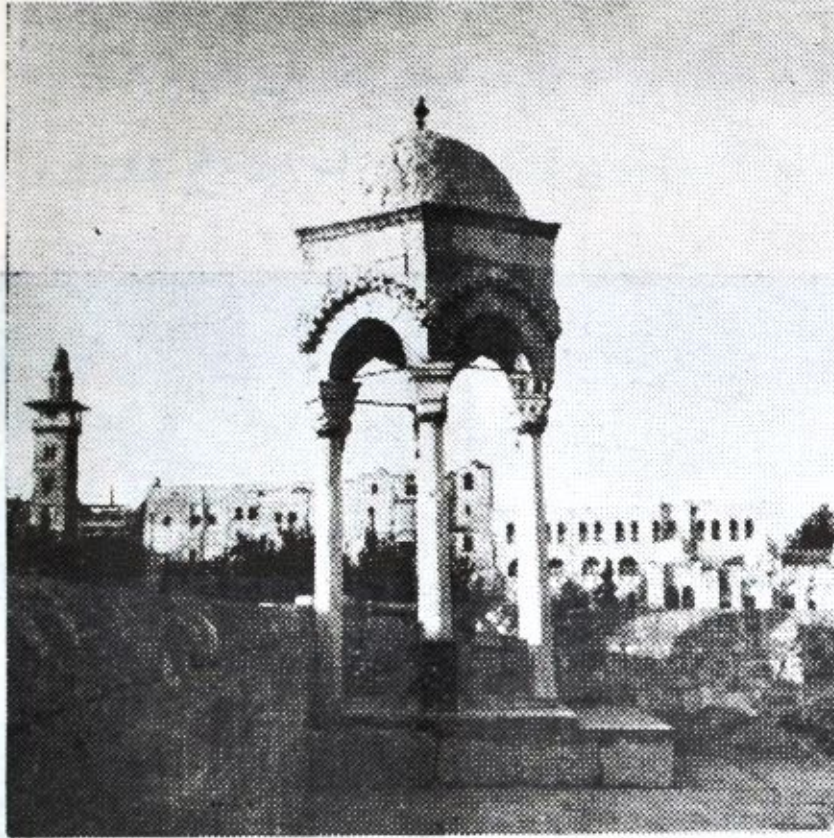


آلاف من المسلمين يصلون في المسجد الأقصى

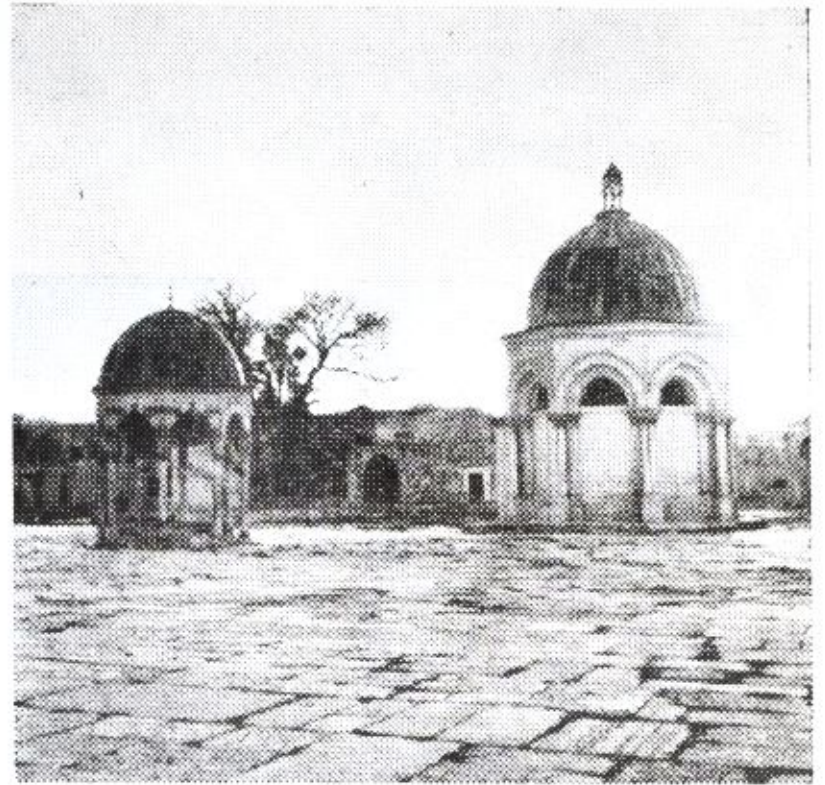
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

صور مختلفة لبعض الأماكن التي ورد ذكرها في هذا الكتاب



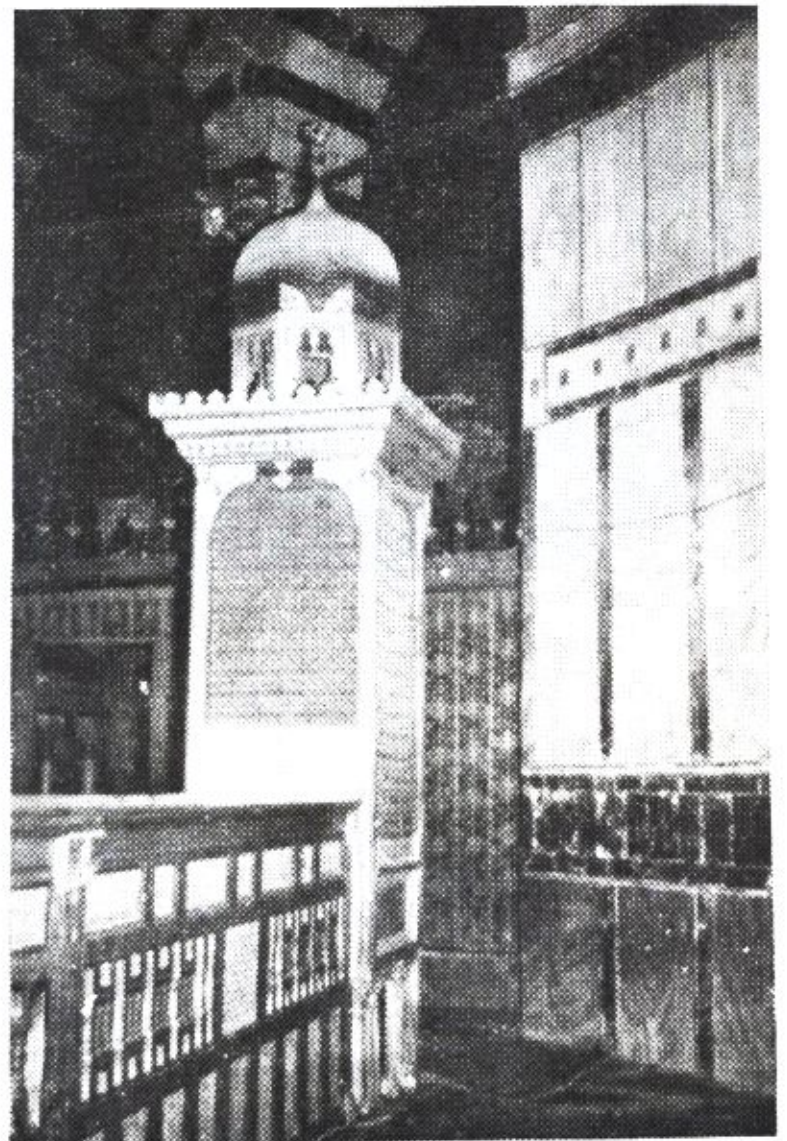
قبة الحضر



قبة المعراج ومحراب النبي



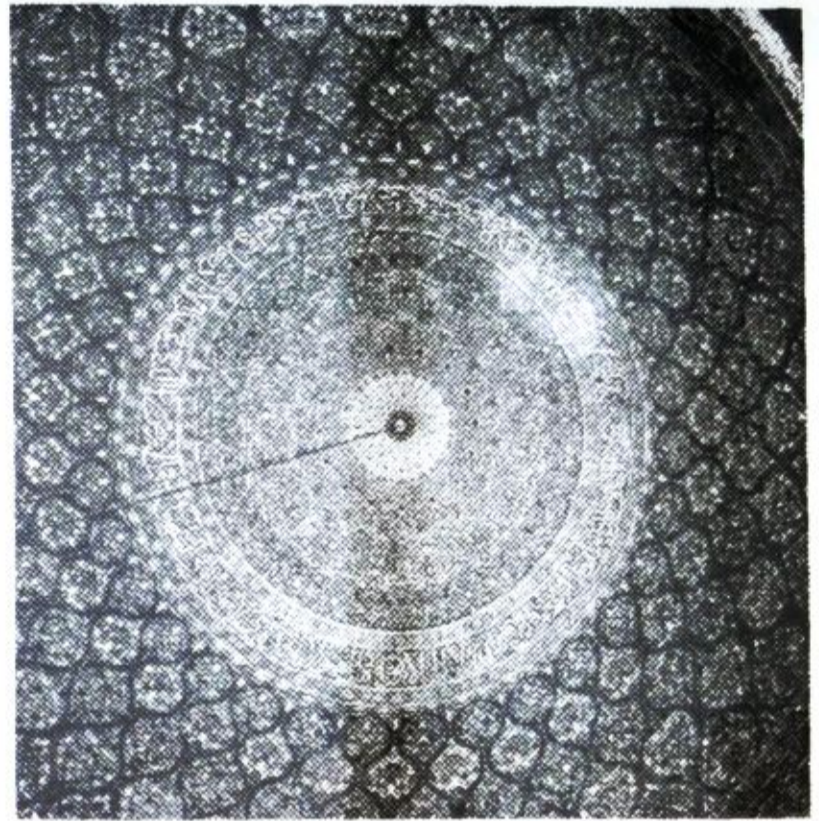
قبة يوسف



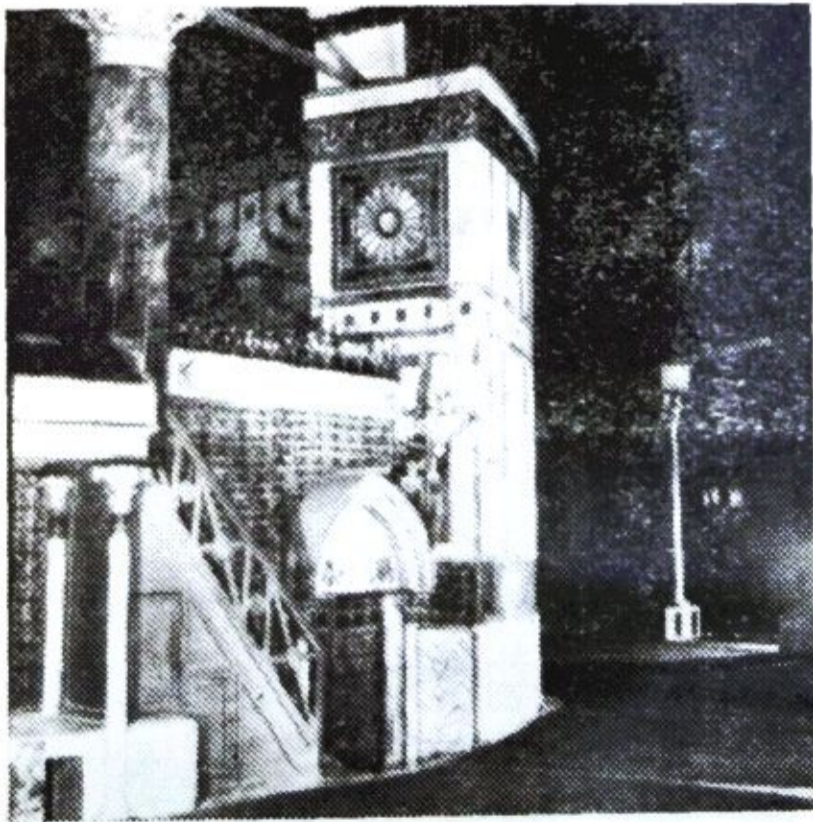
الحجرة التي تحفظ فيها شعرات النبي



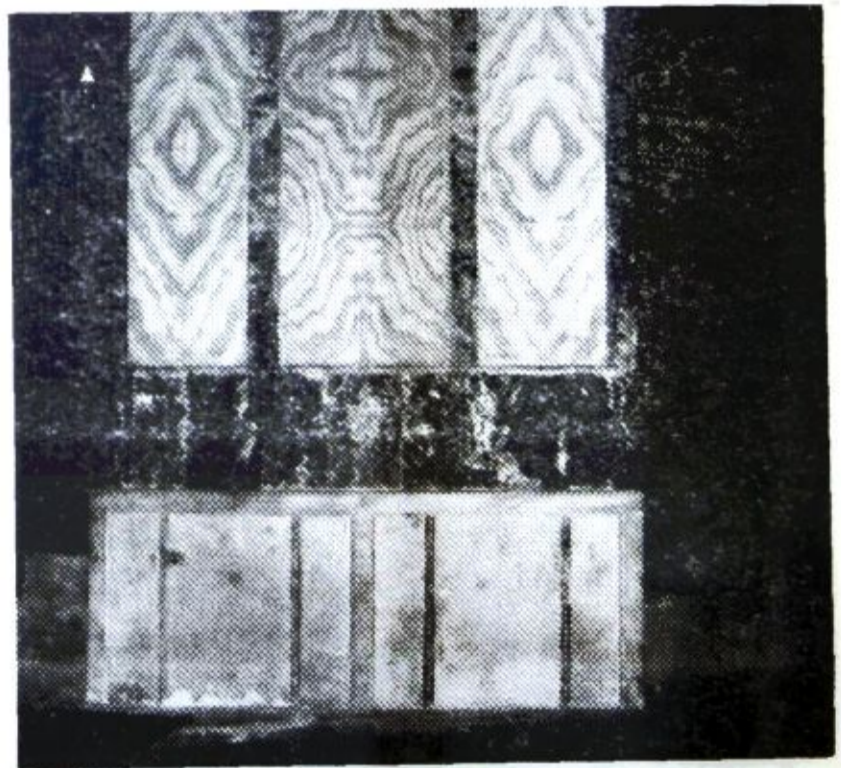
آية الكرسي : على قبة الصخرة من الداخل



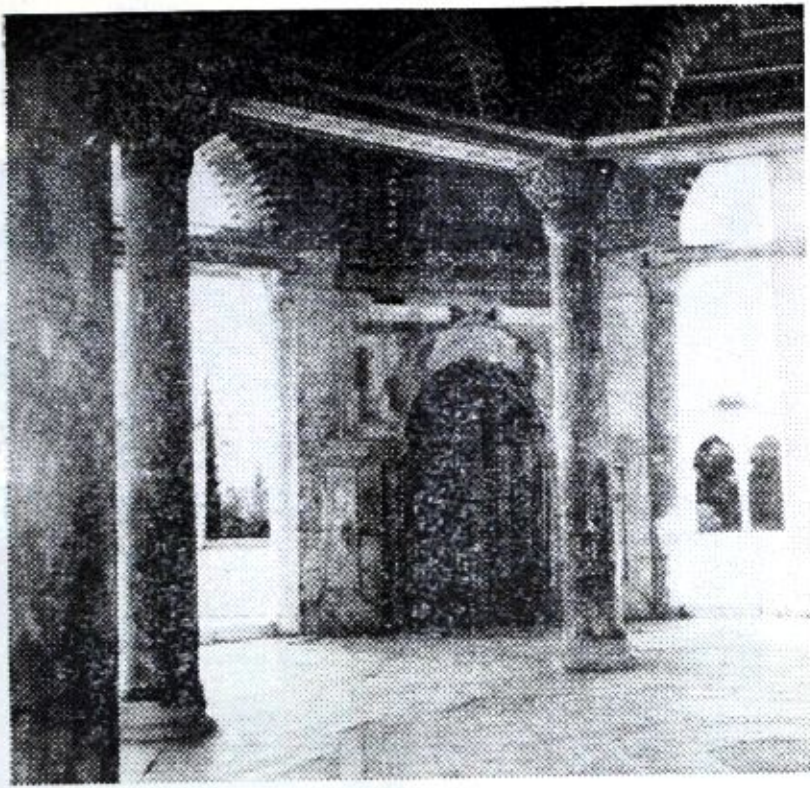
قبة الصخرة من الداخل وفيفساؤها



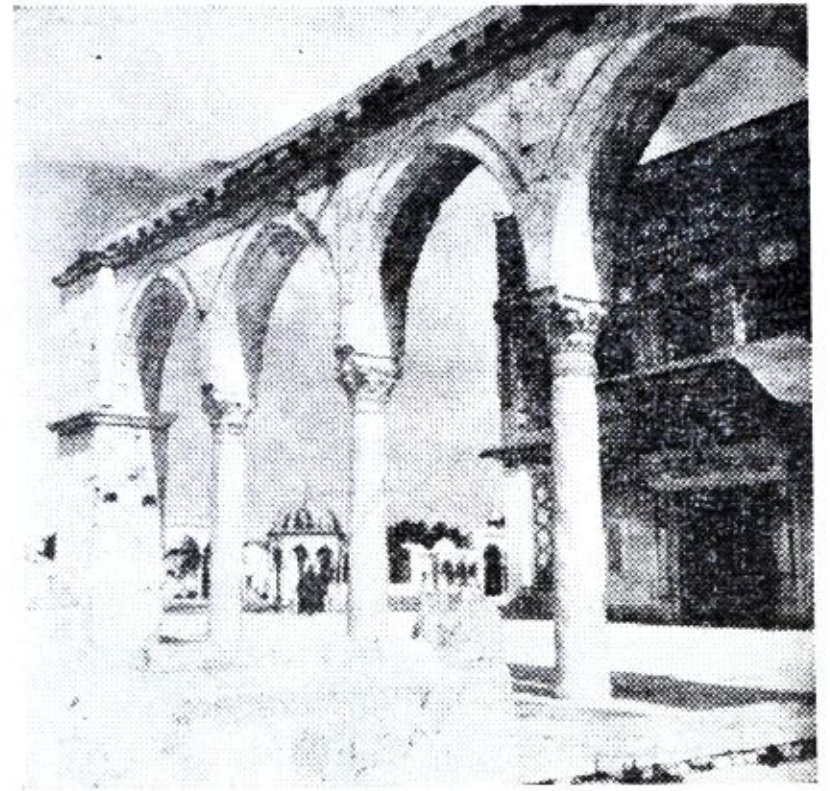
دعامة أخرى والى جانبها باب المغارة



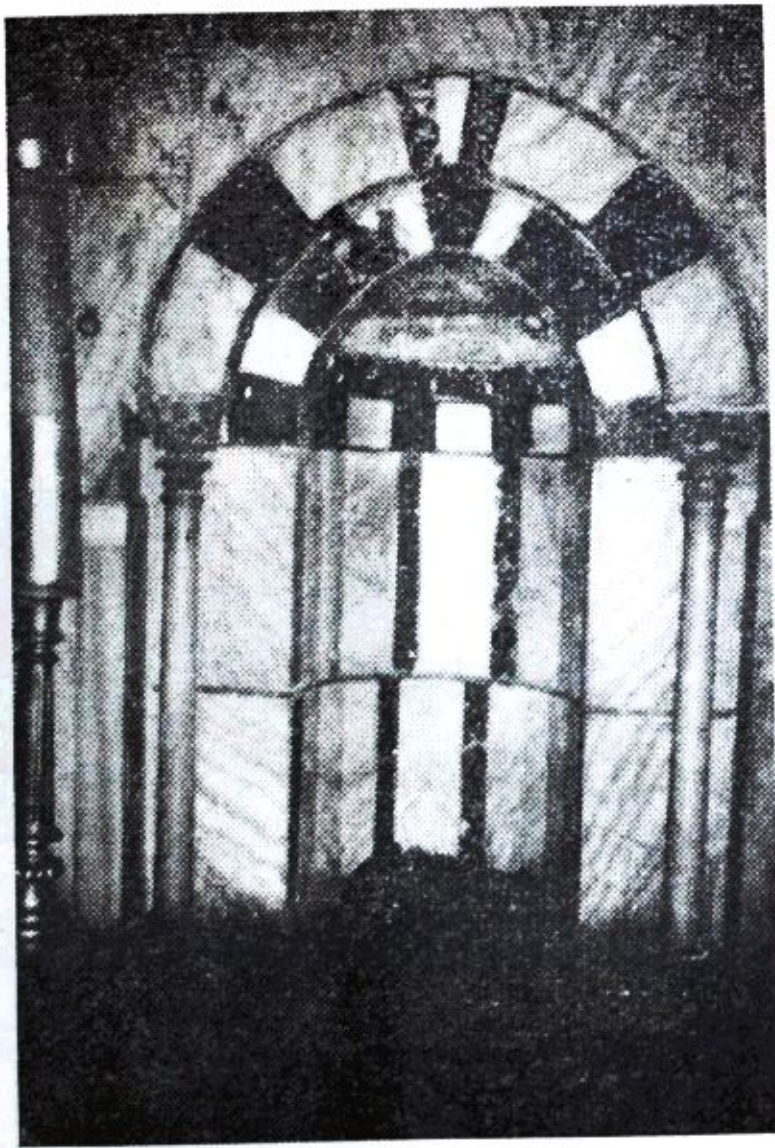
احدى الدعامات التي ترتكز عليها قبة الصخرة



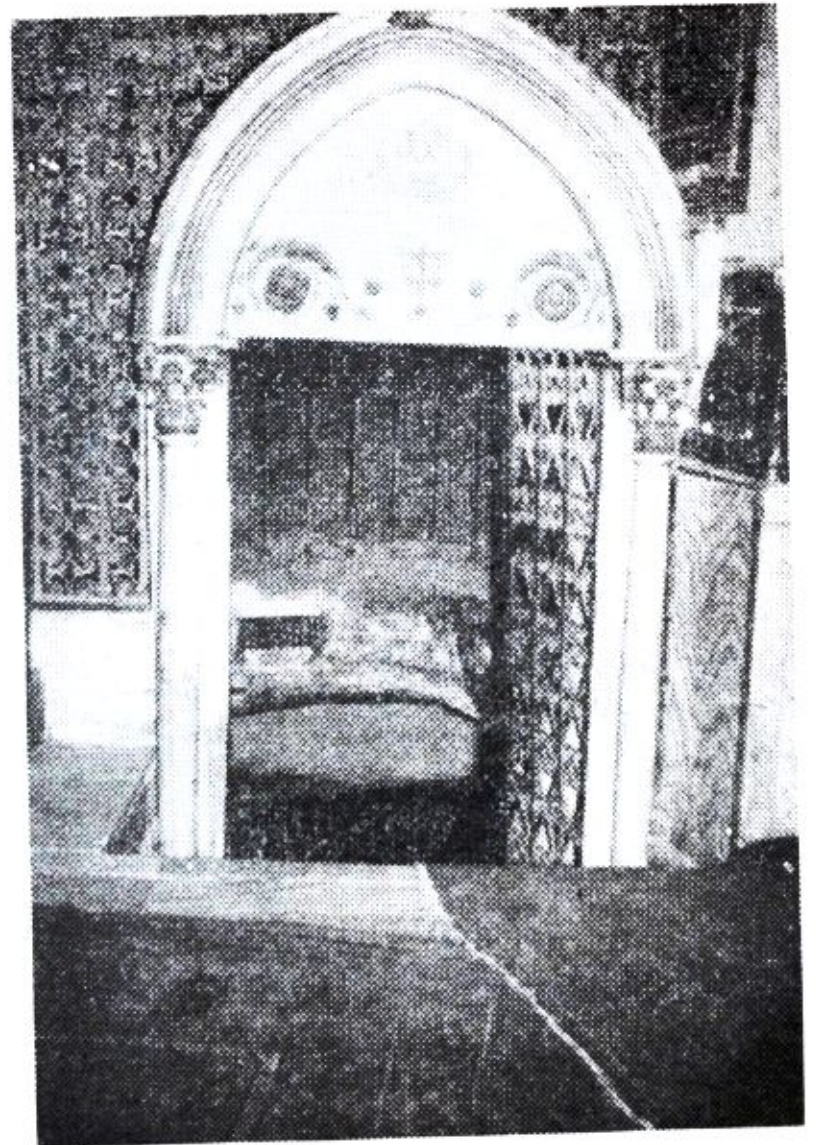
قبة السلسلة ومحرابها



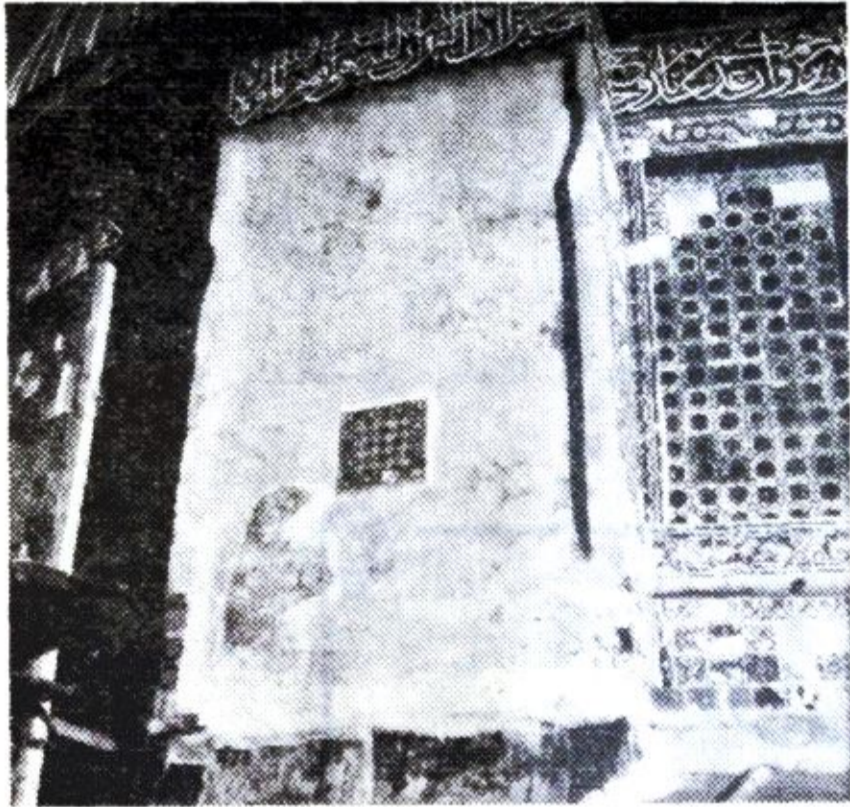
القنطرة (الغربية الوسطى)



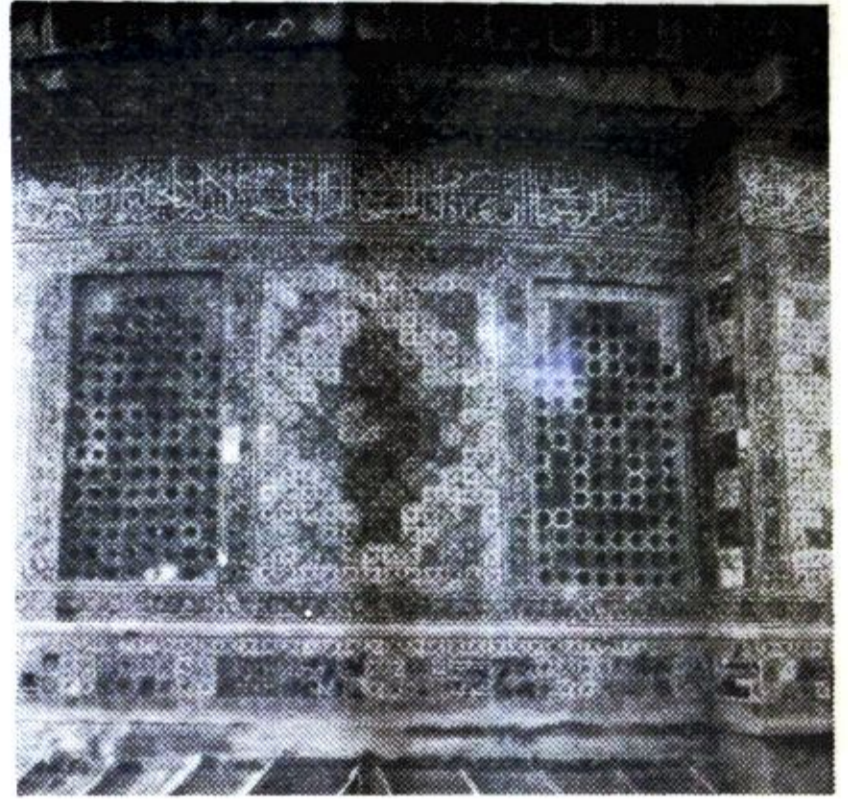
المحراب : في مسجد الصخرة



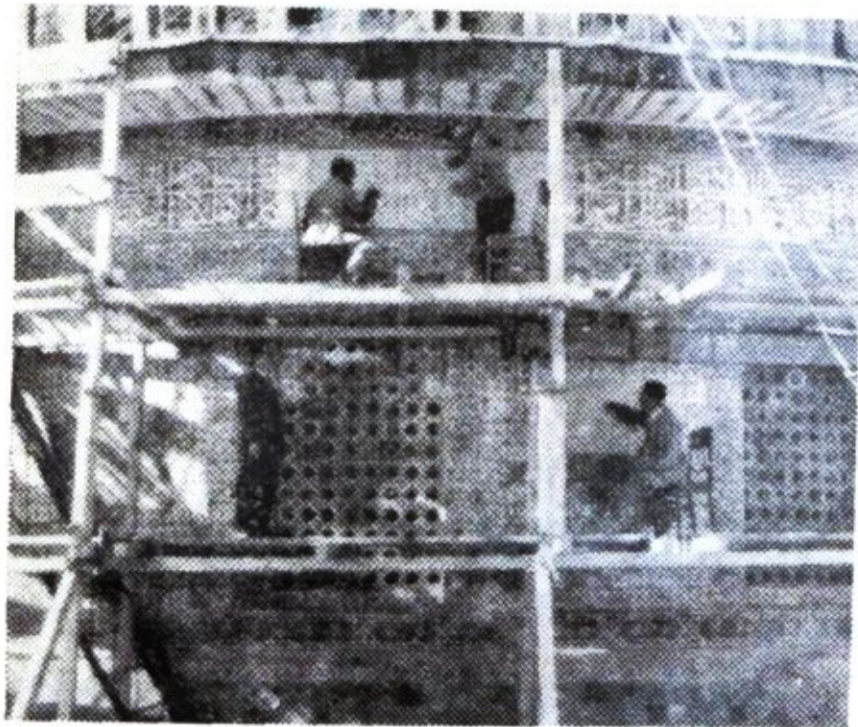
باب المغارة التي تحت الصخرة



الفاشاني المعطوب في رقبة القبة



الفاشاني بين الشباكين من أنواع مختلفة



المهندسون المصريون
يعملون على إعمار رقبة الصخرة من الخارج



باب الجنة

الباب الخامس

معتقدات وأساطير



معتقدات وأساطير :

ليس بمستغرب أبداً أن تنشأ ، حول هذا المكان الاسلامي الجليل الذي يؤمه آلاف المصلين خمس مرات في كل يوم ، وهم يقدسونه ؛ وقد اعتبره علماء الآثار من أجل الآثار التي خلدها التاريخ على مر العصور ، معتقدات بلغت - في بعض الأحيان - حد الأساطير .
بلى وربك . إنا لا نستغرب هذه المعتقدات ، وقد نشأ بين أم الأرض كلها ، من مشرقها الى مغربها ، معتقدات مثلها ، كانت وما برحت تنمو وتنبو بمقدار العقيدة المتغلغلة في النفوس ، ودرجة العلم والوعي التي بلغتها كل أمة .

وأما نحن فنقول : ان جل هذه المعتقدات ، إن لم نقل كلها ، بعيدة عن العقل والمنطق ؛ ولئن عطفها الجهلاء الى الدين ، إلا أنها - في الحقيقة - ليست من الدين في شيء . فقد استنكرها رجال العلم وأساطين الدين ، واعتبروها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان . وإنا لنداكرون منهم : ابن تيمية ، والبقاعي ، والجلال السيوطي ، وشهاب الدين أحمد بن حجر ، وابن القيم الجوزية ، والامام العجمي ؛ وغيرهم كثيرين من العلماء الأعلام . ولم ينبج هؤلاء من ناقدين .
فقد ألف ابن تيمية كتاباً استنكر فيه هذه المعتقدات ، واعتبرها خرافات . وألف تقي الدين الحسيني كتاباً رد فيه على ابن تيمية ، فاتهمه بالكفر . وألف البقاعي كتاباً في (الرد الزاجر على من زعم أن ابن تيمية كافر) . وألف الإمام الشيخ أحمد العجمي المصري كتاباً في (تنزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الآثار) .

وإنه ليسرنا أن نلاحظ أن هذه الخرافات آخذة - في يومنا هذا - طريقها الى الزوال ! والفضل في ذلك راجع الى العلم الذي انتشر بين جميع طبقات الشعب . فاستنارت العقول ، وما عادت تهضم سوى العقول .

ومها كان الأمر ، فقد لا يخلو من فائدة أن نذكر هنا ، بوجه الايجاز ، بعض المعتقدات التي كانت ، حتى زمن قريب ، راسخة في الأذهان ؛ منها :

١ - إن الصخرة معلقة في الهواء ! . . من اليوم الذي أرادت فيه أن تلحق بالنبي عليه الصلاة والسلام عندما عرج منها الى السماء . لولا الملاك جبرائيل الذي أوقفها ! . . ولم يقف القوم في معتقدهم هذا عند هذا الحد ، بل اجتازوه الى حد القول إنهم يرون بأب أعينهم ! آثار أصابع جبرائيل على الصخرة ، عندما وضع يده عليها ؛ ليوقفها ! .

٢ - وإن في الصخرة لساناً بارزاً ! باتجاه القبلة . يقولون أنه سلم ! على النبي عليه الصلاة والسلام

ليلة الاسراء . كما سلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم فتح هذا مدينة ايلياء .

٣ - وفي وسط قبة السلسلة من الداخل سلسلة ذات حلقات عديدة ؛ وإن حلقة من حلقات هذه السلسلة تقع على رأس الرجل الذي يمسها بيده ، إذا ما أقسم يمينا كاذبه . فتصعقه لوقته ! .
وتسأل عن (السلسلة) التي كانت تتدلى في وسط القبة من الداخل : أين هي ؟ فيقولون لك (!) إنها غابت عن الأنظار منذ اليوم الذي أقسم فيه أحد المتهمين يمينا كاذبة ! .
وفي قول أن هذا المتهم كان يهودياً . . . وانه أوتمن مرة على مئة دينار ذهب . . ثم أنكرها . .
ولما ألح عليه غريمه ، إلا أن يقسم اليمين ويده ممسكة بالسلسلة^(١) . فعل وأقسم أنه رد الأمانة الى صاحبها . وكان هذا (أي اليهودي) قد صهر الدنانير ذهباً ، وصبها في عصاه ؛ وقيل أن يمسك السلسلة بيده ، سلم العصا الى غريمه ؛ ليحتفظ بها ، ريثما ينتهي من القسم ! . . وأقسم بعد ذلك انه أرجع الأمانة الى صاحبها ! .

ويعتقد الرواة أن السلسلة اختفت عن الانظار بعد ذلك الحادث ، لشدة غضبها ! وحنقها على الكاذب ! ..

وهناك من يعتقد أن النبي عليه الصلاة والسلام ، هنا - في الموضع الذي تقوم عليه الآث قبة السلسلة - أتاه جبرائيل ، حاملاً الوحي ، قبل أن يصعد الى السماء ..
٤ - وفي أسفل الدرج القبلي الكبير الكائن بين مسجدي الصخرة والأقصى بلاطة كبيرة يسمونها: (بلاطة الأولياء) . يعتقدون أن تحتها مغارة متصلة بمغارة الخليل . . مرقد جد الأنبياء ابراهيم عليه السلام . وإن الدعاء هناك مستجاب ! .

٥ - وكانت هناك ، عند باب الصخرة من الشمال - ذلك الباب المعروف بباب الجنة - بلاطة سوداء . وفي البلاطة مسامير من الفضة . كان القوم يعتقدون أن مسامير من تلك المسامير لا بد أن يخنق في كل سنة ! . وعندما تخنق المسامير كلها تقوم الساعة ! . ويحشر الناس ! . وينصب الميزان ! . بقيت هذه البلاطة في موضعها عند (باب الجنة) حتى أواخر العهد التركي ، وقد رأيتها أكثر من مرة خلال عشر سنين ، دون أن ينقص عدد المسامير فيها ، وكانوا ثلاثة . الى ان رفعها الاتراك^(٢) ، وقد استبدلوها ببلاطة من النوع الذي فرشت به أرض المسجد .

٦ - والصراط (أو الميزان) سوف ينصب يوم القيامة ! . بين سور الحرم وجبل الزيتون ! . في بيت المقدس . ولا بد أن يسير عليه الناس أجمعون . فمن عمل خيراً في حياته ، اجتازه بسلام ؛

(١) كانت مجالس الحكم في زمن مضي تعقد تحت هذه القبة .

(٢) رفع جمال باشا التركي هذه البلاطة من موضعها ، قاصداً وضراً لهذا الاعتقاد الفاسد .

ومن عمل شراً ، هوى في الجحيم ، إنه هو المقصود ، في معتقدهم ، من قوله تعالى (١) : « فإذا نفخ في الصور ، فلا انساب بينهم يومئذ ، ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه ، فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . »
٧ - وهناك ، في المغارة الكائنة تحت الصخرة ، عمود من رخام ؛ ذو التوائت تشبه أمعاء الانسان . يسمونها : (مصارين الكذاب) . تخيف الأم بها ولدها الصغير ، فتقول له : ان الذي يكذب ، تصير مصارينه ملتوية كهذا العمود ! . ويتعرض لخطر الموت ! .

٨ - والمغارة نفسها ، يسميها القوم : (مغارة الأرواح) . ويعتقدون ! . أن الله يجمع فيها أرواح المؤمنين يوم القيامة .

ومن الخطأ الفادح قولهم : ان موسى عليه السلام صلى في هذه المغارة ! . . مع ان التاريخ حدثنا ان موسى ، لم يصل هنا . . ولا صلى في اي موضع آخر من بيت المقدس . . وفي التوراة نفسها آيات تقول : ان موسى لم يدخل ارض الميعاد . . وأنه توفي عند الجبل المعروف بـ (نبو) على مقربة من مادبا . . وانه قبل أن يلفظ نفسه الأخير ، ألقى على ارض الميعاد آخر نظرة ، وسمع الرب يخاطبه : « هذه هي ارض الميعاد . قد أريتك إياها بعينيك . ولكنك الى هناك لا تعبر (٢) . »
٩ - ولسنا ندري مبلغ القول من الصحة ان شعرتين من شعر النبي عليه الصلاة والسلام ، موجودتان في زجاجة محفوظة بداخل البناء الجميل المبني على طرف الصخرة من الناحية القبلية الى الغرب . وقد عهد إلى آل الشهابي من الاسر القديمة في بيت المقدس بمهمة الاحتفاظ بهاتين الشعرتين من شعر النبي . ويحتفل القوم بها مرة في كل سنة ، وبعبارة اصح في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان ؛ فيدخلون المسجد ، وبعد صلاة العصر يمررون امام المكان الذي فيه الشعرات ويقبلونها ؛ وبعبارة اصح يقبلون الزجاجة التي يحملها بيده السادن الذي ورث هذا الشرف عن آبائه واجداده منذ القديم .

١٠ - وهناك في المسجد الأقصى ، وتحت الجناح الغربي من الأجنحة المحيطة بالقبة ، عمودان : الواحد منها لا يبعد عن الآخر سوى مسافة شبرين . . كان بعض الجهلة يعتقدون أنه لا يستطيع المرور من بينها إلا الرجل الصالح ! . . وأما الرجل الشرير ، فانه لا يستطيع المرور ! . . ولما رأى متصرف القدس التركي رؤوف باشا إقدام الناس على هذه التجربة وما أحدثته من بلبلة وخطر . . وضع بين العمودين قضباناً من الحديد ليحول دون استفحال الشر ! . . وأزال المجلس الإسلامي الأعلى تلك القضبان عندما تولى عمارة ذلك الجناح . وأيقن أنه لم يبق

(١) سورة المؤمنين . الآيات ١٠١ - ١٠٣ .

(٢) اقرأ ما جاء في الأصحاح ٣٤ من سفر التثنية .

ثمة خطر من إرجاع العمودين الى ما كانا عليه عند بناء المسجد . إذ كانت الخرافات قد أخذت تولى الأدبار من هذه الديار .

ولئن غفرنا للقائلين المتمسكين بتلك الأساطير ، أقوالهم ؛ لا سيما تشبيه العمود ذي التعاريح بمصارين الكذاب . . إذ قد ينفع هذا آباء الأطفال وأمهاتهم في تفويم أخلاق أطفالهم ، وتحذيرهم من الكذب ، وترويضهم على الصدق . . إلا أننا ولن نغفر للقائل قوله : « إن هذا المكان بناه الجان ! . » . فقد سمعت بأذني (دليلاً) كان يرافق عدداً من السائحين الفرنجة قبل بضع سنين ، ليدهم على الأماكن المقدسة في المدينة ؛ ولما انتهى بهم المسير عند الحرم ، أشار الدليل الى مسجد الصخرة ، فقال : إن هذا المكان بناه الجان ! . فدنوت منه وسألته عن السبب الذي حدا به لهذا الاعتقاد الفاسد ، قال : « ليس من المعقول ! . أن يقوم بين العرب والمسلمين ! . شخص ذو فكر ثاقب الى هذا الحد ! . فيبني ! . مثل هذا البناء الفخم العجيب ! . »

فقلت له : رويدك ، يا أخي ! إن الذي بنى هذا المكان ، هو عبد الملك بن مروان . . الخليفة الأموي ، ذو المكانة المرموقة بالتاريخ . إنه إنسي ، وليس بجني ! إنه عربي مثلنا ، ابن وطننا وأمتنا وديننا . وإنه ليجدر بنا جميعاً أن نمجده ، وأن نخلد ذكراه ، وأن نذكر ما فعله بكل فخر واعتزاز . فلو لم يكن له من فضل علينا سوى هذا المسجد العظيم ، لكفاه ذلك فخراً . انه هو الذي بناه . وبعمله هذا وطد كيان العرب والمسلمين في هذه البلاد .

وانه لمن حقي وحقك ، ايها العربي ، أن تفخر بما كان لأجدادنا من فضل وطول باع ، في فن الهندسة والبناء وفي مختلف العلوم والفنون . فان هذه الآثار الضخمة التي نراها هنا وهناك : في الأندلس . . وفي دمشق وبغداد . . وفي القدس والقاهرة . . وفي سائر أنحاء الجزيرة العربية . . وتلك الطلول التي سمح الدهر الحثوثون بها فأبقاها . . لتدلنا دلالة واضحة على ما شادوا من مبان ومساجد وقصور كانت ، على مر العصور ، شامة في جبين الدهر . . .

اولئك آباؤي فخئي بمثلهم : اذا جمعنا يا جرير الجامع



آ - المصادر العربية :

أذكر فيما يلي أسماء الكتب والمؤلفات التي رجعت إليها ، سواء أ كانت مطبوعة أم مخطوطة؛ والتقارير والسجلات التي استعنت بها ، سواء أ كانت رسمية أم خصوصية؛ من أجل تحقيق مختلف الفصول الواردة في هذا الكتاب ؛ وأسماء واضعها : -

١ - (التاريخ اليعقوبي) لأحمد بن أبي يعقوب بن واضح العباسي المعروف باليعقوبي. توفي سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م. كان رحلة يحب الأسفار . ساح كثيراً في بلاد الاسلام . وألف كتابه هذا (ويعرف بتاريخ ابن واضح) في جزئين : أولهما في تاريخ ما قبل الاسلام ، وثانيهما فيما بعده الى سنة ٢٥٢ للهجرة - ٨٦٦ م وطبع في لندن سنة ١٨٨٣ م .

ومن مؤلفاته (كتاب البلدان) طبع في لندن سنة ١٨٦٠ م .

٢ - (مختصر كتاب البلدان) لأبي بكر أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه . من علماء القرن الثالث . ألف كتابه هذا بعد موت المعتضد سنة ٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م . وطبع في لندن باعثناء الأستاذ دي غويه سنة ١٨٨٥ .

٣ - (تاريخ ابن البطريق) ويسمونه (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) . ومن أسمائه أيضاً (نظم الجواهر) . مؤلفه اوتيوخوس الاسكندري البطريق الرومي الملكي المكنى سعيد بن البطريق . ولد في الفسطاط سنة ٢٦٣ هـ - ٨٧٦ م وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً . أقيم في زمن الخليفة القاهر بالله بطريقاً على الاسكندرية . ومات بمصر (٢٢٨ هـ - ٩٣٩ م) . طبع كتابه هذا مع ترجمته اللاتينية في اكسفورد (١٦٥٨ م) باعثناء يوحنا سلداني وادوار ركوك . وطبع ثانية بالمتن العربي فقط في مطبعة اليسوعيين ببيروت وعلى نفقة الجمعية الشرقية في باريس (١٩٠٦) .

٤ - (العقد الفريد) للإمام شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي . عالم الأندلس بالأخبار والأشعار . توفي في قرطبة سنة ٣٢٨ هـ - ٩٣٨ م . وكتابه هذا وضعه قبل وفاته . انه سفر من أسفار الأدب الممتعة . وفيه فصول في التاريخ .

٥ - (مسالك الممالك) لأبي اسحق ابراهيم بن محمد الفارس الاصطخري . ويعرف أيضاً بالكرخي . نشأ باصطخر ، ونبغ سنة ٣٤٠ هـ - ٩٥١ م . وطاف بلاد الاسلام من بلاد العرب حتى الهند والمحيط الاطلنطي . ألف كتابه هذا بعد أن انتهى من رحلته . وقد طبع في لندن سنة ١٨٧٠ م بعناية الاستاذ دي غوية . ومن مؤلفاته (كتاب الاقاليم) . وقد عول في كتابيه على كتاب (صور الاقاليم) للشيخ أحمد بن سهل البلخي .



٦ - (المسالك والممالك والمفاوز والممالك) لأبي القاسم محمد بن علي البغدادي المعروف بابن حوقل . انه تاجر رحالة من أهل المائة الرابعة للهجرة . ولد سنة ٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م . وتجول في بلاد الاسلام ، فدخل المغرب وجاب صقلية وجال في الاندلس وغيرها . ودون اخبار رحلته في كتابه هذا . وهو ككتاب مسالك الممالك للاصطخري مع بعض الزيادات .

٧ - (احسن التباسيم في معرفة الاقاليم) لشمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء المقدسي . ولد في بيت المقدس سنة ٣٣٦ هـ - ٩٤٦ م . وهو من أسرة البشاري التي استوطنت هذا البيت المقدس منذ الفتح الاسلامي . كتب كتابه هذا الذي يز به من تقدمه من الجغرافيين العرب ، بعد أن بلغ الاربعين من عمره ، وكان قد جاب البلاد والامصار من الهند شرقاً الى بلاد الاندلس غرباً . رأى صاحب (كشف الظنون) نسخة كتبت سنة ٤١٤ هـ - ١٠٢٣ م طبع في ليدن ١٨٧٧ م مع ترجمته اللاتينية . ثم طبع فيها أيضاً سنة ١٩٠٦ م مع ترجمته الافرانية . وطبع في كلكتة بالهند سنة ١٩٠١ م مع ترجمته الانكليزية .

٨ - (سفرنامه) للرحالة الفارسي ناصري خسرو . شيعي المذهب . ولد في جوار بلخ . وجاب عدداً كبيراً من المدن والامصار . وهبط بيت المقدس سنة ٤٣٨ هـ - ١٠٤٧ م . ودون اخبار رحلته في كتاب اسماء : سفرنامه . رأيت نسخته المخطوطة ، وترجمته الى اللغة الانكليزية ، في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس . وقد ترجمه الى اللغة العربية الدكتور يحيى الحشاش . وطبعت الترجمة العربية في مطبعة لجنة التأليف والنشر بالقاهرة عام ١٩٤٥ م .

٩ - (التاريخ الكبير) لأبي القاسم علي بن ابي محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر . ولد سنة ٤٩٩ هـ - ١١٠٥ م وتوفي بدمشق سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٥ م . وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين الأيوبي . الف كتابه هذا فجاء في ثمانين مجلداً . نشر خمسة اجزاء منها ، مع شيء من الترتيب والتصحيح ، الشيخ عبد القادر بدران من علماء الشام ، فأسمها (تهذيب تاريخ ابن عساكر) . وتوفي هذا قبل أن يتم عمله .

١٠ - (مفرج الكروب في اخبار بني ايوب) لجمال الدين ابي عبد الله محمد بن سليم المعروف بابن واصل . مخطوط مؤلف من جزئين . اطلعت على نسخته الفوتوغرافية بدار الكتب المصرية . وهي مأخوذة عن النسخة الأصلية الموجودة بالمكتبة الأهلية بباريس .

١١ - (الفتح القسي في الفتح القدسي) لعلماد الدين الأصبهاني . ولد بأصبهان سنة ٥١٩ هـ - ١١٢٥ م . وقدم بغداد ، وتفقه بالمدرسة النظامية ، وولى النظر بالبصرة ثم بواسط . ثم نزل دمشق وعرف الأمير نجم الدين والد صلاح الدين الأيوبي . وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م . وكتابه هذا طبع

في ليدن سنة ١٨٨٨ م باعتناء الاستاذ لندبرج وله مقدمة باللغة الفرنسية . وطبع أيضاً في مطبعة الموسوعات بمصر ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م . ونقل صاحب (كشف الظنون) عنه انه قال : « سميت الفتح القدسي . وعرضته على القاضي الفاضل فقال لي سمه الفتح القسي في الفتح القدسي . »

١٢ - (كتاب الاعتبار) لأبي المظفر أسامة بن مرشد ... ابن منقذ الكناني . الملقب مؤيد الدولة محب الدين . ولد بقلعة شيزر (٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م) وتوفي بدمشق (٥٨٤ هـ - ١٠٨٨ م) . ودفن بجبل قاسيون . انه من بني منقذ اصحاب قلعة شيزر من أعمال حماه ، ومن علمائهم وشجعانهم . ذكره العماد الكاتب فقال عنه انه كان أسامة في ثره ونظمه ، وكان اميراً . هبط غوطة دمشق ، ورحل الى مصر ، ثم عاد الى الشام . والتقى بالسلطان صلاح الدين عندما جاوز الثمانين . وله تصانيف حسان منها هذا الكتاب : (كتاب الاعتبار) . وصف فيه سيرته ورحلاته . عني بنشره الأستاذ هرتويك ويرنبرج بباريس (١٨٨٩ م) وترجمه الى اللغة الألمانية الأب جورج شومان . وله مؤلفات كثيرة اخرى منها : (القضاء) و (لباب الآداب) .

١٣ - (فضائل القدس) هناك مخطوطان يحملان هذا الاسم : الاول وهو الذي اخذنا عنه لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي المعروف بابن الجوزي جد سبط بن الجوزي لامة المتوفي سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م . ذكره جلال الدين السيوطي ، وأخذ عنه . انه من مخطوطات مكتبة برلين . والثاني للشريف عز الدين حمزة بن أحمد الحسيني الشافعي المتوفي سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م .

١٤ - (الكامل في التاريخ) لابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الواحد الشهابي الملقب عز الدين . ومن اسمائه (ابن الاثير الجزري) . ولد سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م بجزيرة عمر علي الدجلة من اعمال الموصل . وساح في العراق والقدس والشام . كان اماماً حافظاً للتواريخ خبيراً بانساب العرب . ذكره ابن خلدون . وله مؤلفات كثيرة اهمها : (اسد الغابة في معرفة الصحابة) و (اللباب في معرفة الانساب) وهذا الكتاب الذي اخذنا عنه . ويسميه المؤلفون تارة (تاريخ الكامل) و (كامل التواريخ) وطوراً (الكامل في التاريخ) . طبع في ليدن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١ وقد جاء في اثني عشر جزءاً .

١٥ - (معجم البلدان) لابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي . ويعرف بياقوت الحموي . ولد ببلاد الروم سنة (٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م) . وأسر من بلاده صغيراً . فابتاعه تاجر ببغداد يعرف بعسكر بن ابي نصر الحموي . واستخدمه مولاه في شؤونه التجارية ، فسافر كثيراً واستفاد وافاد . ثم اعتقه مولاه



(٥٩٦ هـ - ١١٩٩ م) . فراح يشتغل في البحث الى ان مات في حلب (٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م) .
والف قبل موته كتابه المشهور هذا في (معجم البلدان) . وقد فرغ من تأليفه في العشرين من شهر
صفر سنة ٦٢١ هـ - ١٢٢٤ م . طبع باعتماد العلامة وستنفلد في ليبسيك ١٨٦٦ م وفي مطبعة السعادة
عصر سنة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م .

ولياقوت مؤلفات أخرى أهمها : (معجم الأدباء) .

١٦ - (مرآة الزمان في تاريخ الايمان) لابن المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن
عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي . ولد ببغداد سنة ٥٧٢ هـ - ١١٧٦ م وتوفي بدمشق سنة
٦٥٤ هـ . ألف كتابه هذا في أربعين مجلداً ويعرف بمرآة الزمان . طبع منه في شيكاغو الجزء
الثامن فقط (وهو يتدئ من حوادث سنة ٤٩٥ الى ٦٥٤ هـ) وكان ذلك في سنة ١٩٠٧ م .
وبعناية جيمس ريشار جويت James Richard Jowet استاذ اللغات الشرقية في كلية شيكاغو .
وقرأت منتخبات منه ، مع ترجمتها الافرنية ، في الجزء الثالث من مجموعة تواريخ الحروب
الصليبية (باريس ١٨٧٢ م) .

١٧ - (تاريخ مختصر الدول) لغريغوريوس أبي الفرج بن هارون المعروف بابن العبري .
ولد بملطية من أعمال ديار بكر سنة ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م . فدرس الطب . واشتغل بالفلسفة
واللاهوت . يعرف من اللغات العربية والسريانية واليونانية . وكان على مذهب اليعقوبية . سيم
اسقفاً في طرابلس الشام . ثم قصد دمشق ولقى حظاً عند الملك الناصر ودعى مفريان المشرق . ولما
استولى المغول على البلاد ، وانقرضت دولة العباسيين ؛ أنعم عليه هولاكو وقربه اليه . ومات بمراغة
من أعمال أذربيجان .

ولابن العبري نحو ثلاثين مصنفاً في الدين والهيئة والطب والتاريخ . ومن مؤلفاته (تاريخ مختصر
الدول) . طبعه الأستاذ بدكوك في اكسفورد عام ١٦٦٣ م . وأعاد طبعه الأب أنطون صالحاني
في مطبعة اليسوعيين بيروت عام ١٨٩٠ م . وله مؤلفات أخرى منها : (لمع من أخبار العرب)
وهي مقتبسة من تاريخ مختصر الدول .

١٨ - (الاشارات في معرفة الزيارات) لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد
الهروي . ولد في هرات من أعمال فارس سنة نيف وخمسين وستماية للهجرة . ومات في حلب سنة
٧٢٢ هـ - ١٣٢٢ م . زار عدداً من البلدان في مصر والشام ، ومنها القدس . هبطها سنة ٦٧٢ هـ -
١٢٧٣ م . والف كتابه هذا حوالي ذلك التاريخ . وهو مخطوط يتضمن رحلته الى حلب والشام
وفلسطين وبلاد العرب ومصر وآسيا الصغرى وبلاد العجم . ويعرف برحلة أبي الحسن .



اطلعت على نسخة مصورة لهذا المخطوط في مكتبة المتحف الفلسطيني . وقد أخذتها المطبعة السلفية بمصر سنة ١٩٤١ م عن أصلها الذي كان محفوظاً في المكتبة التيمورية .

١٩- (المختصر في تاريخ البشر) للملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن علي ... بن أيوب الشافعي ويعرف بأبي الفداء . ولد سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م وبرع في الفقه والأدب والتاريخ الى أن صار من امراء دمشق فقربه الملك الناصر بن قلاوون لعلمه ، وجعله سلطاناً لجماعه . وضع كتابه هذا حوالي سنة ٥٧٢١ هـ - ١٣٢١ م . وله كتاب آخر في (تقويم البلدان) . وترجم كتابه الى عدد من اللغات الاجنبية .

٢٠- (مسالك الابصار في ممالك الامصار) للقاضي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد الكرماني المعروف بابن فضل الله العمري . ولد بدمشق سنة ٥٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م وتوفي سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م . كان إماماً في الأدب والتاريخ . وقد حقق كتابه هذا وطبعه في مطبعة دار الكتب المصرية بمصر شيخ العربية أحمد زكي باشا . وكان ذلك بتاريخ ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م . ومما قاله شيخ العربية انه عثر على بعض أجزاء هذا الكتاب في الاضابير المبعثرة بين الاوراق المنتثرة في اسافل الخزانات بسراي طوب قبو بالقسطنطينية . وللعمرى مؤلفات أخرى ؛ منها : (التعريف بالمصطلح الشريف) .

٢١- (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة . ولد في طنجة سنة ٧٠٣ هـ - ١٣٠٣ م . حج الى بيت الله الحرام وجاب مصر والسودان والعراق والشام واليمن والهند وبلاد الصين والتتر والاندلس والمغرب . وألف كتابه هذا بعد أن أتم رحلته . وتعرف برحلة ابن بطوطة . طبعت بعض اجزائها مع ترجمتها الافرنسية في باريس (١٨٥٣ م) وبعضها بعد ذلك التاريخ في مصر .

٢٢- (مثير الغرام بفضائل القدس والشام) تأليف الامام أبي محمود احمد بن ابراهيم بن هلال ابن تميم بن سرور المقدسي الشافعي . رأيت نسخة مصورة بالفوطوغراف في مكتبة المتحف الفلسطيني . ومنها يفهم ان مؤلفه ولد سنة ٧١٤ هـ - ١٣١٤ م وتوفي سنة ٧٦٥ هـ - ١٣٦٣ م وأنه فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧٥٧ هـ - ١٣٥٦ م .

واطلعت على نسخة اخرى منه مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وقد خطت بتاريخ ٩٩٨ هـ - ١٥٩٠ م .

وهناك مخطوط آخر بهذا الاسم في المكتبة الخالدية بالقدس ، تاريخه ٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م . صححه وشرحه وعلق عليه مدير السكينة العربية الاستاذ احمد سامح الخالدي سنة ١٣٦٥ هـ -

١٩٤٦ م . ويوجد أيضاً نسختان أخريان : واحدة في دارالكتب المصرية والثانية في برلين . وقد اختصره ابن عمار في كتاب أسماء : (منتهى المرام في تحصيل مشير الغرام) .

٢٣ - (صبح الاعشى) لابي العباس احمد بن علي . . ابن ابي اليمن القلقشندي . ولد في قرية قلقشندة من أعمال القليوبية بمصر سنة ٥٧٥٦ هـ - ١٣٥٥ م . ترجمه السخاوي في كتابه : (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) فقال : برع في الفقه والأدب والإنشاء وأنساب العرب . وناب في الحكم . وكتابه هذا فرغ من تأليفه سنة ٨١٤ هـ - ١٤١١ م .
طبعت دار الكتب المصرية (١٩١٣ - ١٩٢٠ م) . وقد جاء في اربعة عشر مجلداً . ويعتبره الكتاب والمؤلفون دائرة معارف كبرى .

٢٤ - (السلوك لمعرفة دول الملوك) لتقي الدين احمد بن علي بن تميم الشهير بالمقريني . ولقبه هذا مأخوذ عن حارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة . اصله من بعلبك . ولد سنة ٧٦٦ هـ - ١٣٦٤ م . ونشأ بالقاهرة . وبرع في التاريخ حتى لقب عمدة المؤرخين ، لا سيما المتأخرين . توفي سنة ٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م ودفن بالقاهرة . وكتابه هذا يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاته . ولقد صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة استاذ التاريخ بكلية الآداب بالجامعة المصرية . وطبع في مطبعة دارالكتب المصرية بالقاهرة بين سنتي ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م و١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م . وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها في كتابنا هذا . وله مصنفات كثيرة أخرى .

٢٥ - (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي . طبع في مطبعة دارالكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م . وابن تغري بردي هذا هو تلميذ المقريني . ولد بالقاهرة سنة ٨١٣ هـ - ١٤١٠ م . وتوفي فيها . وفي كتابه النجوم الزاهرة دون أخبار مصر ابتداءً من الفتح العمري الى زمانه . وفي مكتبتي تسعة من أجزائه .

٢٦ - (اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى) لأبي عبد الله محمد بن أحمد المنهاجي المكنى شمس الدين السيوطي (هذا غير الامام المعروف جلال الدين السيوطي مفسر الجلالين) . هبط القدس سنة ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م وألف كتابه فيها ٨٧٥ هـ - ١٤٧٠ م . وتوفي سنة ٨٨٠ هـ - ١٤٧٥ م . اطلعت على نسخة منه محفوظة في زحلة بمكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا ولبنان . وحدثني الاستاذ المعلوف أنه رأى نسخة عنه في مكتبة مراد بك البارودي في بيروت كتبت سنة ٩٧٨ هـ - ١٥٧٠ م بخط علي بن العلم المقدسي الحنفي تقع في نحو مئتي صفحة .
ومنه نسختان أخريان : - واحدة في المكتبة التيمورية بمصر ، وأخرى في برلين .
وقد اطلعت في مكتبة المتحف الفلسطيني على نسخة أخرى بعنوان : (اتحاف الاخصا بفضائل

المسجد الأقصى) وهي مصورة، كتب على غلافها من الخارج إنها لشمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي السيوطي، وعلى الصفحة الأولى من الداخل إنها تأليف الشيخ المحقق كمال الدين محمد بن محمد أبي شريف الشافعي المصري المتوفى سنة تسعمائة وست من الهجرة.

وفي الصفحة الأولى نفسها من الداخل الكلمات التالية: — « قوله كمال الدين الخ خطأ . وصوابه شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي السيوطي . »

جاء ذكر هذا الكتاب في (كشف الظنون) الجزء الأول الصفحة ٤٧ طبع مصر . فقيل إنه لكamal الدين محمد بن محمد بن أبي شريف الشافعي المصري . كما جاء ذكره في فهرست المكتبة الخديوية لابي عبد الله محمد بن شمس الدين السيوطي .

وقيل في كلا الحالين أن المؤلف فرغ من تأليفه في أثناء مجاورته لبيت المقدس سنة ١٨٧٥ هـ — ١٤٧٠ م .

واطلعت في دارالكتب الظاهرية بدمشق على مخطوط بنفس الاسم : (تحاف الاخصاص بفضائل المسجد الأقصى) لشمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي السيوطي، وضع في القدس سنة ١٨٧٥ هـ — ١٤٧٠ م . واطلعت على نسخة أخرى منه في دارالكتب المصرية ، استنسخت سنة ١٠٢٤ هـ — ١٦١٥ م . وعندما ترجم الكتاب الأستاذ رينو الى اللغة الانكليزية نسبة خطأ الى جلال الدين السيوطي . وإني لمعتقد بأن واضع الكتاب هو شمس الدين السيوطي . وإن الاسماء الأخرى لرجال نقلوا عنه . والى الشيخ السيوطي هذا يرجع الفضل في العثور على أكثر الكتب التي بحثت عن المسجد الأقصى في العهود الغابرة . لانه في مخطوطه هذا سمى الكتب التي نقل عنها بما كان في خزائن المسجد الأقصى : — ككتاب (مثير الغرام الى زيارة القدس والشام) و (الروض المغربي في فضائل بيت المقدس) و (فضائل القدس) و (الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى) و (باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس) وبعض الكتب الأخرى التي ذكرناها في هذا الفصل .

٢٧- (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) للقاضي مجير الدين أبي اليمن عبدالرحمن العلم الفخري الحنبلي . ولد بالقدس في ليلة الأحد ١٣ ذي القعدة سنة ٨٦٠ هـ — ١٤٥٥ م وتوفي فيها سنة ٩٢٧ هـ — ١٥٢٠ م . وقبره ظاهر فيها ، الى الشرق من سور المدينة ، بين باب الاسباط وجبل الطور ، عند مفترق الطرق المؤدية الى الطور وسلوان والقدس وعمان .

شرع في وضع كتابه في اليوم الخامس عشر من ذي الحجة سنة ٩٠٠ هـ — ١٤٩٤ م وفرغ منه في أقل من أربعة شهور كما قال في آخر الجزء الثاني من كتابه . وقد ظل مخطوطاً حتى جمادى الأولى من سنة ١٢٨٣ هـ — ١٨٦٦ م حيث تم طبعه بالمطبعة الوهبية بمصر .

ورد ذكر هذا الكتاب في فهرس المكتبة الخديوية بمصر ، فقبل غلطاً : (الانيس الجليل بتاريخ القدس والخليل) . وقد ترجمه الى اللغة الافرنسية هنري سوفار . وطبعه في أوروبا . إنه ، في اعتقادي ، أحسن ما كتب باللغة العربية عن القدس في القرون الاربعة الأخيرة .

٢٨- (الحضرة الانسية في الرحلة القدسية) للشيخ عبدالغني بن اسماعيل . المعروف بالنابلسي . ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ هـ - ١٦٤٠ م . واتقن علم الحديث واللغة والفقہ والبيان . وزار مصر والحجاز ولبنان . كما زار فلسطين . وقضى فترة من الزمن في بيت المقدس . ثم رجع الى دمشق وتوفي بها ١٧٣٠ م .

وكتابه هذا فرغ من تصنيفه سنة ١١٠١ هـ - ١٦٨٩ م . و طبع في مطبعة الاخلاص بمصر سنة ١٩٠٢ م . اطلعت على نسخته المخطوطة في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس .

٢٩- (الاقوال السنية فيما يتعلق بالاسئلة القدسية) لشيخ الاسلام السيد محمد بن عبدالرحيم مفتي السادة الحنفية بالديار القدسية . وهو مخطوط رأيت في دار الكتب الظاهرية بدمشق . ويظهر أنه كتب سنة ١١٢٧ هـ - ١٧٢٤ م .

٣٠- (سوانح الانس برحلتى لوادي القدس) لمصطفى أسعد اللقيمي الدمياطي المتوفى سنة ١١٧٨ هـ - ١٧٦٤ م . وصف فيه رحلته من دمياط الى القدس في ستة شهور . انه مخطوط اطلعت على نسخة منه في مكتبة الرحوم رشيد مكي بجورة عسقلان من أعمال المجدل . وهناك نسخة اخرى عنه في برلين . وله فيها (أي في برلين) أيضاً مخطوطان : أحدهما (لطائف انس الخليل في تحائف القدس والخليل) و (الحلة المعلمة البهيجة في الرحلة القدسية المهيبة) .

٣١- (الرحلة الحجازية) لمحمد لبيب البتنوني . طبعت بمصر سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م واطلعت عليها في مكتبة المتحف الفلسطيني بالقدس .

٣٢- (تاريخ الخلفاء المسامين) مخطوط عثرت عليه في مكتبة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف بزحلة . فما عرفت ، ولا عرف الاستاذ نفسه ، من هو مؤلفه . لأن الصفحة الأولى منه وهي التي يتألف منها الغلاف مفقودة .

٣٣- (خطط الشام) لمحمد كرد علي . ولد في دمشق (١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م) . وآتم دراسته فيها . يعرف من اللغات : العربية والتركية والفرنسية والفارسية . شاعر وصحفي ومؤرخ . جريدته (المقتبس) اشتهرت في القاهرة ودمشق . هو الذي أسس (المجمع العلمي العربي) بدمشق ١٩١٩ م . وله عدد كبير من المؤلفات ، منها كتابه هذا في (خطط الشام) . قضى في تأليفه خمساً وعشرين سنة . وقد جاء في ستة أجزاء . طبعت كلها في دمشق بين سنة ١٩٢٥ و ١٩٢٨ م .



٣٤ - (حضارة العرب) للعلامة الفرنسي غوستاف لوبون . وضع كتابه هذا باللغة الفرنسية Civilization des Arabs وكان ذلك سنة ١٨٨٤ . وصف فيه عصر العرب الذهبي . برهن للعالم كله ما كان للعرب من فضل على الغرب في حضارته . ترجمه الى العربية (سنة ١٩٤٥) الأديب الفلسطيني الكبير المرحوم عادل زعيتر الذي توفاه الله في أواخر عام ١٩٥٧ .

٣٥ - (بلدانية فلسطين العربية) للأب مرمجي الدومنيكي أستاذ المعهد الكتابي والآثاري في القدس وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق . وكتاباه هذا طبع في مطبعة جان دارك بيروت عام ١٩٤٨ . ترجم الى اللغة الفرنسية .

٣٦ - (مجموعة الحروب الصليبية) . حوت ما كتبه المؤرخون الشرقيون عن الحروب الصليبية عني بجمعها وترجمتها الى اللغة الفرنسية مجمع الآثار والفنون الافرنسي . طبعت في باريس (١٨٧٢ - ١٨٧٦ - ١٨٨٤ م) . فيها مقتطفات من كتب ابي الفداء ، وابن الاثير ، وابن خلكان ، والبغدادى ، وابن جبير ، وابن ميسر وغيرهم من المؤرخين . اطلعت على هذه المجموعة في المكتبة الظاهرية بدمشق . وهي من أحسن المراجع لدراسة الحروب الصليبية .

٣٧ - (معجم المطبوعات العربية والمعربة) لجامعه يوسف اليان سركيس . يشمل اسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية ، مع ذكر اسماء مؤلفيها ، ولمع من تراجمهم . وذلك من يوم ظهور الطباعة الى نهاية السنة الهجرية ١٣٣٩ الموافقة لسنة ١٩١٩ ميلادية . طبع في مطبعة سركيس بمصر (١٩٢٨ - ١٩٢٩ م) .

٣٨ - (سجلات المحكمة الشرعية بالقدس) . اتيح لي الاطلاع على هذه السجلات المحفوظة في خزائن المحكمة الشرعية بإذن خاص من المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى . وهي تحتوي على جميع الحوادث التي جرت بالقدس خلال القرون الأربعة الأخيرة . وفيها الشيء الكثير من الأخبار والمعلومات القيمة عن القدس وعن الحرم القدسي ، وعمما ألم به من تغير ، وما اجري فيه من ترميم وترميم خلال تلك القرون . ان أول سجل اطلعت عليه هو ذو الرقم ١ سنة ٩٣٦ هـ - ١٥٢٩ م خطه غير واضح . ولا منقط . وصفحاته الأوائل ممزقة . وليكن الخط يتحسن مع السنين . وكذلك قل عن المواضع .

٣٩ - (البيانات والتقارير) التي اصدرها المجلس الاسلامي المتقدم ذكره ، والتي ذكر فيها اعمال التعمير والترميم في المسجد الاقصى ومسجد الصخرة واجزاء الحرم الأخرى منذ عام ١٩٢٢ الى يومنا هذا .

٤٠ - (تقارير المهندسين الاتراك) كمال الدين . نهاد . جمال الدين . حسني ١٩٢٢ - ١٩٢٧ .

- ٤١ - (تقارير المهندسين البريطانيين) ريشموند . غاي . هاريسون ١٩٢٤ م .
 ٤٢ - (تقارير المهندسين المصريين) (الأول) محمود أحمد . مصطفى حمدي القطان ١٩٢٤ م .
 (الثاني) محمود أحمد . عبد الفتاح حلمي ١٩٣٨ م .
 ٤٣ - (تقرير المهندس الفلسطيني) رشدي الامام الحسيني ١٩٤٣ م
 ٤٤ - (تقرير مديو الآثار بقبرص) ميغو ١٩٤٦ م
 ٤٥ - (تقرير المهندس الايطالي) فرديناندو فورلاني ١٩٥٥ م .
 ٤٦ - (تقارير المهندسين المصريين) حسين شافعي . محمد عباس بدر .
 كامل صلاح الدين السكيلاني ١٩٥٧ م

ب - المصادر الفرنجية (انكليزية وفرنسية والمانية)

| S. No. | Name of the Book | Author |
|--------|--|--------------------------|
| 1 | A Brief Guide to Al-Haram Al-Sharif | Moslem Supreme Council |
| 2 | A Hand-Book Round Jerusalem | Blackburn |
| 3 | An Essay on the Ancient Topography of Jerusalem | James Fergusson |
| 4 | A Journey from Aleppo to Jerusalem | Henry Maundrell |
| 5 | Archaeological Researches in Palestine | Charles Clermont-Ganneau |
| 6 | Biblical Researches | E. Robinson |
| 7 | Chronographia | Theophanos |
| 8 | Civilization des Arabs | Gustave Lebon |
| 9 | De Aedificus | Procopius |
| 10 | Deutschen Palästina Vereins | Richard Hartmann |
| 11 | Diary of J. Finn | Mrs. J. Finn |
| 12 | Die Arabischen Nachrichten Zür Geschichte der Harambauten | Gildmeister |
| 13 | Die Stiftshütte | C. Schick |
| 14 | The Dome of the Rock | E. T. Richmond |
| 15 | Early Muslim Architecture | K. A. C. Creswell |
| 16 | The Egyptian Empire in Asia | J. P. O. S. |
| 17 | Felsendom und Aksa-Mosche In der Islam | Strzygowsky |

المصادر الفرنجية (انكليزية وفرنسية والمانية)

| S. No. | Name of the Book | Author |
|--------|---|--------------------------|
| 18 | Genesis der Islamischen Kunst in der Islam | Herzfeld |
| 19 | Geschichte der Aksa-Mosche und Felsendom Zu Jerusalem | Richard Hartmann |
| 20 | The Holy City | G. Williams |
| 21 | The Holy Places of Jerusalem | T. Hayter — Lewis |
| 22 | Jérusalem | P. P. H. Vincent |
| 23 | Jerusalem | C. R. Ashbee |
| 24 | Jerusalem Embattled | Harry Levin |
| 25 | Le Temple de Jérusalem | Marquis de Vogue |
| 26 | Matérieux pur un Corpus Inscriptionum Arabicarum | Max Van Berchem |
| 27 | The Origin of the Plan of the Dome of the Rock | K. A. C. Creswell |
| 28 | Palestine Pilgrims' Text Society | Procopius |
| 29 | Palestine Under the Moslems | Guy Le Strange |
| 30 | Pecueil d'archéologie Orientale | Charles Clermont-Ganneau |
| 31 | Sabae Vita | Cyril Scythopolis |
| 32 | The Temples of the Jews | James Fergusson |
| 33 | Topographie von Jerusalem | Tobler |
| 34 | Travels along the Mediterranean | R. Robinson |
| 35 | Visit to Alexandria, Damascus and Jerusalem | E. Hogg |
| 36 | The White Paper (1930) | British Government |

